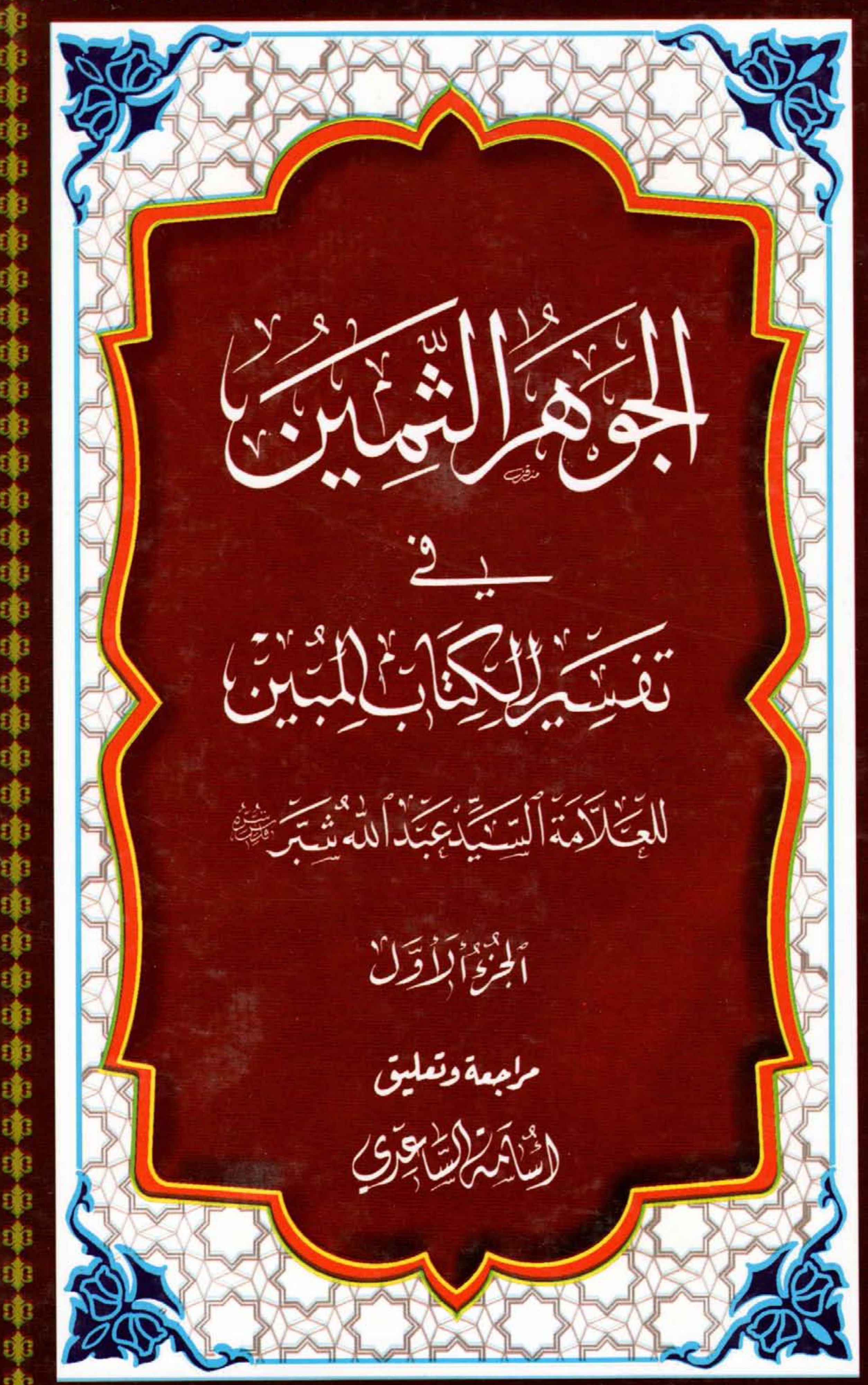
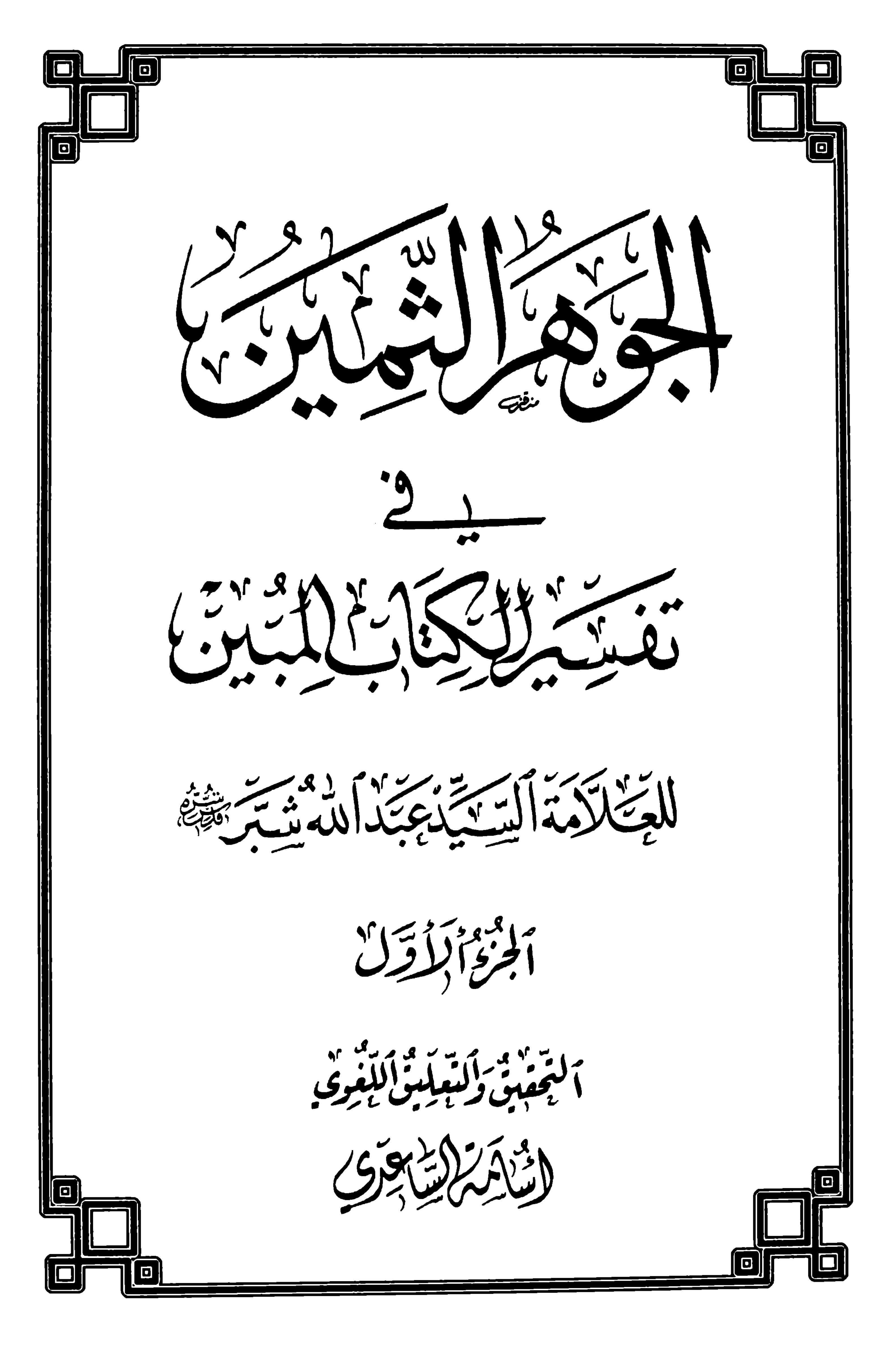

الجوهر الثمين
في
تفسير الكتاب المبين
للعلامة السيد عبد الله شبر
الجزء الأول
مراجعة وتعليق
أسامة الساعدي



الجوهر الثمين

في

تفسير الكتاب المبين

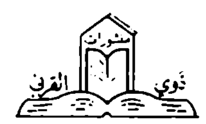
للعلامة السيد عبد الله شبر قدس سره

الجزء الأول

التحقيق والتعليق اللغوي

أسامة الساعدي

شبر ، عبدلله ، ۱۷۷۴ ـ ۱۸۳۶ م .
الجـوهر الثـمين فـی تـفسير الكـتاب المـبين / لعـبدلله شبر؛التحقيق والتعليق اللغوی اسامه الساعدی.
قم: ذوی‌القربی، ۱۳۸۸.
۲۱۶۰ ص .
دوره ۶ جلدی ISBN:978 - 964 - 518 - 318 - 7
فهرستنويسی بر اساس اطلاعات فيپا.
كتاب حاضر تفسير وسيط از تـفاسير سـه‌گـانه مـولف می‌باشد
موضوع: تفاسير شيعه - قرن ۱۳ ق،
رده بندی كنگره: ۹ ج ۲ ش / BP ۹۷
رده بندی ديويی: ۱۷۲۶ ـ ۲۹۷



▣ اسم الكتاب : الجوهر الثمين فی تفسير الكتاب المبين ج ۱

▣ المؤلف : السيد عبدالله الشبر

▣ الناشر : ذوي‌القربی

▣ الطبعة : الأولیٰ

▣ تاريخ الطبع : ۱۴۳۱ هـ ق

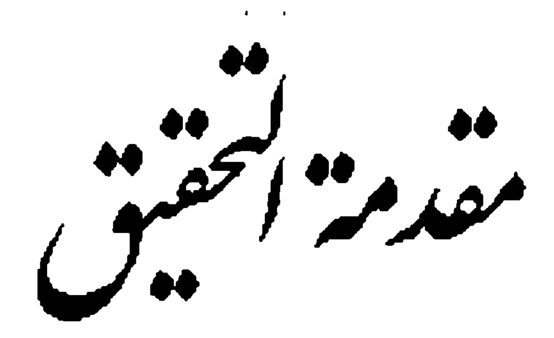
▣ الكمية : ۱۰۰۰

▣ المطبعة : سليمانزاده

▣ شابك دوره : ۷ ـ ۳۱۸ ـ ۵۱۸ ـ ۹۶۴ ـ ۹۷۸

▣ شابك (ج ۱) : ۰ ـ ۳۵۹ ـ ۵۱۸ ـ ۹۶۴ ـ ۹۷۸

▣ مركز التوزيع : قم ـ پاساژ قدس ـ الطابق الاوّل ـ رقم ۵۹ ـ تليفون: ۷۷۴۴۶۶۳ـ۲۵۱ـ۹۸+



نبذة عن المؤلف (ره)

ولد العلامة السيد عبد الله شبر الحسيني الكاظمي سنة ١١٩٢ هـ في النجف الأشرف ويعدّ من أكثر أهل العلم والأدب ثراء علميا، ويُرجِع أهلُ العلم نسبَه إلى الإمام زين العابدين (ع). وقد كان السيد شبر (ره) من المراجع المعروفين في الكاظمية. وفضلا عن تصدّيه للمرجعية وإصدار الفتاوى واهتماماته الاجتماعية فإنه كان منشغلا أيضا بالتأليف. وكثيرا ما كان يشاهد وهو جالس مع بعض طلاّبه يستمع إليهم وفي نفس الوقت يحمل قلمه بيده ويسطّر على الورق –على مانقل بعض معاصريه – .

أقوال العلماء فيه

قال العلامة الشيخ جعفر النجفي المعروف بـ(كاشف الغطاء) في مقدمة كتاب (حق اليقين) الذي كتبه السيد شبر بعد أن اطّلع عليه ما يلي:

" لقد جئتَ بما بهر العقول وأذعن له علماء المعقول والمنقول وبما فتح مقفلات المسائل وأثبتّها بالشواهد والدلائل رويدا فقد رقيت أعلى المراقي ومهلا فما بقي من مهمات المطالب باقي لقد بنيت للعلم مدينة فرفعت البناء وبالغت في بنيانها حتى بلغت عنان السماء ولا غرو فإنّك من أهل بيت علا فوق السبع الطباق وابن

من دنا فكان قاب قوسين أو أدنى من محلٍّ تجلي المصور الخلاّق فقل غير متأثم وأنت محق صادق:

وإني و إن كنت الأخيرَ زمانُه لآت بما لم تستطعه الأوائلُ

أساتذته

١ – والده السيد محمد رضا شبّر الذي حضر عنده في مدينة الكاظمية

٢ – السيد محسن الأعرجي

٣ – الشيخ جعفر النجفي كاشف الغطاء

٤ – الأمير السيد علي الطباطبائي صاحب الرياض

٥ – الشيخ أحمد بن زين الدين الأحسائي

٦ – الشيخ أسد الله الكاظمي

٧ – الميرزا محمد مهدي الشهرستاني

٨ – الميرزا أبو القاسم القمي، صاحب القوانين

تلامذته

١ – الشيخ عبد النبي الكاظمي صاحب تكملة الرجال

٢ – السيد علي بن السيد محمد أمين

٣ – المولى محمد علي التبريزي

٤ – الشيخ محمد رضا زين العابدين

٥ – المولى محمود الخوئي

٦ - الشيخ أحمد بن محمد علي بن عباس البلاغي

٧ - الشيخ محمد إسماعيل الخالصي

٨ - الشيخ مهدي والشيخ إسماعيل ابنا الشيخ أسد الله التستري

٩ - الشيخ محمد جعفر الرجيلي

١٠ - السيد محمد علي بن السيد كاظم بن السيد محسن صاحب المحصول

١١ - الشيخ حسن بن محفوظ العاملي

١٢ - السيد هاشم بن السيد راضي بن السيد حسن الأعرجي الحسيني الكاظمي

وفاته

توفي السيد عبد الله شبر في مدينة الكاظمية في شهر رجب سنة ١٢٤٢ هـ

مؤلفاته

ذكرنا في الأسطر السابقة بأن المترجم له أمتاز بكثرة مؤلفاته ومنها:

١ - الأصول الأصلية والقواعد المستنبطة من الآيات والأخبار

٢ - أنيس الزائر

٣ - تفسير القرآن الكريم (التفسير المزجي في مجلد واحد)

٤ - أدب سلوك الدين والدنيا

٥ - البرهان المبين

٦ - حق اليقين في أصول الدين

٧ - الأربعون حديثا

٨ - تحفة الزائر

٩ - كشف الحجاب للدعاء المستجاب وهو شرح دعاء السمات

١٠ - إرشاد المستبصر

١١ - الجوهرة المضيئة

١٢ - شرح الزيارة الجامعة

١٣ - الاستخارات

١٤ - زاد العارفين

١٥ - شرح طب الرضا

١٦ - أسرار العبادات

١٧ - زبدة الدليل

١٨ - مصابيح الظلام في شرح مفاتيح شرائع الإسلام

١٩ - الأخلاق

٢٠ - صفوة التفاسير

٢١ - أصول الدين

٢٢ - صلاح العابدين

٢٣ - أعمال الشهور والسنين

٢٤ - طب الأئمة

٢٥ - أعمال اليوم والليلة والأسبوع وبعض أدعية الحوادث والعادات

٢٦ - نخبة الشارحين

٢٧ - الانفتاحية في علم الأصول

٢٨ - الوجيز في التفسير

٢٩ - الأنوار الساطعة في العلوم الأربعة

٣٠ - رسالة في الطهارة والصلاة

٣١ - أنيس الذاكرين

٣٢ - رسالة في عمل اليوم والليلة

٣٣ – الجوهر الثمين في تفسير الكتاب المبين (وهو هذا الكتاب الذي بين يديك).

حول هذا الكتاب

هذا التفسير يعتبر من مصادر التفسير المعروفة عند الشيعة ألاثني عشرية فبعد ان اشتهر في الأوساط التفسير المزجي الذي كتبه السيد شبر في مجلد واحد وطبع طبعات مختلفة ومتعددة وكان تفسيرا مختصرا قام المؤلف بتوسيع دائرة الشرح والتعليق فكتب هذا السفر الذي أسماه: (الجوهر الثمين في تفسير الكتاب المبين) وقد ابدع فيه المؤلف كثيرا وجمع عددا كبيرا من الروايات التي تتعلق بموضوعه حتى بلغ الغاية والذي يروقك وانت تقرأ هذا التفسير هو ايراد المؤلف لكثير من المسائل اللغوية والبلاغية المرتبطة بالآيات التي يبحث فيها ومهما يكن من أمر فهذا الكتاب مفتاح أولي لمن أراد فهم القران واستجلاء معانيه. وخصوصا مع هذه الطبعة الحديثة المحققة بحلتها القشيبة والتي بلغت الستة اجزاء.

عملنا في التحقيق

اقتصرنا في تحقيق هذا الكتاب على شرح الألفاظ والعبارات المغلقة التي وردت متفرقة بين طيات الكتاب والتي يعسر فهمها على متوسطي الثقافة من القراء الكرام. وكذلك قمنا بإرجاع الأمثلة والشواهد الأدبية الى أصولها مستندين في ذلك كله الى أمهات المصادر والمراجع المعتمدة. وأما بالنسبة الى الأبيات الشعرية الواردة في الكتاب – وهي قليلة جدا – فقد ذكرنا اسم الشاعر متبوعا بمطلع القصيدة ومناسبتها ان امكن لنا ذلك مع ذكر المصدر . وفي الغالب لم نستخرج مصادر الروايات لأسباب عديدة: منها ان المؤلف (ره) قام بذلك غالبا وذكر المصدر قبل ذكر الرواية، ومنها ان استخراجها جميعا يسبب زيادة حجم الكتاب الى أكبر من الحجم المطلوب.

وقد استمر العمل على هذا الكتاب لأكثر من ثلاث سنين توخينا فيها الدقة ومتانة العمل ليخلو الكتاب من الاخطاء الإملائية والمطبعية التي حفلت بها الطبعات الأخرى. ولايسعنا في الختام الا ان نشيد بالجهد المشكور الذي تبذله (منشورات ذوي القربى) في خدمة التراث الإسلامي والفكري وليكن هذا مسك الختام لكلمتنا الافتتاحية التي أردنا فيها الالماع الى بعض الجوانب المهمة حول هذا التفسير قبل البدء في مطالعته، والله ولي التوفيق.

أسامة الساعدي

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله منزّل القرآن الكريم، والفرقان العظيم والذكر الحكيم ومرسل النبي القويم ذي الفيض العميم والفضل الجسيم الهادي إلى صراط مستقيم، والصلاة على سيّد المرسلين وخاتم النبيين، ومن كان نبياً وآدم بين الماء والطين، وآله خلفاء الخلائق وأرباب المعارف والحقائق وكنوز الأسرار والدقائق، الذين أوتوا علم الكتاب تأويلا وتفسيراً ، وأذهب الله عنهم الرّجس وطهرهم تطهيراً.

أما بعد:

فيقول: المذنب الجاني والأسير الفاني، أفقر الخلق إلى ربه الغني عبد الله بن محمد رضا الحسيني« وفقه الله لطاعاته ومراضيه، وجعل مستقبل حاله خيراً من ماضيه»: إني بعد ما صرفت عمري، وأفنيت دهري ـ بفضل الله ومنّه وتوفيقه ويمنه ـ في تتبع الأخبار واستقراء الآثار الواردة عن النبي وآله الأطهار عليهم صلوات الملك الغفار آناء الليل وأطراف النهار، جمعاً وتأليفاً وكتابةً ومطالعةً وقراءةً وتدريساً وشرحاً فوردت ـ بحمد الله تعالى ـ حياضها، ورويت من زلالها وميّزت بين صحاحها ومراضها، اشتد شوقي إلى تفسير الكتاب المجيد، (الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد) وكان يمنعني من ذلك قصور الباع[1]، وقلّة الإطلاع في هذه الصناعة،

---

(١) الباع في اللغة : هومسافة مابين الكفين اذا انبسطت الذرعان يميناً وشمالاً . يقال فلان طويل الباع في كذا أي انه بلغ الغاية فيه. والمؤلف (قده)يرى أنه قصير الباع تواضعاً منه(قده)راجع المعجم الوسيط مادة (باع). ص ٧٦ ط القاهرة.

وصرف جوهرة العمر في الإضاعة، مع تبلبل البال، وكثرة الاشغال، وتفاقم الأحوال، واختلال أمر العلم والاشتغال، فرأيت ـ بعد ان استخرت اللّه سبحانه ـ ان أحرّر تفسيراً يشير إلى جملة من النكات اللطيفة والمعاني، وتصحيح القراءة والمباني، ويشتمل على جملة من الأخبار والآثار، المروي عن النبي وآله الأطهار، وسميته بـ«الجوهر الثمين في تفسير الكتاب المبين» وأرجومن اللّه ـ تعالى ـ أن يوفقني بعد إتمامه الى كتابة تفسير كالبحر الغزير يحيط بكل منطوق ومفهوم، ويجمع جميع العلوم ويشتمل على التأويل والبيان، والتفسير والنقير والقطمير[1] وباللّه أستعين، وانه خير موفق ومعين.

الاستعاذة ـ من تفسير الإمام ـ هي ما أمر اللّه بها عباده عند قراءتهم القرآن قال ﴿ وإذا قرأت القرآن فاستعذ باللّه من الشيطان الرجيم﴾[2] وعن علي (ع)« أعوذ: أمتنع باللّه السميع لمقال الأخيار والأشرار ولكل المسموعات من الأعلان والأسرار العليم بأفعال الأبرار والفجار، وبكل شيء مما كان وما يكون وما لا يكون أن لو كان كيف كان يكون﴿ من الشيطان﴾ البعيد من كل خير ﴿الرجيم﴾ المرجوم[3] باللعن المطرود من بقاع الخير.

عبد اللّه شبر

---

(١) النقير هوما يضرب به المثل في الشيء الصغير.قال تعالى﴿ ولايظلمون نقيراً﴾وكذلك القطمير وهوالجزء الصغير في وسط الحبة . والمعنى انه يريد ان يكتب تفسيراً يشتمل على كل شيء حتى على صغائر الأمور . (راجع لسان العرب)في مادتي(نقر)و(قطمر).

(٢) سورة النحل الآية ٩٨.

(٣) اصل الرجم هوالرمي بالأحجار ثم استخدم ـ مجازاً ـ في الطرد والشتم. لسان العرب مادة(رجم).

سورة الفاتحة

وهي سبع آيات مكية، وقيل نزلت ثانياً بالمدينة، وتسمّى «فاتحة الكتاب» لأنها مفتتحة و«أم الكتاب» لاشتمالها على جمل معانيه و«الحمد» لذكره فيها و«السبع المثاني» لأنها سبع آيات اتفاقاً وإن اختلفت في عدّ البسملة دون أنعمت عليهم أوالعكس وتثنى في الفريضة، أوالإنزال.

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٢﴾ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣﴾ مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ﴿٤﴾ إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ﴿٥﴾ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ﴿٦﴾ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧﴾

روي: (ما قرأت الحمد على وجع سبعين مرّة إلا سكن) وقال الباقر (ع): (من لم يبرئه الحمد لم يبرئه شيء)، وقال الصادق (ع): (لوقرأت الحمد على ميت سبعين مرّة ثم ردّت فيه الرّوح ما كان عجباً) وقال (ع): (اسم الله الأعظم يقطّع في أم الكتاب)، وفي النبوي أنها (أفضل سورة أنزلها الله في كتابه)، وانها (شفاء من كل داء إلا السام) يعني الموت، وسئل الصادق (ع) عن قوله تعالى: (ولقد آتيناك سبعاً من المثاني)[1]

---

(١) سورة الحجر الآية ٨٧

قال: هي سورة الحمد وهي سبع آيات منها (بسم اللّه الرحمن الرحيم) وانما سمّيت المثاني لأنها تثنى في الركعتين ﴿بِسْمِ اللَّهِ﴾ آية من الفاتحة، ومن كل سورة عدا براءة باجماعنا والنصوص المتواترة، (والباء) للاستعانة إشعاراً بأن الفعل لا يوجد بدونه، أوالمصاحبة لأنّ التبرك باسمه تعالى ادخل في الأدب من جعله آلة، وفي الرّد على المشركين بتبركهم باسم آلهتهم، والسورة مقولة على ألسنة العبّاد تعليماً لهم؛ أواشعاراً بأن التصدير باسمه وحده في كل فعل وتأليف أمر واجب؛ والتعبير بلفظ الغائب للتعظيم كقول الخليفة: «الأمير يأمرك بكذا»؛ وكسر الباء ولام الأمر ولام الاضافة داخلاً على المظهر، وحق الحروف المفردة الفتح لاختصاصها بلزوم الجر والامتياز عن لام الابتداء، وانما كان حقّها ذلك لأنه أخ السكون في الخفة ومتعلق الظرف فعل لاصالته في العمل؛ وقلّة الإضمار مؤخر لأهميّة اسمه تعالى؛ ويقدّر في كل مقام ما يناسبه كـ«أتلو» و«أقرأ» و«أحلّ» و«أرتحل» و«أذبح» في القراءة والحل والارتحال والذبح. والاسم: من السّموأصله «سمو» حذف عجزه وسكن أوّله وزيد في ابتدائه همزة بشهادة التكبير والتصغير، أومن السمة وأصله «وسم» حذفت الواووعوّض عنها الهمزة ولم يقل «باللّه» لأن التبرك باسمه، وليعم كل أسمائه و« اللّه» أصله «إله» حذفت الهمزة وعوض عنها أداة التعريف لكنّه مختص بالمعبود بالحق، والإله كان لكل معبود ثم غلّب في المعبود بالحق وهومن «إله» بالفتح عبد أوتحير، أوالكسر سكن أوفزع أوولع لأنه معبود تتحير فيه العقول، وتطمئن بذكره القلوب، ويفزع إليه اهل الذنوب. وقيل: «أصله لاه ليها ولاها» احتجب وارتفع فأدخلت عليه الأداة. وفي المرتضوي: « اللّه معناه المعبود الذي تأله فيه الخلق ويوله إليه المستور عن ادراك الأبصار المحجوب عن الأوهام والخطرات»وهوعلم شخص للّذات

المقدسة الجامعة لكل كمال وإلا لم تفد كلمة الشهادة التوحيد، وقيل: اسم لمفهوم واجب الوجود بدليل سورة التوحيد، وتفخّم لامه إذا فتح ما قبلها أوضم، وحذف ألفه لحن و﴿ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ﴾ صفتان مشبهتان من «رَحِمَ»- بالكسر- بعد نقله إلى المضموم كغضبان من غضب، وعليم من علم.و«الرحمة» في الأصل: رقّة القلب المفضية للإحسان، وهي ونحوها بالنسبة إليه تعالى من باب: خذ الغايات واترك المبادئ فالمقصود غاياتها من الأفعال، لا مبدئها من الانفعال، و« الرحمن» أبلغ لاقتضاء زيادة المباني زيادة المعاني، وهي هنا أما باعتبار الكم بحسب كثرة أفراد المرحومين وقلّتها، وعليه حمل «يا رحمن الدنيا» لشموله المؤمن والكافر «ورحيم الآخرة» للاختصاص بالمؤمن، أوباعتبار الكيف، وعليه حمل «يا رح الدنيا والآخرة ورحيم الدنيا» لجسامة نعم الآخرة كلها بخلاف نعم الدنيا، فمعنى الرحمن: البالغ في الرحمة غايتها، ولذا اختص به تعالى، وانما قدم -ومقتضى الترقي العكس -لصيرورته بالاختصاص كالواسطة بين العلم والوصف فناسب توسيطه بينهما، أولأن الملحوظ في مقام التعظيم جلائل النعم وغيرها كالتتمة، فقدم واردف بالرحيم للتعميم تنبيهاً على أن جلائلها ودقائقها منه - تعالى -لئلا يأنف عباده من سؤال الحقير من جنابه وللفاصلة، وخص البسملة بهذه الأسماء إعلاماً بان الحقيق بان يستعان به في مجامع الأمور هوالمعبود الحقيقي، البالغ في الرحمة غايتها، المولي للنعم كلها. وفي النبوي(بسم الله الرحمن الرحيم: آية من فاتحة الكتاب، وهي سبع آيات تمامها بسم الله الرحمن الرحيم) وسئل الصادق (ع) عن السبع المثاني والقرآن العظيم هي الفاتحة؟ قال: نعم، قيل: (بسم الله الرّحمن الرّحيم) من السبع المثاني؟ قال: نعم هي أفضلهن»وقال علي (ع): (بسم الله الرّحمن الرّحيم) آية من فاتحة

الكتاب وهي سبع آيات تمامها (بسم اللّه الرّحمن الرّحيم) وقال الصادق (ع):«لاتدع (بسم اللّه الرحمن الرحيم) وان كان بعده شعر» وسئل الرضا (ع) عن الاسم ما هو؟ قال: « صفة لموصوف ...» وعنه (ع): معنى قول القائل (بسم اللّـه) أي: أسـم علـى نفسي بسمة من سمات اللّه عز وجل وهي العبادة، قيل له ما السمة؟ قـال: العلامـة» وسئل الصادق (ع) عن أسماء اللّه ـ عزّ وجل ـ واشتقاقها فقال: «اللّه» هومشتق من اله، واله يقتضي مألوهاً و« الاسم» غير المسمّى، فمن عبد الاسم دون المعنى فقد كفـر ولم يعبد شيئاً ومن عبد الاسم والمعنى فقد أشرك وعبد اثنين، ومن عبد المعنى دون الاسم فذلك التوحيد، ثم قال (ع): « للّه ـ عزّ وجل ـ تسعة وتـسعون اسـماً فلوكـان الاسم هوالمسمّى لكان كل اسم منها هوإله،[1] ولكن اللّه ـ عزّ وجل ـ معنى يدل عليه بهذه الأسماء وكلها غيره» وعنه(ع): « اسم اللّه غير اللّه، وكل شيء وقع عليه اسـم شيء فهومخلوق ما خلا اللّه».وسئل الكاظم (ع) عن معنى «اللّه» قال: « استولى على ما دقّ وجلّ»وعنه (ع) «الرحمن» اسم خاص بصفة عامّة و« الرحيم» اسم عام بصفة خاصـة وقـال الرضـا (ع) فـي دعائـه «رحمـن الـدنيا والآخـرة ورحيمهمـا» وسـئل الصادق(ع) عن (بسم اللّه الرحمن الرحيم) فقال: «الباء» بهاء اللّه و« السين» سناء اللّه و«الميم» مجد اللّه، وروى بعضهم ملك اللّه، و« اللّه» إله كل شيء و« الرحمن» بجميع خلقه و« الرحيم» بالمؤمنين خاصّة، وفي آخر «الـرحمن» بجميـع العـالم «الـرحيم» بالمؤمنين خاصّة، وفي تفسير الإمام: «اللّه» هوالذي يتأله إليه عند الحوائج والشدائد كلّ مخلوق عند انقطاع الرجاء من كل من دونه، وتقطع الأسباب عن جميع ما سواه

---

(١) هكذا وردت في الاصل. والصحيح «الهاً»لانها وقعت خبراً لـ«كان»

يقول: «بسم الله» أي أستعين على أموري كلها بالله الذي لا تحق العبادة إلا له، المغيث إذا استغيث، المجيب إذا دعي ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ ﴾ قيل الحمد: هوالثناء باللسان على جميل اختياري ـ نعمة وغيرها ـ والمدح: هوالثناء على الجميل مطلقاً، وقيل: انهما أخوان، وقيل« الحمد: اظهار كمال المحمود ـ قولاً أوفعلاً أوحالاً ـ ليكون حمدُه تعالى ذاته حقيقياً وحمده تعالى على صفاته حمداً على الآثار الاختيارية الصادرة منه تعالى، ونقيضه الذم، والشكر: ما قابل النعمة ـ من قول أوعمل أواعتقاد ومنه الحمد على النعمة بل هوأظهر شعبه دلالة عليها لخفاء الاعتقاد، واحتمال عمل الجوارح، ولذا قال (ص): «الحمد رأس الشكر، ما شكر الله من لم يحمده» فجعله كأشرف الأعضاء فكأن الشكر منتف بانتفائه. وخصّه بعض بالقول فيتساويان ونقيضه الكفران ورفعه بالابتداء وخبره« لله» وأصله النصب، لأنه من المصادر التي تنصب بأفعال مضمرة، وعدل إلى الرفع دلالة على الدوام والثبات دون التجدد، ولامه للجنس، أوالاستغراق، أوالعهد اي حقيقة الحمد، أوكل أفراده وأكملها ثابت له ـ تعالى ـ على وجه الاختصاص كما تفيده اللام، وفي السجّادي: «من قال الحمد لله فقد أدّى شكر كل نعمة لله تعالى»﴿ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ الرّب ـ في الأصل ـ هوالمالك، فهو اما صفة مشبّهة من فعل متعد، لكن بعد جعله لازماً من ربّه يربّه بفتح العين في الماضي وضمها في الغابر، واما وصف بالمصدر للمبالغة كما وصف بالعدل، وهومفرد لا يطلق على غيره تعالى إلا مضافاً كـ«رب الدار» اومجموعاً كـ«الأرباب». والتربية: تبليغ الشيء كماله تدريجاً وصف به للمبالغة، أوصفة مشبهة من ربه يربه وإضافته حقيقة لانتفاء عمل النصب لاشتقاقه من اللازم، ولقصد الاستمرار الثبوتي كـ«كريم البلد» فساغ وصف المعرفة به وسمّي به المالك لحفظه ما يملكه وتربيته له و« العالم» اسم لما يعلم

به كـ«الطابع» غلب في كل جنس مما يعلم به الصانع من الجواهر والأعراض كما يقال: «عالم الأرواح» و« عالم الأفلاك» و«عالم العناصر» ويطلق على مجموعها أيضاً ولا يجمع الأ بالإطلاق الأول، فيتعين هنا، وانما جمع ليشمل كل أجناس مسماه وافرادها ايضاً، وجمع بالواووالنون لمعنى الوصفية فيه، وتغليب العقلاء. وقيل: اسم لكل جنس من ذوي العلم من الملائكة والثقلين،[١] ودخول غيرهم بالتبعية. وقيل: جمعه بالواووالنون اشارة إلى سريان الصفات الكمالية من العلم والحياة وغيرهما في كل موجود من الموجودات.وفي المرتضوي: «ربٌّ إذ لا مربوب». وفي الباقري: «لعلك ترى ان اللّه انما خلق هذا العالم الواحد أوترى ان اللّه لم يخلق بشراً غيركم؟ بلى واللّه، لقد خلق ألف ألف عالم، وألف ألف آدم، أنت في آخر تلك العوالم وأولئك الآدميين» وفي الصادقي: «ان للّه ـ عزّ وجل ـ اثنى عشر ألف عالم كل عالم منهم اكبر من سبع سموات وسبع أرضين، ما يرى عالم منهم ان للّه ـ عزّ وجل ـ عالماً غيرهم وأنا الحجة عليهم» وفي المرتضوي: «رب العالمين» وهم الجماعات من كل مخلوق من الجمادات والحيوانات»﴿ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ﴾ كرر اشعاراً بشدة اعتنائه ـ سبحانه ـ بالرّحمة، وتثبتاً للرجاء بان مالك يوم الجزاء: هوالبالغ في الرحمة غايتها، فلا يقنط من عفوه المذنبون ﴿ مالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ قراءة عاصم والكسائي ويؤيده(يوم لا تملك نفس لنفس شيئا والأمر يومئذ للّه)[٢] وقرأ الباقون (ملك) وبه قرأ الصادق (ع) ما لا يحصى كما قرأ بالأول ويؤيده (لمن الملك اليوم للّه الواحد القهار)[٣] وأنه أدخل في التعظيم، وانسب بالإضافة إلى يوم

---

(١)المقصود بـ«الثقلين»هو«الإنس والجن».

(٢)سورة الانفطار الآية١٩ .

(٣)سورة غافر الآية١٦ .

الدين كـ«ملك العصر» وبوصفه ـ تعالى ـ بالملكية بعد الربوبية في خاتمة الكتاب؛ ليوافق الافتتاح الاختتام و(المالك): من له التصرف فيما في حوزته و(الملك) من له التصرف في الأمور بالأمر والنهي بالغلبة و« الدين» الجزاء، وعن الباقر والصادق (ع) «الحساب» وعن الرضا (ع) (مالك يوم الدين) إقراراً له بالبعث والمجازاة، وإيجاب ملك الآخرة له كإيجاب ملك الدنيا وعن السّجاد (ع) انه إذا قرأ (مالك يوم الدين) يكرّرها حتى يكاد ان يموت وفي اختياره على سائر الأسامي رعاية للفاصلة، وافادة للعموم، فان الجزاء يتناول جميع احوال القيامة إلى السرمد، واضافة اسم الفاعل إلى الظرف لاجرائه مجرى المفعول به توسعاً وسوّغ وصف المعرفة به قصد معنى المضيّ تنزيلاً لمحقق الوقوع منزلة ما وقع، أوقصد به الاستمرار الثبوتي، والمعنى ملك الأمر كلّه في ذلك اليوم، أوله الملك ـ بكسر الميم ـ فيه فاضافته حقيقية، وكذا اضافة« ملك» إذ لا مفعول للصفة المشبهة، وتخصيص «اليوم» بالإضافة ـ مع أنه تعالى مالك وملك لجميع الأشياء في كل الأوقات ـ لتعظيم ذلك اليوم، أولتفرده تعالى بالملك فيه كما في (لمن الملك اليوم) قيل: وفي التعبير باسم الذات الدال على إستجماع الكمالات وتعقيب بتلك الصفات المنفيّة عما سواه تعالى؛ دلالة على انحصار استحقاق الحمد فيه، وقصر العبادة والاستعانة عليه تعالى، وإرشاد إلى المبدأ والمعاد، وتنبيه على أن من يحمده الناس: إما أن يحمدوه لكماله الذاتي، أولانعامه عليهم، أولرجائهم إحسانه في المستقبل،أولخوفهم من كمال قهره، فكأنه ـ تعالى ـ يقول يا ايّها الناس ان كنتم تحمدون للكمال الذاتي فانا اللّه، أوللانعام والتربية فانا رب العالمين، أوللرجاء في المستقبل فانا الرّحمن الرحيم، أوللخوف من كمال القهر فانه مالك يوم الدين﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ (ايّا) ضمير منصوب منفصل،

ولواحقه من الكاف والياء والهاء حروف لبيان الخطاب والتكلم والغيبة، لا محل لها من الاعراب، ككاف (ذلك)ـ على أصحّ الأقوال ـ وقيل: انه مضمر مضاف إلى ما بعده، وردّ بان الضمير لا يضاف، وقيل ان(إياك) بكماله ضمير، و« العبادة» أعلى مراتب الخضوع والتذلل، ولذا لا يستحقها إلا المولي لأعظم النعم من الوجود والحياة وتوابعها. و«الاستعانة» طلب المعونة في الفعل، ولعلّ المراد بها ـ هنا ـ طلب المعونة في كل المهمّات، ولذا حذف المستعان فيه، أوفي أداء العبادة بوظائفها، ولعل استعماله بلا واسطة الحرف اشارة إلى ان العبد ينبغي ان لا يرى بينه وبين الحق واسطة في الاستعانة بان يقصر نظره عليه أويرى الوسائط منه وتقديم المفعول لقصر العبادة والاستعانة عليه ـ تعالى ـ قصراً حقيقياً أواضافياً افرادياً، ولتقدمه ـ تعالى ـ في الوجود، وللتنبيه على ان العابد والمستعين ينبغي ان يكون نظرهما بالذات إلى الحق ـ سبحانه ـ ثم منه إلى أنفسهم لا من حيث ذواتها، بل من حيث أنها ملاحظة له تعالى، ثم إلى عبادتهم ونحوها، لا من حيث صدورها عنهم، بل من حيث انها وصلة بينهم وبينه ـ تعالى ـ لعل تكرار الضمير للتنصيص على التخصيص بالاستعانة، فينتفي توهم التخصيص بالأمرين، وتقدير مفعول الاستعانة مؤخراً، ولبسط الكلام مع المحبوب كآية : (هي عصاي)[1] ولعل تقديم العبادة على الاستعانة لتوافق الفواصل، ولكون تقديم الوسيلة على طلب الحاجة ادعى إلى الإجابة، ولمناسبة تقديم مطلوبه ـ تعالى ـ من العباد على مطلوبهم منه، ولان المتكلم لمّا نسب العبادة إلى نفسه كان كالمتعبد بما يصدر منه، فاستدراك ذلك بان العبادة لا تتم إلا بمعونته، ولعلّ إيثار صيغة المتكلم وحده لملاحظة القارئ

---

(١) سورة طه الآية ١٨.

دخول الحفظة، أوحاضري صلاة الجماعة، أوكل موجود(وان من شيء إلا يسبّح بحمده)[1] أولأن كل جارحة وعضومنه تشتغل بذلك، أولإدخال عبادته وإستعانته في عبادة الغير إيذاناً بحقارتها بإنفرادها، وجعلها مع الغير كبيع الصفقة، إما أن يقبل الجميع، أويردّ الجميع وهوتعالى ـ أكرم من أن يرد الجميع، إذ لا بد من وجود عبادة مقبولة فيهم كامام الزمان فيقبل الجميع، وللاحتراز عن الكذب لو انفرد في ادّعائه قصر خضوعه التام ،أو استعانته عليه ـ تعالى ـ وفي الجمع يمكن ان يقصد تغليب الخلص على غيرهم فيصدق. ولعل النكتة في الالتفات من الغيبة إلى الخطاب ـ مضافاً إلى التفنن في الكلام والتطرية[2] وتنشيط السامع ـ أنّ الأوصاف المذكورة أوجبت التميز والانكشاف بحيث صار حاضراً مخاطباً أوان القراءة انما يعتدّ بها إذا صدرت عن قلب حاضر مقبل على المنعم ولم يزل في ازدياد حتى أوجب الحضور، أوأن الحمد اظهار مزايا المحمود، فالمخاطب به غيره ـ تعالى ـ فالمناسب له طريق الغيبة، والعبادة ونحوها ينبغي كتمانها عن غير المعبود للقرب إلى الإخلاص والبعد عن الرياء فناسبه طريق الخطاب، اوالتلويح إلى قوله (ع)« اعبد الله كأنك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك»، وعن الصادق (ع) «لقد تجلّى الله لعباده في كلامه، ولكن لا يبصرون»، وعنه (ع) أنه خرّ مغشيّا عليه وهوفي الصلاة فسئل عن ذلك فقال: «ما زلت أردّدها حتى سمعتها من المتكلم»، وفي النبوي: « (إياك نعبد) اخلاص للعبادة، و(إياك نستعين) أفضل ما طلب به العباد حوائجهم» وقال الرضا (ع): (إياك نعبد) رغبة وتقرّب إلى الله، واخلاص له بالعمل دون غيره، و(إياك نستعين) استزادة من توفيقه وعبادته، واستدامة

---

(١) سورة الأسراء الآية ٤٤.

(٢) تطرية الكلام أي جعله ليناً.

لما أنعم اللّه عليه ونصره﴿ اهْدِنَا الصِّراطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ فصل عمّا قبله لكمال الانقطاع، لتخالفهما خبراً وإنشاءً، أولكمال الاتصال، لأنه بيان للإعانة المطلوبة كأنه قيل: كيف أعينكم؟ فقالوا: اهدنا، و«الهداية» : الدلالة بلطف وان لم توصل إلى المطلوب، وقيل: الموصلة ويدفعه (فهديناهم فاستحبوا العمى)[١] وقيل: اراءة ما يوصل ويدفعه (انك لا تهدي من أحببت)[٢] وقيل: ان تعدت إلى ثاني مفعوليها بنفسها فالموصلة، ولا تسند إلا إليه ـ تعالى ـ أوبالحرف فالاراءة، وتسند إلى النبي (ص) والقرآن، ويدفعه (وهديناه النجدين)[٣] والاسناد إلى غيره ـ تعالى ـ في(فاتبعني أهدك صراطاً سوياً)[٤] والحق استعمالها في الجميع قيل: وهداية اللّه ـ تعالى ـ تتنوع أنواعاً لا يحصيها عدّ لكنها تنحصر في أجناس مترتبة: الأول: افاضة القوى والحواس لجلب النفع ودفع الضرر (اعطى كل شيءخلقه ثم هدى)[٥] الثاني: نصب الدلائل الفارقة بين الحق والباطل (وهديناه النجدين) الثالث: إرسال الرسل وإنزال الكتب و(اما ثمود فهديناهم)[٦] الرابع: ازالة الغواشي البدنية، وإراءة الأشياء كما هي بالوحي والإلهام اوالمنام الصادق والاستغراق في ملاحظة جماله وجلاله، وهذا يختص به الأنبياء والأولياء ونحوهم(أولئك الذين هدى

---

(١) سورة فصلت الآية ١٧.

(٢) سورة القصص الآية٥٦ .

(٣) سورة البلد الآية ١٠.

(٤) سورة مريم الآية ٤٣.

(٥) سورة طه الآية٥٠.

(٦) سورة فصلت الآية ١٧.

اللّه فبهداهم اقتده)[١] فغير الواصل يطلب المرتبة الاخيرة، والواصل يطلب الزيادة والثبات(والذين اهتدوا زادهم هدى)[٢] وفي المرتضوي (اهدنا) ثبتنا و(الصراط) الجادّة، من سرط الطعام أي: ابتلعه فكأنه يسترط السابلة[٣]، وهم يسترطونه وجمعه سُرُط كَـ(كتُب)، ويذكّر ويؤنث كالسبيل، وأصله السين قلبت صاداً لتطابق الطاء في الاطباق وقرأ ابن كثير بالأصل، وحمزة بالإشمام[٤]، والباقون بالصاد وهي لغة قريش و﴿الصراط المستقيم﴾ طريق الحق، أودين الاسلام، أوكتاب الله، وفي النبوي «اهدنا الصراط المستقيم» صراط الأنبياء وهم الذين أنعم اللّه عليهم، وروي انه كتاب اللّه وفي الصادقي: «انه امير المؤمنين(ع) ومعرفته» وفيه: «واللّه نحن الصراط المستقيم»، وفي آخر: « هوالطريق إلى معرفة اللّه، وهما صراطان صراط في الدنيا وصراط في الآخرة، فاما الصراط في الدنيا فهوالإمام المفترض الطاعة، من عرفه في الدنيا واقتدى به مرّ على الصراط الذي هوجسر جهنم في الآخرة، ومن لم يعرفه في الدنيا زلت قدمه عن الصراط في الآخرة فتردّى في نار جهنم» وعنه (ع) في وصفه: «ألف سنة صعود، وألف سنة هبوط، وألف سنة حدال» وسئل (ع) عن الصراط فقال: «هوأدّق من الشَعر، وأحدّ من السيف، فمنهم من يمرّ عليه مثل البرق، ومنهم من يمرّ عليه مثل عدوالفرس، ومنهم من يمر عليه ماشياً، ومنهم من يمر عليه حبواً، ومنهم من يمرّ عليه متعلقاً فتأخذ النار منه شيئاً وتترك منه شيئاً، وعنه (ع) في الآية إرشاد للزوم الطريق

---

(١) سورة الانعام الآية ٩٠.

(٢) سورة محمد(ص)الآية ١٧.

(٣) أي المارة من الناس.

(٤) الاشمام عند القراء هوالاشارة بالشفتين الى الضمة المحذوفة من آخر الكلمة الموقوف عليها بالسكون من غير تصويت بهذه الضمة.

المؤدي إلى محبتك، والمبلغ دينك، والمانع من ان نتبع هوانا فنعطب، أونأخذ بآرائنا فنهلك ﴿ صِراطَ الَّذِينَ أَنعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ اشارة إلى قوله تعالى: (فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصدّيقين والشهداء والصالحين) كما عن علي والعسكري (ع)، وقيل: المراد بهم المسلمون فإنّ نعمة الإسلام أصل كل النعم. وقيل: الأنبياء، وهوبدل كلٍ مما قبله وعن الصادق (ع): ﴿صراط الذين أنعمت عليهم﴾ يعني محمداً وذريّته، و« الانعام» إيصال النعمة، وهي ـ في الأصل ـ مصدر بمعنى: الحالة المستلذة، ثم أطلقت على نفس الشيء المستلذ تسمية للسبب باسم المسبب قيل: ونعمه ـ سبحانه ـ على كثرتها، وتعذّر حصرها (وان تعدوا نعمت الله لا تحصوها) ثمانية انواع: امّا دنيوي موهبي روحاني، كإفاضة العقل، أوجسماني كخلق الأعضاء، واما دنيوي كسبي روحاني كتحلية النفس بالأخلاق الزكية، أوجسماني كتزيين البدن بالهيئات المطبوعة، واما أُخروي موهبي روحاني كغفران ذنب من لم يتب، أوجسماني كأنهار العسل، واما أُخروي كسبي روحاني كغفران ذنب التائب، أوجسماني كاللذات الجسمانية المستجلبة بالطاعات، والمراد هنا الاربعة الاخيرة وما يكون وصلة إليها من الاربعة الأول لاشتراك المؤمن والكافر فيما عدا ذلك﴿ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ ولا الضَّالِّينَ﴾ و«الغضب» ثوران النفس لإرادة الانتقام، واسناده إليه ـ تعالى ـ باعتبار الغاية ـ كما مرّ في الرّحمة ـ ولعلّ العدول عن اسناده إليه ـ تعالى ـ الى صيغة المجهول بخلاف (أنعمت) ونحوه لتأسيس مباني الرّحمة، فكأن الغضب والعذاب لم يصدر منه ـ تعالى ـ وانما هوالعمل السيء تجسّم «إنما هي أعمالكم» بخلاف الرّحمة والانعام فإنها تفضّل منه ـ تعالى ـ لا يستوجبها العبد بفعله كما قال (ع): «لن يدخل أحدكم الجنة بعمله» ومثله في التصريح بالوعد والتعريض بالوعيد قوله: (لئن شكرتم

لأزيدنكم ولئن كفرتم ان عذابي لشديد)[1]. ولم يقل (لأعذبنكم) و« الضلال» العدول عن الطريق النّبوي ولوخطاً وشعبه كثيرة، بشهادة قوله (ص): «ستفترق امّتي ثلاثاً وسبعين فرقة، فرقة ناجية والباقون في النار» والمشهور تفسير (المغضوب عليهم) باليهود و(الضالّين) بالنصارى لقوله تعالى في اليهود (من لعنه الله وغضب عليه)[2] وفي النصارى(قد ضلّوا من قبل واضلّوا كثيراً)[3]وقيل المراد بهما مطلق الكفّار وقيل مطلق من اتصف بذلك من الكفّار وغيرهم و(غير): بدل كلٍ من (الذين) أي ان المنعم عليهم هم الذين اسلموا من الغضب والضلال، فيفيد التأكيد والتنصيص، اوصفة ويكون تعريف الموصوف وتوغّل الصفة في النكارة مخرجاً لأحدهما عن الصرافة، اما بجعل الموصول مقصوداً به جماعة لا بأعيانهم، فيصير معهوداً ذهنياً فيجري مجرى النكرات كالمعرف بلام الجنس والمراد به فرد غير معيّن، اوبجعل (غير) بالإضافة إلى ذي الضد الواحد معيّناً تعيّن المعارف فينكسر إبهامه فيصح وصف المعرفة به.

---

(١) سورة ابراهيم الآية ٧.

(٢) سورة المائدة الآية ٦٠.

(٣) سورة المائدة الآية ٧٧.

سورة البقرة

مدنية، وقيل أول سورة نزلت بالمدينة وهي

مائتان وست أوسبع وثمانون آية.

[الآيات (١-٥)]

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الٓمٓ ﴿١﴾ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ وَٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلِكَ وَبِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدٗى مِّن رَّبِّهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴿٥﴾

عن النّبي (ص) «من قرأ هذه السورة أعطاه اللّه بكل حرف أمانا من حرّ جهنم.

﴿ الم﴾ قيل: هي اسماء للقرآن للاخبار عنها به وللكتاب، وقيل: اسماء اللّه ـ تعالى ـ لقول علي (ع)«يا كهيعص» «يا حمعسق» وقيل مختصرة من كلمات فـ(آلم) معناه انا اللّه اعلم ونحوه، وقيل: اشارة إلى مدد وآجال بحساب الجمل، وقيل: مقسم بها لشرف الحروف، لأنها مباني أسمائه ـ تعالى ـ وكتبه وقيل: سرّ اللّه تعالى وقيل من المتشابه الذي استأثر اللّه بعلمه، وقيل: يتألّف منها الاسم الأعظم كما يتالف من (الر) و(حم) و(ن) الرحمن فان جعلت اسماء اللّه ـ تعالى ـ أوالسّور، اوالقرآن، فمحلها الرفع على الابتداء، أو الخبر، او النصب بتقدير(أتل) أو(فعل القسم، أو (الجر)

بإضمار حرف القسم وان عدّدت مبقاة على معانيها، فان أوّلت بالمؤلف فالرفع، وان جعلت مقسماً بها، فالنصب أوالجر، وإلا فلا محل لها وفي الباقري («الم» وكل حرف في القرآن مقطعه من حروف اسم اللّه الأعظم، الذي يؤلفه الرسول والإمام فيدعوبه فيجاب)، ونحوه عن الصادق (ع)، وعنه (ع): «الم في أول سورة البقرة معناها انا اللّه الملك»، وعن الباقر (ع) ما يدل على القول الرّابع، وروى العامة، عن علي (ع) قال «لكل كتاب صفوة، وصفوة هذا الكتاب حروف التهجي»، وسئل الصادق (ع) عن «الم» فقال: «في الالف ست صفات من صفات اللّه، الابتداء فان اللّه ـ عزّ وجل ـ ابتدأ جميع الخلق، والالف ابتداء الحروف، والاستواء فهوعادل غير جائر، والالف مستوفي ذاته. والانفراد فاللّه فرد، والالف فرد، واتصال الخلق باللّه، واللّه لا يتصل بالخلق، وكلهم يحتاجون إليه، واللّه غنّي عنهم، والالف كذلك لايتصل بالحروف والحروف متصلة به، وهومنقطع عن غيره واللّه ـ تعالى ـ بائن بجميع صفاته من خلقه ومعناه من الالفة فكان اللّه عزّ وجل سبب الفة الخلق فكذلك الالف عليه تألفت الحروف وهوسبب ألفتها»﴿ ذلكَ الْكتابُ﴾ الإشارة إلى «الم» أي هذه الحروف التي ينتظم منها كلامكم، أوهذا المؤلف منها، أوالقرآن، أوالسورة، وحيث شابه البعيد لتقصيه اتى بصفته، أوإلى الكتاب، ويكون صفته اي الكتاب الموعود به فـ(الم): ان جعلت اسماً للسورة، أوالقرآن، أومؤولة بالمؤلف مبتدأ، و(ذلك) مبتدأ ثان، و(الكتاب) خبره، والجملة خبر الأول ومعناه: انه الكتاب الكامل الحري بان يسمى كتاباً أوالخبر (ذلك) و(الكتاب) صفة. أو(آلم) خبر لمحذوف و(ذلك) خبر ثان أوبدل و(الكتاب) صفته.او(ذلك) مبتدأ و(الكتاب) خبره، أوصفة والخبر (لا ريب فيه)﴿ لا رَيْبَ فِيهِ﴾ وفي تفسير الإمام: «يعني القرآن الذي افتتح بـ(آلم) هوذلك

الكتاب الذي أخبرت به موسى ومن بعده من الأنبياء، وهم أخبروا بني إسرائيل انّي سأنزله عليك يا محمد، لا شك فيه لظهوره عندهم» ﴿هُدىً لِلْمُتَّقِينَ﴾ بيان من الضلالة لهم، لأنهم هم المنتفعون به وان كان هدى للناس، أوزيادة ثبات لهم، أوالمراد المشارفون للتقوى وفي تفسير الإمام: « معناه بيان وشفاء للمتقين من شيعة محمد وعلي، اتقوا انواع الكفر فتركوها، واتقوا الذنوب الموبقات فرفضوها، واتقوا إظهار أسرار اللّه واسرار أزكياء عباده الأوصياء بعد محمد(ص)فكتموها، واتقوا ستر العلوم عن أهلها، المستحقين لها، ففيهم نشروها وفي الباقري: (الكتاب) امير المؤمنين لا شك فيه انه امام هدى للمتقين، وقيل ووافق الوجوه الاعرابية كون الآية أربع جمل متناسقة تقرر كل لاحقة سابقتها، ولذا لم يتخللها العاطف، فـ(الم) جملة تفيد التحدي، و(ذلك الكتاب) ثانية تقرر جهة التحدي، و(لا ريب فيه) ثالثة تسجّل كماله، و(هدىً للمتقين) رابعة تقرر كونه يقيناً لا يشك فيه.وللتقوى مراتب ثلاث: التوقي من الشرك و﴿الزمهم كلمة التقوى﴾[1] أي: التوحيد والتجنب عن المعاصي، والتنزه عمّا يشغل السر عن الحق. ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ﴾ في الصادقي: (يصدقون بالبعث والنشور، والوعد والوعيد)، وفي آخر: (الإقرار بقيام القائم)، وقيل يعم ما غاب عن الحواس من التوحيد، ونبوة الأنبياء، وقيام القائم، والرجعة واليوم الآخر، وساير مايعرف بالمشاهدة ويلزمهم الإيمان به﴿وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ﴾ أي: يعدلون أركانها وافعالها، بصيانتها عمّا يفسدها أوينقصها ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ﴾ من الأموال والأبدان والجاه والعلم﴿يُنْفِقُونَ﴾ وفي الصادقي: (مما علمناهم يبثون)،

---

(١)سورة الفتح الآية ٢٦.

و« الرزق»: ما ينتفع به الحيوان. ودلّ اسناده إليه ـ تعالى ـ ومدحهم بالإنفاق منه، على ان الحرام ليس منه لتعاليه سبحانه عن القبائح وعدم اقتضاء انفاق الحرام المدح، وتقديم الظرف للاهتمام به، لحليته، ورعاية الفواصل، وأشير بـ(من) التبعيضية إلى الكف عن التبذير ﴿ والَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِما أُنْزِلَ إِلَيْكَ﴾ من القرآن والشريعة ﴿ وما أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ ﴾ من سائر كتب اللّه المنزلة ﴿ وبِالآخِرَةِ﴾ الدار التي بعد هذه الدار ﴿ هُمْ يُوقِنُونَ﴾ لا يشكّون، وفي تقديم الظرف، وبناء (يوقنون) على (هم) تعريض بغيرهم من أهل الكتاب، وأنّ ما هم عليه من أمر الآخرة غير مطابق ولا عن ايقان ﴿ أُولئِكَ عَلى هُدىً مِنْ رَبِّهِمْ﴾ على صواب، وعلم بما أمرهم به، وفي الاستعلاء اشارة إلى تشبيه تمسكهم بالهدى، وثباتهم عليه باعتلاء الراكب مركبه، وتنكير هدى للتعظيم، والاسناد إلى الرّب تأكيد لتعظيمه بانّه ممنوحه وهواللطف والتوفيق ﴿ وأُولئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ الفائزون بما يؤملون، وتكرير ﴿ أولئك﴾ يفيد اختصاصهم، وتميزهم عن غيرهم بكل واحدة من المرتبتين، وادخل العاطف لاختلاف الجملتين مفهوماً، و(هم) فصل يفصل الخبر عن الصفة، ويحصره في المبتدأ ويؤكد الحكم، وتعريف المفلحون للعهد اي: « المتّقون» هم الناس الذين بلغك انهم مفلحون في الآجل، أوللجنس بارادة حصره في المسند إليه، أواتحاد المسند إليه به. قيل: فانظر كيف نبّه ـ تعالى ـ على اختصاص المتقين بالأثرتين: بذكر اسم الإشارة المفيد للعليّة مع الإيجاز، وتكريره وتعريف المفلحين، وضم الفصل اعلاناً بفضلهم وحثّاً على لزوم نهجهم.

[سورة البقرة الآيات ٦-١٦]

إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ ءَأَنذَرۡتَهُمۡ أَمۡ لَمۡ تُنذِرۡهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴿٦﴾ خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ وَعَلَىٰ سَمۡعِهِمۡۖ وَعَلَىٰٓ أَبۡصَٰرِهِمۡ غِشَٰوَةٞۖ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ﴿٧﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَمَا هُم بِمُؤۡمِنِينَ ﴿٨﴾ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَمَا يَخۡدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمۡ وَمَا يَشۡعُرُونَ ﴿٩﴾ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضٗاۖ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمُۢ بِمَا كَانُواْ يَكۡذِبُونَ ﴿١٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمۡ لَا تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ قَالُوٓاْ إِنَّمَا نَحۡنُ مُصۡلِحُونَ ﴿١١﴾ أَلَآ إِنَّهُمۡ هُمُ ٱلۡمُفۡسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشۡعُرُونَ ﴿١٢﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمۡ ءَامِنُواْ كَمَآ ءَامَنَ ٱلنَّاسُ قَالُوٓاْ أَنُؤۡمِنُ كَمَآ ءَامَنَ ٱلسُّفَهَآءُۗ أَلَآ إِنَّهُمۡ هُمُ ٱلسُّفَهَآءُ وَلَٰكِن لَّا يَعۡلَمُونَ ﴿١٣﴾ وَإِذَا لَقُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوۡاْ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمۡ قَالُوٓاْ إِنَّا مَعَكُمۡ إِنَّمَا نَحۡنُ مُسۡتَهۡزِءُونَ ﴿١٤﴾ ٱللَّهُ يَسۡتَهۡزِئُ بِهِمۡ وَيَمُدُّهُمۡ فِي طُغۡيَٰنِهِمۡ

يَعْمَهُونَ ﴿١٥﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلْهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمْ وَمَا كَانُواْ مُهْتَدِينَ ﴿١٦﴾

﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ بالله، وبما آمن به أولئك المؤمنون ﴿ سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ﴾ بمعنى الاستواء، وصف به كما وصف بالمصادر، ورفع بانه خبر(ان) وما بعده رفع بالفاعلية، أي: مستوعليهم إنذارك وعدمه، أو أنه خبر لما بعده اي: إنذارك وعدمه سواء عليهم، والجملة خبر (ان) وعدل إلى الفعل ملاحظةً للتجدد ﴿ أَ أَنْذَرْتَهُمْ﴾ أي خوفتهم ﴿ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لا يُؤْمِنُونَ﴾ اخبر عن علمه ـ تعالى ـ فيهم، ولا يلزم ال جبر، ولا تكليف ما لا يطاق، لان الاخبار بوقوع الشيء أوعدمه لا ينفي القدرة عليه، كاخباره ـ تعالى ـ عما يفعله هووالعبد باختياره، وفي الآية ونحوها اخبار بالغيب، واعجاز ان أريد بهم معنيون ﴿ خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وعَلَى سَمْعِهِمْ﴾ فلا يفقهون الحق، ولا يستمعون إليه﴿ وعَلَى أَبْصارِهِمْ غِشاوَةٌ﴾ فلا يبصرونه، قيل ذلك كناية عن تمكن اعراضهم عن الحق في قلوبهم واسماعهم حتى صار لهم كالجبلّة الصادرة عنه ـ تعالى ـ أوتمثيل حال قلوبهم بحال قلوب البهائم التي خلقها الله خالية عن الفطن أومن الاسناد إلى السبب، اومجاز عن ترك قسرهم على الإيمان كناية عن رسوخهم في الكفر، اوتهكم بهم وحكاية لقولهم: (قلوبنا في أكنّة مما تدعونا إليه وفي آذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب)[1] أوفي الآخرة، والتعبير بالماضي لتحققه بشهادة (ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم عمياً وبكماً وصماً) وفي تفسير الإمام: أي وسمها

---

(١)سورة فصلت الآية ٥.

بسمة يعرفها من يشاء من ملائكته إذا نظروا إليها بأنهم الذين لا يؤمنون وعلى سمعهم كذلك سمات ﴿ وعَلى أبْصارِهِمْ غِشاوَةٌ﴾ وذلك لما أعرضوا عن النظر فيما أريد منهم وجهلوا ما لزمهم من الإيمان، فصاروا كمن على عينيه غطاء لا يبصر ما أمامه ﴿ ولَهُمْ عَذابٌ عَظِيمٌ﴾ يعني: في الآخرة العذاب المعد للكافر، وفي الدنيا ايضاً لمن يريد ان يستصلحه بما انزل به من عذاب الاستصلاح لينبهه لطاعة، أومن عذاب الاصطلام[١] ليصير إلى عدله وحكمته (وعلى سمعهم) عطف على (قلوبهم) لقوله تعالى: (وختم على سمعه وقلبه)[٢] ولوقفهم عليه، وتكرير الجار للدلالة على شدة الختم في الموضعين، وافراد السمع للأمن من اللبس مع الخفة والتفنن، أولأنه في الأصل مصدر، وهولا يجمع أوعلى تقدير مضاف، أي: مواضع سمعهم، أولرعاية المناسبة بين المدرِك والمدرَك، فان مدرك السمع واحد وهوالصوت، ومدركاتهما أنواع، و(غشاوة) رفع بالإبتداء أوالظرف، والتنكير للتعظيم أوالنوعية أي نوع غير متعارف ﴿ ومِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وبِالْيَوْمِ الآخِرِ﴾ نزلت في الذين زادوا على كفرهم النفاق، والمراد الإيمان بالمبدأ والمعاد اللذين هما المقصود الأعظم من الإيمان ولذا خصّا بالذكر، وتكرير الباء لادعاء الإيمان بكل منهما على الصحة و(اليوم الآخر) من وقت الحشر إلى الأبد، اوإلى دخول السعداء الجنّة والأشقياء النار﴿ وما هُمْ بِمُؤْمِنِينَ﴾ نفي لما ادعوه وتكذيب لهم، والأصل يقتضي (وما آمنوا) لمطابقة قولهم(آمنا) وعدل عنه مبالغة، لأنّ إخراجهم عن جملة المؤمنين أبلغ من

---

(١)أي: الاستئصال والابادة . راجع المعجم الوسيط مادة : «صلم » ص ٥٢١.

(٢) سورة الجاثية الآية ٢٣.

نفي ايمانهم في الماضي، ولذا أكّد النفي بالباء﴿ يُخادِعُونَ اللّهَ ﴾ أي يعاملونه ـ تعالى ـ معاملة المخادع اويخادعون رسول اللّه (ص) بابدائهم له خلاف ما في جوانحهم[(١)] لأن مخادعة الرسول مخادعة اللّه(ومن يطع الرسول فقد أطاع اللّه)[(٢)] والخدع ان: توهم غيرك خلاف ما تريد به من المكروه، اي صورة صنعهم معه تعالى، من إظهار الإيمان وإبطان الكفر وصنعه ـ تعالى ـ معهم بإجراء احكام المسلمين عليهم، وهم أبغض الكفرة إليه، لمصالح يعلمها﴿ و﴾ يخادعون أيضاً﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وما يَخْدَعُونَ الاّ أنْفُسَهُمْ﴾ كذا قرأ نافع، وابن كثير، وابوعمرو، أي: ضرر خداعهم انّما يعود إليهم، اوانهم خدعوا أنفسهم، حيث منّوها الأباطيل، وخدعتهم هي كذلك، وقرأ الباقون (وما يخدعون)﴿ وما يَشْعُرُونَ﴾ ان الأمر كذلك وان اللّه يطلع نبيه (ص) على نفاقهم، فهم لفرط غفلتهم، كفاقد الحس﴿ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ ﴾ حقيقة، لأنها متألمة حزناً على فوت الرئاسة منهم، وحنقاً[(٣)] على الرسول والمؤمنين، أومجاز عن الكفر، والغل، وحب المعاصي، ونحوها من الأمراض القلبية، اوعن الجبن الذي داخَلَ قلوبهم حين رأوا شوكة المسلمين وقذف اللّه في قلوبهم الرعب﴿ فَزادَهُمُ اللّهُ مَرَضاً ﴾ تألماً، بإعلان شأن رسوله (ص)، اوطبعاً على قلوبهم لاستحقاقهم ذلك، أوجبناً بتضاعف النصر لرسوله (ص)﴿ ولَهُمْ عَذابٌ أَلِيمٌ﴾ موجع غاية الايجاع﴿ بِما كانُوا يَكْذِبُونَ﴾ بالتخفيف في قراءة عاصم، وحمزة، والكسائي، أي: لسبب كذبهم في قولهم:آمنا، اوبمقابلته والباقون بالتشديد لتكذيبهم الرسول بقلوبهم دائماً اوبألسنتهم إذا خلوا إلى شياطينهم،

---

(١) جمع(جانحة)وهي الضلع القصيرة مما يلي الصدر . والمعنى : خلاف ما في صدورهم المعجم الوسيط مادة (جنح) ص١٣٩.

(٢) سورة النساء الآية ٨٠.

(٣) أي: غيضاً وحقداً .«المعجم الوسيط مادة (حنق) ص ٢٠٣».

اوللمبالغة كبيّن الشيء، اوالتكثير كمؤنث الإبل، ولفظ (كان) للاستمرار، و(الكذب): الإخبار بالنسبة على خلاف ما هي به، والآية تفيد حرمته﴿ وإِذا قِيلَ لَهُمْ لا تُفْسِدُوا فِي الأرضِ﴾ بإظهار النفاق لعباد اللّه المستضعفين فتشوشوا عليهم دينهم، وباثارة الفتن والحروب بخداع المسلمين، ومعاونة الكفّار بإفشاء أسرارهم﴿ قالُوا إِنَّما نَحْنُ مُصْلِحُونَ﴾ نرضى محمداً (ص) في الظاهر، ونعتق أنفسنا من رقّه في الباطن، وفي هذا صلاح حالنا﴿ أَلا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ﴾ بفعلهم، لأن اللّه يعرّف نبيَّه نفاقهم، فهويلعنهم، ويأمر المؤمنين بلعنهم، ولا يثق بهم أيضاً أعداء المؤمنين، لأنهم يظنون انهم ينافقون أيضاً، وفيه رد دعواهم مع المبالغة بالإستيناف به وتصديره بالمؤكدين: (ألا) المنبهة على تحقق ما بعدها، و(ان) وتوسط الفصل وتعريف الخبر﴿ ولكِنْ لا يَشْعُرُونَ﴾ بكونهم مفسدين مع ظهوره كالمحسوس﴿ وإِذا قِيلَ لَهُمْ﴾ قال لهم خيار المؤمنين﴿ آمِنُوا كَما آمَنَ النَّاسُ﴾ المؤمنون قالوا فيما بينهم، إذ لا يجسرون على مكاشفة المؤمنين بهذا الجواب ﴿أَ نُؤْمِنُ كَما آمَنَ السُّفَهاء﴾ المذلون أنفسهم لمحمد (ص)؟ استفهام إنكاري، واللام للعهد والمعهود الناس، اوللجنس وهم داخلون فيه على رغمهم ﴿ أَلا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهاءُ﴾ الاخفّاء العقول والآراء ﴿ ولكِنْ لا يَعْلَمُونَ﴾ وفيه ردّ بليغ لتجهيلهم بجهلهم المؤذن برسوخه فيهم، مع ما في سابقتها، ولعل الفصل هنا بـ(لا يعلمون) وما سبق بـ(لا يشعرون) التلويح ان معرفة الحق من الباطل تحتاج إلى نظر، والنفاق المؤدي إلى الفساد يدرك بأدنى تفطن.﴿ وإِذا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قالُوا آمَنَّا﴾ صدر القصة بيان لمذهبهم، وهذه بيان لصنعهم مع المؤمنين والكفار فلا تكرار﴿ وإِذا خَلَوْا إِلى شَياطِينِهِمْ﴾ إخوانهم من المنافقين المظهرين للكفر، المماثلين للشيطان في عتوّهم﴿ قالُوا إِنَّا مَعَكُمْ﴾ في الدين والاعتقاد ـ كما كنّا ـ وخاطبوهم

بالاسمية تحقيقاً لثباتهم على دينهم، وأكدوها بـ(ان) لاعتنائهم بشأنه، وتوقعهم رواجه منهم والمؤمنين بالفعلية اخباراً باحداث الإيمان، ولم يعتنوا به ولم يتوقعوا رواجه ﴿إِنَّما نَحْنُ مُسْتَهْزِؤُنَ﴾ بالمؤمنين ﴿اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾ يجازيهم جزاء من يستهزأ به، اما في الدنيا فبإجراء احكام المسلمين عليهم، واما في الآخرة فبأن يفتح لهم بابا إلى الجنة، فيسرعون نحوه فإذا صاروا إليه، سدّ عليهم اويجازيهم على استهزائهم.سمي جزائه باسمه كجزاء سيئة سيئة ولعل العدول عن مستهزء طبق قولهم ليفيد حدوث الاستهزاء وقتاً فوقتاً ﴿وَيَمُدُّهُمْ﴾ يمهلهم ﴿فِي طُغْيانِهِمْ﴾ وهو مجاوزة الحد في العتو، وأصله تجاوز الشيء عن موضعه ﴿يَعْمَهُونَ﴾ والعمه: التحير[1] وهوفي البصيرة كالعمى في البصرك ﴿أُولئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلالَةَ بِالْهُدى﴾ استبدلوها به إستعارة، لأن الاشتراء فيه إعطاء بدل وأخذ آخر، أي: تركوا الهدى الذي جعل لهم بالفطرة التي فطر الناس عليها إلى الضلالة ﴿فَما رَبِحَتْ تِجارَتُهُمْ﴾ ترشيح للمجاز، لما ذكر الاشتراء أتبعه ما يشاكله تصويراً لما فاتهم لصورة خسارة التجارة وأسند إلى التجارة، لتلبسها بالفاعل ﴿وما كانُوا مُهْتَدِينَ﴾ إلى الحق والصواب، ولا إلى طرق التجارة، إذ ضيّعوا رأس مالهم وهوالهدى.

(١) راجع المعجم الوسيط ، مادة (عمه)ص ٦٢٩.

سورة البقرة الآيات ١٧-٢٤]

مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّآ أَضَآءَتْ مَا حَوْلَهُۥ ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِى ظُلُمَٰتٍ لَّا يُبْصِرُونَ ﴿١٧﴾ صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿١٨﴾ أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فِيهِ ظُلُمَٰتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِم مِّنَ ٱلصَّوَٰعِقِ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ ۚ وَٱللَّهُ مُحِيطٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٩﴾ يَكَادُ ٱلْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَٰرَهُمْ ۖ كُلَّمَآ أَضَآءَ لَهُم مَّشَوْا۟ فِيهِ وَإِذَآ أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا۟ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَٰرِهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٠﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾ وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا

عَلَىٰ عَبۡدِنَا فَأۡتُواْ بِسُورَةٖ مِّن مِّثۡلِهِۦ وَٱدۡعُواْ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِن لَّمۡ تَفۡعَلُواْ وَلَن تَفۡعَلُواْ فَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِي وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُۖ أُعِدَّتۡ لِلۡكَٰفِرِينَ ﴿٢٤﴾

﴿ مَثَلُهُمْ﴾ حالهم العجيبة ﴿ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نـاراً﴾ ليبـصر بهـا مـا حولـه ﴿ فَلَمَّا أَضاءَتْ﴾ النار ﴿ ما حَوْلَهُ ﴾حـول المـستوقد ان تعـدى وإلا فالفاعـل(مـا) والتأنيث لأنها أشياء وامكنة﴿ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ ﴾جواب لـ(ما) وجمع نظـراً إلـى المعنى بإرسال ريح أومطر اطفأها، وذلك انهم أبصروا بظاهر الإيمان الحق واعطوا احكام المسلمين فلما أضاء ايمانهم الظاهر ما حولهم أماتهم اللّه، وصاروا في ظلمات عذاب الآخرة ولم يقل (بنارهم) لأن المراد من إيقادها النور، والضمير للمنـافقين، وجواب (لمّا) محذوف أي: خمدت واسناد الإذهاب إليه ـ تعـالى ـ لأنـه المـسبب للاطفاء، وعدّي ذهب بـ(الباء) لإفادتها الاستصحاب بخلاف الهمزة، أي: أخذ اللّه نورهم وأمسكه، وعدل عن الضوء الموافق لأضاءت إلى النور للمبالغـة إذ لوقيـل: (ذهب بضوئهم) لأوهم الذهاب بالزيادة وبقاء ما يسمى نوراً، والغرض طمس النور عنهم أصلاً﴿ وتَرَكَهُمْ فِي ظُلُماتٍ لا يُبْصِرُونَ﴾ بان منعهم المعاونة واللطف، وخلى بينهم وبين اختيارهم وتنكير الظلمات وهي عدم النـور للتعظـيم وجمعهـا للمبالغـة بشدتها كأنها ظلمات متراكمة، أوالمراد ظلمة النفاق وظلمة سخط اللّه وظلمة العقاب السرمد، ومفعول(لا يبصرون) متروك، كأن الفعل لازم. قيل: و الآية مثل لانتفاعهم بكلمة الإسلام مـدّة حيـاتهم القليلـة وانقطاعـه بـالموت، ووقـوعهم فـي الظلمـات

المتراكمة باستضاءة المستوقد التي حصلت بعد السعي فزالت بإطفاء النار فبقي في ظلمة شديدة، أومثل لهداهم الذي باعوه بالنار الموقدة للاستضاءة والضلالة التي اشتروها فطبع بها على قلوبهم بإطفاء اللّه ـ تعالى ـ إياها وذهاب نورها ﴿ صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ ﴾ في الآخرة، أوفي الدنيا عما يتعلق بالآخرة، وهوعلى التشبيه لأنهم لما سدّوا آذانهم عن إصغاء الحق، وألستهم عن النطق به، وأبصارهم عن مشاهدة آياته، جعلوا كانّما إنتفت مشاعرهم ﴿ فَهُمْ لا يَرْجِعُونَ ﴾ إلى الهدى الذي باعوه، أوعن الضلالة التي اشتروها ﴿ أَو كَصَيِّبٍ مِنَ السَّماء ﴾ عطف على (الذي استوقد)، أي: كمثل ذوي صيّب لقوله (يجعلون) و(أو) للاباحة اي يباح تمثيلهم بكل منهما، والصيّب: المطر الذي يصوب أي ينزل، ويقال للسحاب، وتنكيره للتهويل، وتعريف السماء اشارة إلى تطبيق السحاب لكل آفاقها لا أفق واحد، فانه سماء أوالسماء السحاب فاللام للجنس ﴿ فيهِ ظُلُماتٌ ﴾ مثل للشبهات ﴿ ورَعْدٌ ﴾ مثل للتخويف والوعيد ﴿ وبَرْقٌ ﴾ مثل للآيات الباهرة. ﴿ يَجْعَلُونَ أَصابِعَهُمْ فِي آذانِهِمْ ﴾ استئناف، كأنه قيل (ما حالهم مع ذلك الرّعد؟) فأجيب به، والضمائر لذوي الصيّب، وإيثار الأصابع على الأنامل للمبالغة ﴿ مِنَ الصَّواعِقِ ﴾ أي من أجلها ﴿ حَذَرَ الْمَوْتِ ﴾ مفعول له ﴿ واللَّهُ مُحيطٌ بِالْكافِرِينَ ﴾ مقتدر عليهم لا يفوتونه كما لا يفوت المحاط به المحيط، قيل: شبّه تصاممهم عمّا يسمعون من الوعيد وما يطرقون به من النكايات بحال من يهوله الرعد فيخاف صواعقه فيسدّ أذنه عنها مع انه لا خلاص له منها ﴿ يَكادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصارَهُمْ ﴾ يذهب بها، وهذا مثل قوم ابتلوا ببرق فنظروا إلى نفس البرق، ولم يغضّوا عنه أبصارهم لتسلم من تلألؤه، ولم ينظروا إلى الطريق الذي يريدون ان يتخلصوا فيه

بضوء البرق، فهؤلاء المنافقون يكاد ما في القرآن من الآيات المحكمة التي يشاهدونها يبطل عليهم كل ما يعرفونه ﴿ كُلَّما أَضاءَ لَهُمْ مَشَوْا فِيهِ ﴾ في مطرح ضوئه ﴿ وإِذا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قامُوا ﴾ وقفوا وتحيروا، فهؤلاء المنافقون إذا رأوا ما يحبون في دنياهم فرحوا بإظهار طاعتهم، وإذا رأوا ما يكرهون فيها وقفوا، وأتى مع الإضاءة بـ(كلما) ومع الاظلام بـ(إذا) لحرصهم على المشي فكلّما صادفوا منه فرصة انتهزوها بخلاف التوقف ﴿ ولَوشاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ ﴾ بقصف الرعد ﴿ وأَبْصارِهِمْ ﴾ بوميض البرق حتى لا يتأتى لهم الاحتراز من أن تقف على كفرهم، وحذف مفعول (شاء) لدلالة الجواب عليه. ﴿ إِنَّ اللَّهَ عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ لا يعجزه شيء، قيل: والتمثيل: إما مركب تشبيه لحال المنافقين من الشدة والدهشة بحال من أخذه المطر في ليل مظلم مع رعد قاصف، وبرق خاطف، وخوف من الصواعق، اومفرق تشبيه لذواتهم بذوي الصيّب، وايمانهم المشوب بالكفر بصيّب فيه ظلمات ورعد وبرق، فإنه وان كان رحمة في نفسه لكنه نقمة في هذه الصورة، ونفاقهم حذراً مما يطرق به غيرهم من الكفرة بجعل الأصابع في الآذان من الصواعق حذر الموت، وتحيرهم بشدة الأمر بأنهم كلما أضاء لهم انتهزوا الفرصة فمشوا قليلاً وإذا أظلم عليهم وقفوا متحيرين ﴿ يا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ ﴾ قيل لما ذكر ـ تعالى ـ فِرَقَ المكلفين وأحوالهم التفت إليهم بالخطاب، تنشيطاً للسامع، و(يا) لنداء البعيد، ويستعمل في القريب منزلاً منزلته، اما لعظمته كـ(يا الله) أولغفلته، أوللاعتناء بالمدعوله، و(أيّ) وصلة إلى نداء المعرف باللام لتعذر دخول (يا) عليه واعطى حكم المنادى، وجعل ذواللام صفة موضحة له ملتزماً دفعه لأنه المقصود، واقحمت بينهما (هاء التنبيه) تأكيداً وتعويضاً لأي من الاضافة، وانما قال (ربكم) تنبيهاً على ان الموجب القريب

للعبادة التربية، ولذة النداء والخطاب أزالت مشقة التكليف ﴿ الَّذِي خَلَقَكُمْ ﴾ صفة للتعظيم والتعليل ﴿ وخلق الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ ﴾ من الأمم ﴿ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ حال من فاعل(اعبدوا) أي: راجين وصولكم إلى التقوى التي هي أعلى مراتب العبادة، أوعن مفعول خلقكم وما عطف عليه، أي: خلقكم ومن قبلكم في صورة المرجومنه التقوى لإجتماع أسبابها ودواعيها، وغلب المخاطب على الغائب والمراد الجميع ﴿ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأرضَ فِراشاً ﴾ ملائمة لطباعكم، موافقة لأجسادكم، مطا لحرثكم ودفن موتاكم، لا شديدة الحرّ فتحرقكم، ولا شديدة البرد فتجمدكم، ولا شديدة طيب الريح فتصدع هاماتكم، ولا شديدة النتن فتعطبكم، ولا شديدة اللين كالماء فتغرقكم، ولا شديدة الصلابة فتمتنع عليكم، في دوركم وأبنيتكم وقبور موتاكم ﴿ والسَّماءَ بِناءً ﴾ سقفاً محفوظاً يدير فيها كواكبها لمنافعكم ﴿ وأَنزَلَ مِنَ السَّماء ﴾ أي: السحاب أومما فوقه إليه ومنه إلى الأرض ﴿ ماءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَراتِ رِزْقاً لَكُمْ ﴾ بان جعله سبباً في خروجها، اومادة لها كماء الفحل للولد مع قدرته على إنشاء الأشياء كلها بلا أسباب ومواد، كما انشأ الأسباب والمواد ولكن ذلك لحكم كثيرة، و(من) للتبعيض و(رزقاً) مفعول له و(لكم) صفة ﴿ فَلا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنداداً ﴾ أشباهاً وأمثالاً فهي معطوف على(اعبدوا) أونفي منصوب بإضمار(أن) جواباً له ﴿ وأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ أنها لا تقدر على شيء من هذه النعم، ولا على مثل أفعاله، فالجملة حال من فاعل (تجعلوا)، ومفعول (تعلمون) متروك، أي: والحال انكم من أهل العلم ﴿ وإِنْ كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنا عَلى عَبْدِنا ﴾ حتى جحدتم نبوّته والقرآن الذي أتى به ﴿ فَأْتُوا بِسُورَةٍ ﴾ كائنة ﴿ مِنْ مِثْلِهِ ﴾ والضمير لـ(ما) و(من) للتبعيض أوللتبيين أوزائدة،

أي مماثلة للقرآن في البيان وحسن النظم والبلاغة، اولعبدنا و(من) للابتداءأي: ممن على حاله لم يقرأ الكتب ولم يأخذ من العلماء، أوصلة (فأتوا) والضمير لعبدنا ويرجح الاول بمطابقته﴿ فأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِه﴾ وبأنّ الحديث فيه لا في المنزل عليه ﴿ وادْعُوا شُهَداءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ متعلق بـ(ادعوا) أي: ادعوا إلى المعارضة كل من حضركم غير اللّه لأنه القادر على الإتيان بمثله، اوادعوا من دون اللّه من يشهدون بصدقكم، أي: لا تستشهدوا بآياته كما يفعله العاجز عن البيّنة، أوبشهدائكم، أي: ادعوا الذين اتخذتموهم آلهة من دون الله، وزعمتم انهم يشهدون لكم يوم القيامة ليعينوكم في المعارضة﴿ إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ﴾ بأن محمداً (ص) يقوله من تلقاء نفسه ﴿ فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا﴾ وتأتوا بمثله ﴿ ولَنْ تَفْعَلُوا﴾ ولا يكون هذا منكم أبداً اعتراض واخبار بالغيب﴿ فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا﴾ حطبها﴿ النَّاسُ والْحِجارَةُ﴾ حجارة الكبريت لأنها أشدّ الأشياء حراً، أوالأصنام التي نحتوها كما في(إِنَّكُمْ وما تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ)[1] عذّبوا بها محماة على خلاف ما أملوا زيادة في إيلامهم كما عذب الكافرون بما كفروا، وجيء بـ(إن) التي للشك مكان(إذا) التي للوجوب تهكماً بهم، وعبّر عن الإتيان بالفعل الأعم منه إيجازاً، وتعريف النار للعهد إذ سمعوا في سورة التحريم(ناراً وقودها الناس والحجارة)[2] ﴿ أُعِدَّتْ﴾ هيئت ﴿ لِلْكافِرِينَ﴾ فهي الآن مخلوقة ـ كما تواترت به الاخبارـ والجملة إستيناف اوحال من النار بتقدير (قد).

---

(١) سورة الانبياء الآية ٩٨.

(٢)سورة التحريم الآية ٦.

[سورة البقرة الآية ٢٥ - ٢٩]

وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ كُلَّمَا رُزِقُواْ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا ۙ قَالُواْ هَٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَأُتُواْ بِهِۦ مُتَشَٰبِهًا ۖ وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ ۖ وَهُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٥﴾ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْىِۦٓ أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ۖ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَيَقُولُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا ۘ يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرًا وَيَهْدِى بِهِۦ كَثِيرًا ۚ وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٦﴾ ٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٢٧﴾ كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا فَأَحْيَٰكُمْ ۖ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٨﴾ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ ۚ وَهُوَ

بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٩﴾

﴿ وبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وعَمِلُوا الصَّالحاتِ﴾ فيه إشارة إلى ان السبب في استحقاق الجنات الجمع بين الأمرين ﴿ أنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ﴾ جمعت وتكررت لاشتمالها على جنان كثيرة متنوعة على مراتب متفاوتة ﴿ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنهارُ﴾ أي من تحت أشجارها النابتة على الشواطئ، واللام للجنس أوالعهد في قوله: (فيها أنهار من ماء)[1] ﴿ كُلَّما﴾ نُصبَ ظرفاً ﴿ رُزِقُوا مِنْها﴾ من تلك الجنات ﴿ مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقاً﴾ مفعول ثان ﴿ قالُوا هذَا الَّذِي رُزِقْنا مِنْ قَبْلُ﴾ في الدنيا فأسماؤه كاسمائه، لكنه في غاية اللطافة والطيب واللذة غير مستحيل إلى ما تستحيل إليه ثمار الدنيا ﴿ وأُتُوا بِهِ﴾ أي بالرزق ﴿ مُتَشابِهاً﴾ يشبه بعضه بعضاً بأنها كلها خيار، وبأنها متفقات الألوان مختلفات الطعوم ﴿ ولَهُمْ فِيها أَزْواجٌ مُطَهَّرَةٌ﴾ أبداناً وأخلاقاً من انواع الأقذار والمكاره، وإفراد الصفة على تأويل الجماعة ولم يقل: طاهرة، لأن مطهرة أبلغ، وإشعاراً بانّ مطهرهن هوالله، والزوج يقال للذكر والأنثى ﴿ وهُمْ فِيها خالِدُونَ﴾ دائمون وبهذا الوعد تمّت النعمة لازالة ما ينغصها من خوف الانقطاع، وروي ان آية: (وبشّر الذين آمنوا) نزلت في علي وجعفر وحمزة وعبيدة بن الحارث ﴿ إِنَّ اللَّهَ لا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلاً ﴾ للحق يوضحه لعبادة المؤمنين، ومحل(ان يضرب) النصب بـ(يستحيي) أوبنزع الخافض ﴿ ما ﴾ أيُّ مثلٍ كان، فهي إبهامية تزيد النكرة إبهاماً كـ(اعتق عبداً ما) أي عبدٍ كان، أوزائدة للتأكيد كما في (فَبِما رَحْمَةٍ) ﴿ بَعُوضَةً ﴾ عطف بيان، أومفعول (يضرب) و(مثلاً) حال عنه مقدمة لتنكيره، أوهما مفعولاه لتضمنه معنى الجعل،

---

(١) سورة محمد الآية ١٥.

ويطلق غالباً على صغار البق[1] ﴿فَما فَوْقَها﴾ عطف على (بعوضة) أي: ما زاد عليها في القلّة والحقارة كجناحها، ضرب به مثلاً للدنيا، أوفي الحجم كالذباب والعنكبوت ونحوهما، ونزلت الآية رداً على الطاعنين في ضربه ـ تعالى ـ الأمثال في كتابه بالذباب والعنكبوت ﴿فَأَمَّا الَّذينَ آمَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ﴾ المثل المضروب ﴿الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ﴾ أي أراد به الحق وإبانته ﴿وأَمَّا الَّذينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ﴾ لم يقل: فلا يعلمون، ليطابق قرينه لدلالة قولهم على كمال جهلهم، فكنى به عنه ليكون كالبرهان عليه﴿ ماذا أرادَ اللَّهُ بهذا مَثَلًا﴾ (ما) استفهامية و(ذا) بمعنى الذي، وتاليه صلته، والمجموع خبر (ما) أو(ماذا) اسم واحد بمعنى: أي شيء، ومحله النصب بـ(أراد) و(مثلاً) تمييز حال﴿ يُضِلُّ بِهِ كَثِيراً ويَهْدي بِهِ كَثِيراً﴾ أي يقول الذين كفروا لا معنى للمثل لأنه ـ وان نفع به من يهديه ـ فهويضرّ به من يضل به، فردّ اللّه عليهم بقوله ﴿وما يُضِلُّ بِهِ إلاَّ الْفاسِقينَ﴾ الخارجين عن دين اللّه كذا في تفسير الإمام، وقيل انّه جواب(ماذا) اي إضلال كثير وإهداء كثير بإنكاره وقبوله، ووضع الفعل موضع المصدر لإرادة الحدوث والتجدد وكثرة القبيلتين حقيقية لا بالقياس إلى مقابليهم، فان المهتدين قليلون بالنظر إلى أهل الضلال كما قال تعالى: (وقليل من عبادي الشكور)[2] وان كانت اضافية فكثرة الضالين من حيث العدد، وكثرة المهتدين باعتبار الفضل والشرف، كما قيل:

---

(١) راجع (لسان العرب)لإبن منظور . مادة (بعض).

(٢) سورة سبأ الآية ١٣.

قليل إذا عدّوا كثيراً إذا شدّوا[1]

واسناد الإضلال إليه تعالى لأنه السبب ﴿الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ﴾ المأخوذ عليهم لله بالربوبية ولمحمد (ص) بالنبوة ولأخيه بالإمامة ولشيعتهما بالمحبة، وقيل: هوما ركز في عقولهم من الحجة على التوحيد وصدق الرسل، وقيل: هوالمأخوذ بالرسل على الخلق بأنهم إذا بعث إليهم رسول مؤيد بالمعجزات صدّقوه، وقيل عهوده ـ تعالى ـ ثلاثة: عهد أخذه على جميع ذرية آدم بالإقرار بربوبيته، وعهد أخذه على النبيين بإقامة الدين وعدم التفرق فيه، وعهد أخذه على العلماء بتبيين الحق وعدم كتمه﴿مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ﴾ أحكامه. ﴿وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ﴾ من الأرحام والقرابات، اوكل قطيعة وتفرقة لا يرضاها الله، مما فيه رفض خير أوتعاطي شر﴿وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ﴾ بسبب قطع ما في وصله نظام العالم وصلاحه، أوبالدعاء إلى الكفر، أوقطع الطريق، أونقض العهد.﴿أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ لما صاروا إلى النيران وحرموا الجنان، أولاستبدالهم النقض بالوفاء، والقطع بالوصل، والفساد بالصلاح، والعقاب بالثواب ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ﴾ الخطاب لكفار قريش واليهود إنكاراً لكفرهم، وتوبيخاً لهم عليه، مع علمهم بحال تقتضي خلاف ذلك ﴿وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا﴾ في أصلاب آبائكم وأرحام أمهاتكم، أوكنتم عناصر وأغذية وأخلاطاً ونطفاً وما يتعقبها إلى ولوج الأرواح﴿فَأَحْيَاكُمْ﴾

---

(١) هذا عجز بيت لأبي الطيب المتنبي من قصيدة يمدح فيها محمد بن يسار التميمي ، يقول في أولها :

أقل فمالي بله اكثر مجد   وذا الجد فيه نلت أم لم أنل جد

وأصل البيت هكذا:

ثقالٍ إذا لاقوا خفافٍ إذا دعوا   كثير إذا شدوا قليلٍ إذا دعوا.

راجع : شرح ديوان المتنبي لعبدالرحمن البرقوقي ج١ ص٣٨٦.

بنفخ الأرواح فيكم، وعطف بالفاء لتعقبه الموت بلا تراخ والبواقي بـ (ثم) للتراخي ﴿ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ﴾ عند حلول آجالكم ﴿ثُمَّ يُحْيِيكُمْ﴾ في القيامة، أوفي القبور للسؤال ﴿ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ بعد النشور للجزاء، أوتبعثون من قبوركم للحساب، فـ(واو) وكنتم للحال، والحال هي العلم بجملة القصة لا كلّ جملة منها لمضي بعضها، وإستقبال بعضها، وكلاهما لا يصح حالاً، والمعنى: على أي حال تكفرون وأنتم عالمون بهذه القصة بأسرها، وفيه اشارة إلى ان القادر على الأحياء الأوّل أولى بالقدرة على الثاني.

﴿ هُوالَّذِي خَلَقَ لَكُمْ ما فِي الأَرْضِ جَمِيعاً﴾ لتعتبروا به وتتوصلوا إلى رضوانه وتتوقّوا من عذاب نيرانه فـ(اللام) للانتفاع، ويفيد إباحة الأشياء النافعة وانه تعالى يفعل لغرض و(الأرض) داخلة فيما في الأرض إن أريد بها جهة السفل، كالسماء لجهة العلو، وإلا فلا و(جميعاً) حال من (ما)﴿ ثُمَّ اسْتَوى إِلَى السَّماءِ﴾ أخذ في خلقها وإتقانها، أوقصد إليها، أواستولى، وفيه دلالة على تقدم خلق الأرض على السماء كما في قوله في السجدة (قل ائنكم لتكفرون بالذي خلق الأرض في يومين)[1] إلى قوله: (ثم استوى إلى السماء) وقيل: بالعكس لقوله تعالى (والأرض بعد ذلك دحاها[2] أي: بعد رفع سمك السماء، وجمع بينهما بان (ثمّ) لتفاوت ما بين الخلقين، وفضل خلق السماء على خلق الأرض، أوالخلق في الآيتين بمعنى: التقدير، أوأن خلق الأرض مقدم على خلق السماء ودحوها مؤخر عنه ﴿ فَسَوّاهُنَّ﴾ عدلهن مصونة عن العوجوالفطور.﴿ سَبْعَ سَماواتٍ﴾ بدل أومفسر ﴿ وَهُوبِكُل شَيءعَلِيم﴾علم المصالح فخلق لكم ما فيه صلاحكم.

---

(١) سورة فصلت الآية ٩.

(٢) سورة النازعات الآية ٣٠.

[سورة البقرة الآية ٣٠-٣٧]

وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِي بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣١﴾ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٢﴾ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ ۖ فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسْمَآئِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّيٓ أَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٣٣﴾ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِـَٔادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٤﴾ وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣٥﴾ فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ ۖ وَقُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ بَعْضُكُمْ

لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٣٦﴾ فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٣٧﴾

﴿ وإذْ قالَ ربُّكَ للْمَلائكَة ﴾ الذين كانوا في الأرض مع إبليس وقد طردوا عنها الجن لإفسادهم فيها،(و) إذ ظرف وضع لزمان نسبة ماضية يقع فيه اخرى نصب محلاً بإضمار(اذكر) أي: اذكر الحادث إذ قال، فحذف الحادث وأقيم الظرف مقامه أوبـ(قالوا) ﴿ إنّي جاعلٌ في الأرْض خَليفَةً ﴾ نائباً عني، يكون حجة لي في أرضي على خلقي ﴿ قالُوا أ تَجْعَلُ فيها مَنْ يُفْسدُ فيها ويَسْفكُ الدِّماءَ ﴾ كما فعلته الجن والنسناس ﴿ ونَحْنُ نُسَبِّحُ بحَمْدكَ ﴾ أي: حال كوننا متلبسين به، فننزهك عمّا لا يليق بك ﴿ ونُقَدّسُ لَكَ ﴾ نطهّر أرضك ممن يعصيك، فاجعل ذلك الخليفة منا، أونطهّر نفوسنا عن المعاصي لأجلك، أوننزهك عن السوء و(اللام) زائدة.﴿ قالَ إنِّي أعْلَمُ ما لا تَعْلَمُونَ ﴾ من الصلاح الكائن فيه، ومن الكفر الباطن ممن دخل فيكم وهوإبليس ﴿ وعَلَّمَ آدَمَ الأسْماءَ كُلَّها ﴾ أي: أسماء المخلوقات، وقيل أريد اسماء اللّه الحسنى التي بها خلقت المخلوقات وبتعليمها كلها إياه، خلقه من أجزاء متباينة وقوى مختلفة ليستعد لإدراك أنواع المدركات، فيتأتى له بمعرفتها مظهريته لأسماء اللّه الحسنى كلها، وجامعيته جميع كمالات الوجود اللائقة به﴿ ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلائكَة ﴾ الضمير للمسميات والمدلول عليها بالأسماء، إذ التقدير: أسماء المسمّيات، والتذكير لتغليب ما فيها من العقلاء﴿ فَقالَ أنبئُوني بأسْماء هؤُلاء ﴾ المعروضات، أوبحقائقها التي هي أسماء اللّه التي بها خلقت هذه الأشباح التي هي مظاهرها

﴿ إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ﴾ بأنكم أحق بالخلافة﴿ قالُوا سُبْحانَكَ لا عِلْمَ لَنا إِلاَّ ما عَلَّمْتَنا﴾ إقرار بالقصور، وإيذان بأن سؤالهم كان استعلاماً لا اعتراضاً﴿ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ﴾ بكل شيء بلا تعليم﴿ الْحَكِيمُ﴾ المصيب في كل فعل ﴿ قالَ يا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمائِهِمْ﴾ أخبرهم بالحقائق المكنونة عنهم، ليعرفوا جامعيتك لها، وقدرة الله على الجمع بين الصفات المتباينة في مخلوق واحد ﴿ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمائِهِمْ قالَ أَ لَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّماواتِ وَالأَرْضِ﴾ سرهما﴿ وأَعْلَمُ ما تُبْدُونَ﴾ من ردكم عليّ ﴿ وما كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ﴾ من انه لا يأتي أفضل منكم، وفي الآية دلالة على شرف الإنسان والعلم وفضله على العبادة، وتوقف الخلافة عليه، وانّ أدم أفضل من الملائكة لأنه اعلم منهم ﴿ وإِذْ قُلْنا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لآدَمَ﴾ لما في صلبه من نور محمد (ص) وأهل بيته (ع)، وهذا السجود كان لهم تعظيماً وإكراماً، ولله سبحانه عبودية، ولآدم طاعة وقيل جعل قبلة لهم تعظيماً لشأنه، وفيه دلالة على ان الأنبياء أفضل من الملائكة ﴿ فَسَجَدُوا إِلاَّ إِبْلِيسَ﴾ انما دخل في الأمر لكونه منهم بالولاء ولم يكن من جنسهم، أوأنه دخل تغليباً، أوان الجن كانوا مأمورين معهم، فاستغنى بذكر الأكابر عن الأصاغر، لقوله تعالى:(الاّ إبليس كان من الجن) فالقول بأنّه من الملائكة باطل، الاّ أن يقال أن جنساً من الملائكة سموا بالجن لاجتنانهم واستتارهم، بشهادة (وجعلوا بينه وبين الجنة نسباً) لقولهم: الملائكة بنات الله ﴿ أَبى﴾ امتنع عما أمر به﴿ واسْتَكْبَرَ﴾ ترفع، وانما يستعمل الاستكبار حيث لا استحقاق بخلاف التكبر﴿ وكانَ مِنَ الْكافِرِينَ﴾ أي: صار منهم بذلك، أوكان ذلك كامناً فيه ثم ظهر﴿ وقُلْنا يا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ﴾ تأكيد للمستكن ليعطف عليه ﴿ وزَوْجُكَ﴾ حواء، ولم يخاطبها أولاً اشعاراً بأنه المقصود وهي تبع ﴿ الْجَنَّةَ﴾ المعهودة، وهي دار الثواب إذ لا معهود غيرها وروي: انّها من جنان الدنيا، فالهبوط معنوي، أوانتقال كـ(اهبطوا مصراً) ﴿ وكُلا مِنْها

رَغَداً﴾ واسعاً بلا تعب ﴿ حَيْثُ شِئْتُما﴾ أيّ مكان منها شئتما ﴿ ولا تَقْرَبا هذه الشَّجَرَةَ فَتَكُونا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ بالأكل منها، قيل: انه نهي تنزيه لا تحريم، فكانا بالأكل منها تاركين فضلاً لعصمة الأنبياء وهي الحنطة، أوالكرمة أوالتينة، وروي: انها شجرة علم محمد وآل محمد يلتمسان بالأكل منها درجتهم فإنها لهم خاصة، وكانت شجرة تحمل أنواع الفواكه والأطعمة ولذلك اختلف الحاكون بذكرها وهي شجرة من تناول منها باذن اللّه علم علم الأولين والآخرين من غير تعلم، ومن تناول بغير إذن اللّه منها خاب من مراده وعصى ربّه﴿ فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطانُ عَنْها﴾ حملهما على الزّلة بسبب الشجرة، أوأزالهما عن الجنة، أي: اذهبهما، ويؤيده قراءة حمزة (فازالهما) وهما من الزوال، لكن مع عثرة في الاول، وإزلاله لهما بوسوسته ودعائه إياهما إلى الأكل منها، ومقاسمته لهما أنه ناصح، واختلف في كيفية توصله إلى ذلك ـ بعد ان قيل له اخرج منها ـ فقيل: انه انما منع الدخول تكرمة كما كان يدخل مع الملائكة ولم يمنعه للوسوسة ابتلاء لآدم وحواء، وقيل: وقف عند الباب فكلمهما، وقيل: دخل في فم الحيّة فدخلت به وقيل كلمهما من الأرض﴿ فَأَخْرَجَهُما مِمَّا كانا فِيهِ﴾ من النعيم والكرامة ﴿ وقُلْنا﴾ يا آدم ويا حواء ويا إبليس ويا حيّة (اهْبِطُوا) من الجنة، أوهبوطاً معنوياً ﴿ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌ﴾ آدم وحواء وولدهما عدوللحيّة وإبليس، وإبليس والحيّة وأولادهما أعداؤهم ﴿ ولَكُمْ فِي الأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ﴾ منزل ومقر للمعاش ﴿ ومَتاعٌ﴾ منفعة﴿ الى حِينٍ﴾ الموت والقيامة﴿ فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِماتٍ ﴾ ونصب ابن كثير (آدم) ورفع(كلمات)، على معنى تداركته، وقد تظافرت الروايات، بان الكلمات هي: التوسل بمحمد (ص) وآله (ع) الطاهرين، وقيل: هي(ربنا ظلمنا

أنفسنا إلخ) ﴿فَتَابَ عَلَيْهِ﴾ قبل توبته ﴿إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ﴾ القابل للتوبات، أو الكثير القبول للتوبة ﴿الرَّحِيمُ﴾ بالتائبين، واقترانه بالتوّاب وعد للتائب بالإحسان مع العفو.

[سورة البقرة الآيات ٣٨ - ٥٣]

قُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ مِنْهَا جَمِيعًا ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَاىَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٨﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٣٩﴾ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتِىَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا۟ بِعَهْدِىٓ أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّٰىَ فَٱرْهَبُونِ ﴿٤٠﴾ وَءَامِنُوا۟ بِمَآ أَنزَلْتُ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوٓا۟ أَوَّلَ كَافِرٍۭ بِهِۦ ۖ وَلَا تَشْتَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِى ثَمَنًا قَلِيلًا وَإِيَّٰىَ فَٱتَّقُونِ ﴿٤١﴾ وَلَا تَلْبِسُوا۟ ٱلْحَقَّ بِٱلْبَٰطِلِ وَتَكْتُمُوا۟ ٱلْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤٢﴾ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱرْكَعُوا۟ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴿٤٣﴾ ۞ أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٤٤﴾ وَٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ ﴿٤٥﴾ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُوا۟ رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿٤٦﴾ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُوا۟

نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ وَأَنِّي فَضَّلۡتُكُمۡ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٤٧﴾ وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا لَّا تَجۡزِي نَفۡسٌ عَن نَّفۡسٖ شَيۡـٔٗا وَلَا يُقۡبَلُ مِنۡهَا شَفَٰعَةٞ وَلَا يُؤۡخَذُ مِنۡهَا عَدۡلٞ وَلَا هُمۡ يُنصَرُونَ ﴿٤٨﴾ وَإِذۡ نَجَّيۡنَٰكُم مِّنۡ ءَالِ فِرۡعَوۡنَ يَسُومُونَكُمۡ سُوٓءَ ٱلۡعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبۡنَآءَكُمۡ وَيَسۡتَحۡيُونَ نِسَآءَكُمۡۚ وَفِي ذَٰلِكُم بَلَآءٞ مِّن رَّبِّكُمۡ عَظِيمٞ ﴿٤٩﴾ وَإِذۡ فَرَقۡنَا بِكُمُ ٱلۡبَحۡرَ فَأَنجَيۡنَٰكُمۡ وَأَغۡرَقۡنَآ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ وَأَنتُمۡ تَنظُرُونَ ﴿٥٠﴾ وَإِذۡ وَٰعَدۡنَا مُوسَىٰٓ أَرۡبَعِينَ لَيۡلَةٗ ثُمَّ ٱتَّخَذۡتُمُ ٱلۡعِجۡلَ مِنۢ بَعۡدِهِۦ وَأَنتُمۡ ظَٰلِمُونَ ﴿٥١﴾ ثُمَّ عَفَوۡنَا عَنكُم مِّنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ﴿٥٢﴾ وَإِذۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡفُرۡقَانَ لَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ ﴿٥٣﴾

﴿ قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْها جَمِيعاً ﴾ كرر تأكيداً أولاختلاف الحالين، إذ الاول هبوط قرن بالتعادي، والثاني هبوط للتكليف، أوالاول مطلق الهبوط، والثاني ان لا يتقدم أحدهم الآخر، وقيل: الاول من الجنّة إلى سماء الدنيا والثاني منها إلى الأرض ﴿ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدىً ﴾ (ما) زائدة تؤكد (إن) الشرطية ليحسن تأكيد الفعل وان لم تتضمن طلباً، وجواب الشرط جملة (فمن تبع هداي فلا خوف عليهم) ﴿ فَمَنْ تَبِعَ هُدايَ فَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ ﴾ حين يخاف الكافرون ﴿ ولا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ حين الموت، أي: ان

يأتكم مني هدى برسول أوكتاب فمن تبعه منكم نجا وفاز، وأتى بحرف الشك وإتيان الهدى كاين قطعاً إيذاناً باقتضاء العقل وجوب الإيمان بالله وان لم يأت به رسول، ولم يضمر الهدى الثاني ـ مع تقدمه ـ لأنه اعمّ من الاول لشموله النقلي والعقلي، أي: فمن تبع ما أتاه وما اقتضاه العقل فلا يلحقهم خوف فضلاً عن المخوف، ولا يفوتهم محبوب فيحزنوا عليه ﴿ والَّذِينَ كَفَرُوا وكَذَّبُوا بآياتنا﴾ ودلالاتنا ﴿ أُولئِكَ أَصْحابُ النَّارِ هُمْ فِيها خالِدُونَ﴾ (والذين) مبتدأ و(أولئك) بدل منه و(أصحاب)، خبره أوخبر (أولئك) والجملة خبره وما بعدها مقرر لها ﴿ يا بَنِي إِسْرائِيلَ﴾ قال الصادق (ع): (يعقوب) إسرائيل ومعنى إسرائيل عبد الله لأن(إسرا) هوعبد و(إيل) هوالله ، وفي آخر: (إسراء القوّة) اي: قوة الله ﴿ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ ﴾ من بعث محمد (ص) في مدينتكم، وإيضاح دلائل صدقه، وعلى إباثكم من انجائهم من فرعون والغرق وغير ذلك ﴿ وأَوْفُوا بِعَهْدِي﴾ إليكم بالإيمان والطاعة، أوالذي أخذته عليكم بلسان انبيائكم واسلافكم لتؤمنن بمحمد (ص) ﴿ أُوفِ بِعَهْدِكُمْ﴾ بما عاهدتكم من حسن الثواب، أضيف إلى المفعول والاول إلى الفاعل، وقيل: كلاهما مضاف إلى المفعول، أي: أوفوا بما عاهدتموني من الإيمان أوف بما عاهدتكم من الثواب ﴿ وإِيَّايَ فَارْهَبُونِ﴾ في نقض العهد، و(اياي) نصب بمضمر يفسره المذكور، وهوأكد في إفادة التخصيص من(اياي ارهبوا) وفي الآية وعد ووعيد، وإيجاب الشكر والوفاء بالعهد، والخوف من الله وحده ﴿ وآمِنُوا بِما أَنْزَلْتُ﴾ على محمد (ص) من القرآن﴿ مُصَدِّقاً لِما مَعَكُمْ ﴾ من الكتب الإلهية ﴿ ولا تَكُونُوا أَوَّلَ كافِرٍ بِهِ﴾ أخبر به عن الجمع بتقدير فريق، أو: لا يكن كل واحد منكم أول كافر به، قيل: ونهيهم عن السبق الكفر وقد سبقهم مشركوقريش أريد به

التعريض بان الواجب ان يكونوا أول من يؤمن به، لمعرفتهم ببعثه وتبشيرهم بمن اوحي إليه، واستفتاحهم به، أوأول كافر به من أهل الكتاب، أوممن كفر بما معه لكفره بصدقه فضمير به لـ (ما) ﴿ ولا تَشْتَرُوا بآياتي﴾ بتحريف آيات من التوراة فيها ﴿ ثَمَناً قَليلاً ﴾ عرضاً يسيراً من الدنيا، ولا تستبدلوا بالإيمان بالآيات الرياسة والرشا والكتمان ﴿ وإيَّايَ فَاتَّقُونِ ﴾ في كتمان أمر محمد (ص)، أوباتباع الحق ومجانبة غيره ﴿ ولا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بالْباطِلِ﴾ لا تخلطوه به، قالوا نعلم ان محمداً (ص) النبي ولكن لست أنت ذاك ﴿ وتَكْتُمُوا الْحَقَّ﴾ من نبوته ونعته في التوراة﴿ وأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ انكم كاتمون لابسون، والجملة حالية وهوأقبح إذ لا عذر للعالم﴿ وأَقيمُوا الصَّلاةَ وآتُوا الزَّكاةَ﴾ صلاة المسلمين وزكاتهم فالكفار مخاطبون بالفروع كالأصول ﴿ وارْكَعُوا مَعَ الرّاكِعينَ﴾ صلّوا في جماعتهم، عبّر عن الصلاة بالركوع لخلوصلاة اليهود عنه اوأريد به الخضوع والانقياد للحق﴿ أ تَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ﴾ تتركونها ﴿ وأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتابَ﴾ التوراة، وفيها الوعيد على ترك البر ومخالفة القول العمل﴿ أ فَلا تَعْقِلُونَ﴾ قبح ذلك، قيل: نزلت في علماء اليهود ورؤسائهم كانوا يأمرون سراً من نصحوه باتباع محمد (ص) ولا يتبعونه، أوبالصدقة ولا يتصدقون، وتعمّ كل من وصف عدلاً ثم خالفه إلى غيره، وفيها حث الواعظ على تكميل نفسه وتقويمها حتى يقوّم غيره، لا منع الفاسق عن الوعظ﴿ واسْتَعينُوا﴾ على البر، أوعلى مشقة ما كلفتموه من اتباع الحق ورفض الجاه والمال.﴿ بالصَّبْرِ﴾ عن المعاصي، أوبكفّ انفسكم عن هواها، وروي: الصيام﴿ والصَّلاةِ وإِنَّها﴾ أي: ﴿ الصلاة لَكَبيرَةٌ﴾ عظيمة شاقة ثقيلة﴿ إِلاَّ عَلَى الْخاشِعينَ﴾ الخائفين عقاب الله

ومخالفته ﴿الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلاقُوا رَبِّهِمْ﴾ يوقنون انهم يبعثون ﴿وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ راجِعُونَ﴾ يتوقعون لقاء ثوابه والحشر إليه فيجازيهم ﴿يا بَنِي إِسْرائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ﴾ كرر تأكيداً ﴿وأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ﴾ فضلت أسلافكم، عطف على (نعمتي) أي: وتفضيلي آباءكم قبل التغير ﴿عَلَى الْعالَمِينَ﴾ عالمي زمانهم، الذين خالفوا طريقتهم بالإيمان والعلم، وجعل الأنبياء فيهم، وإنزال الكتب عليهم ﴿واتَّقُوا يَوْماً﴾ وقت النزع، أوالقيامة مفعول به أي عذابه ﴿لا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئاً﴾ لا تدفع عنها عذابا قد استحقته ﴿ولا يُقْبَلُ مِنْها شَفاعَةٌ﴾ بتأخير الموت مأخوذ من الشفع، كأن المشفوع له الفرد صارشفعاً بضم الشفيع نفسه إليه ﴿ولا يُؤْخَذُ مِنْها عَدْلٌ﴾ فداء بان يمات ويترك، وان أريد الشفاعة في الآخرة، فالآية مخصوصة باليهود لثبوت الشفاعة للنبي والائمة بل المؤمنين ﴿ولا هُمْ يُنْصَرُونَ﴾ في دفع الموت والعذاب ﴿وإِذْ نَجَّيْناكُمْ﴾ واذكروا إذ نجينا أسلافكم ﴿مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ﴾ وأصل (آل) اهل إذ تصغيره بـ(اهيل)[1] وخص باولي الخطر، و(فرعون) لقب لملك العمالقة كقيصر وكسرى لملكي الروم والفرس، وفرعون هذا: مصعب بن الريان، أوابنه وليد، وفرعون يوسف ريان، وبينهما أكثر من أربعمائة سنة ﴿يَسُومُونَكُمْ﴾ يعذبونكم، أويولونكم من سامه خسفاً أي: أولاه ذلاً ﴿سُوءَ الْعَذابِ﴾ شديدة ﴿يُذَبِّحُونَ أَبْناءَكُمْ﴾ لما قيل لفرعون انه (يولد في بني إسرائيل مولود يكون على يده هلاكك) ﴿وَيَسْتَحْيُونَ نِساءَكُمْ﴾ يبقونهن ويتخذونهن إماء ﴿وفِي ذلِكُمْ﴾ أي: صنيعهم، أوالإنجاء أو كليهما ﴿بَلاءٌ﴾ نعمة، أواختبار بمحنة أونعمة أوبهما ﴿مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ وإِذْ فَرَقْنا بِكُمُ الْبَحْرَ﴾ جعلنا ماءه ينقطع بعضاً من بعض حتى صارت فيه مسالك

---

(١) نص على ذلك صاحب (لسان العرب) في مادة (اول).

بسلوككم فيه، أوبسببكم، أومتلبسا بكم ﴿فَأَنجَيْناكُمْ﴾ هناك ﴿ وأَغْرَقْنا آلَ فِرْعَوْنَ﴾ أي: هووقومه، واقتصر عليهم للعلم بأولويته به ﴿وأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴾ إليهم وهم يغرقون، أوينظر بعضكم بعضاً، أوتنظرون فرق البحر، وروي: (انه ـ تعالى ـ أمر موسى ان يسري ببني إسرائيل، فأتبعهم فرعون وجنوده فصبحوهم على شاطي البحر، فأوحى إليه: ان اضرب بعصاك البحر، فضربه فانفلق عن اثني عشر طريقاً يابساً بعدد الأسباط، فسلكوها فقالوا: يا موسى نخشى ان يغرق بعضنا ولا نعلم، ففتح الله لهم كواء، فتراءوا حتى عبروا البحر، ولما وصل إليه فرعون ورأى انفلاقه اقتحم هووجنوده، فالتطم عليهم، فغرقوا جميعاً، قيل: وهذه من أجلّ النّعم على بني إسرائيل، وأبهر الآيات الدالة على وجود الصانع وصدق موسى (ع)، ولما كان في قومه من البلادة ما لا يمكنهم الاستدلال بالآيات الخفيّة، اقتضت الحكمة نصب الآيات الباهرة لهم بحسب حالهم، الا ترى انهم لما عبروا ورأوا عبدة الأصنام قالوا ـ بعد ما شاهدوا من الآيات ـ: اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة، واتخاذهم العجل، وطلبهم الرؤية، وامة نبينا (ص)لما كانوا من الذكاء بحيث يمكنهم الاستدلال بالمعجزات النظرية الدقيقة، حتى قال بعض علمائنا: لولم أشاهد من النبي (ص) الا قوله «خير الأمور أوسطها» لآمنت، به جاءت آياتهم مشاكلة لما فيهم من الذكاء ﴿ وإِذْ واعَدْنا مُوسى أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ﴾ وعده بعد هلاك فرعون ان يعطيه التوراة بعد ثلاثين ليلة، فلمّا تمّت استاك[1] فذهب طيب فمه، فأتمه بعشر، وعبّر بالليالي لأنها غرر الشهور، وقرأ ابن كثير ونافع

---

(١) أي: إستعمل المسواك.

وعاصم وابن عامر وحمزة والكسائي (واعدنا) لأنه ـ تعالى ـ وعده الوحي ووعده موسى المجيء للميقات إلى الطور ﴿ ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ ﴾ إلهاً ﴿ مِن بعده ﴾ بعد انطلاقه إلى الجبل ﴿ وأَنْتُمْ ظالِمُونَ ﴾ باشراككم ﴿ ثُمَّ عَفَوْنا عَنْكُمْ ﴾ عن اوائلكم ﴿ مِنْ بَعْدِ ذلِكَ ﴾ الاتخاذ ﴿ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ تلك النعمة على أسلافكم، وعليكم بعدهم ﴿ وإِذْ آتَيْنا مُوسَى الْكِتابَ ﴾ التوراة ﴿ والْفُرْقانَ ﴾ فرّق بين الحق والباطل، والمحق والمبطل، أوالتوراة الجامع بين كونه كتاباً وفارقاً بينهما ﴿ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ لكي تهتدوا بما فيه .

[سورة البقرة الآيات ٥٤ – ٦١]

وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُم بِٱتِّخَاذِكُمُ ٱلْعِجْلَ فَتُوبُوٓا۟ إِلَىٰ بَارِئِكُمْ فَٱقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِندَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٤﴾ وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿٥٥﴾ ثُمَّ بَعَثْنَٰكُم مِّنۢ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٥٦﴾ وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْغَمَامَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ ۖ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ ۖ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٥٧﴾ وَإِذْ قُلْنَا ٱدْخُلُوا۟ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ فَكُلُوا۟ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا

وَٱدْخُلُوا۟ ٱلْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا۟ حِطَّةٌ نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطَـٰيَـٰكُمْ ۚ وَسَنَزِيدُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾ فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ قَوْلًا غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ فَأَنزَلْنَا عَلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴿٥٩﴾ ۞ وَإِذِ ٱسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ فَقُلْنَا ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ ۖ فَٱنفَجَرَتْ مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا ۖ قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ ۖ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ مِن رِّزْقِ ٱللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٦٠﴾ وَإِذْ قُلْتُمْ يَـٰمُوسَىٰ لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَٰحِدٍ فَٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ مِنۢ بَقْلِهَا وَقِثَّآئِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا ۖ قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ ٱلَّذِى هُوَ أَدْنَىٰ بِٱلَّذِى هُوَ خَيْرٌ ۚ ٱهْبِطُوا۟ مِصْرًا فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ ۗ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ وَٱلْمَسْكَنَةُ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ ۗ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ۗ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ ﴿٦١﴾

﴿ وإذْ قالَ مُوسى لِقَوْمِهِ يا قَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أنفُسَكُمْ بِاتِّخاذِكُمُ العِجْلَ فَتُوبُوا إلى بارِئِكُمْ ﴾ ارجعوا إليه، والبارئ: الخالق للخلق بريّاً من التفاوت، ومميزاً بعضه عن

بعض بصور مختلفة ﴿ فَاقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ ﴾يقتلُ مَن لم يعبد العجل مَن عبده، وروي: ان الرجل كان يبصر ولده وقريبه فلم يمكنه المضي لأمر اللّه ـ تعالى ـ فغشيهم ظلمة شديدة لا يتباصرون فيها، فاقتتلوا من الغداة إلى المساء، حتى دعا موسى وهارون فانجلت الظلمة عن سبعين ألف قتيل، ونزل رفع القتل وقبول التوبة، وقيل: المراد ان يقتل كل رجل نفسه ويهلكها، وقيل: المراد قطع الشهوات والاستسلام للقتل على سبيل التوسع، وقيل أمروا بأن يقتل بعضهم بعضاً ﴿ ذلِكُمْ﴾ القتل، أوهومع التوبة ﴿ خَيْرٌ لَكُمْ عِنْدَ بارِئِكُمْ﴾ من الحياة الفانية المتعقبة بالعذاب ﴿ فَتابَ عَلَيْكُمْ﴾ قَبل توبتكم، وقَبِل استيفاء القتل لجماعتكم ﴿ إِنَّهُ هُوَالتَّوّابُ ﴾ الكثير القبول للتوبة ﴿ الرَّحِيمُ ﴾ البليغ في الرّحم والانعام ﴿ وإِذْ قُلْتُمْ يا مُوسى لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ﴾ بانك نبي، أوبان اللّه كلمك واعطاك التوراة ﴿ حَتّى نَرَى اللّهَ جَهْرَةً﴾ عياناً،نصبت على المصدر لأنها نوع رؤية، أوعلى الحال من الفاعل، أوالمفعول قيل: وللقائل السبعون الذين صعقوا، وقيل: عشرة آلاف ﴿ فَأَخَذَتْكُمُ الصّاعِقَةُ﴾ بالتعنت وطلب المحال لأنه ـ تعالى ـ لا تدركه الأبصار، ولاستلزامها الجسمية من المقابلة والجهة والاحاطة، قيل: جاءتهم نار من السماء فأحرقتهم، أوصيحة فماتوا يوماً وليلةً وكانت صعقة موسى غشية بدليل فلما أفاق ﴿ وأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ﴾ إلى الصاعقة تنزل، أوإلى أسباب الموت ﴿ ثُمَّ بَعَثْناكُمْ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكُمْ﴾ بسبب الصاعقة ﴿ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ الحياة، أونعمة البعث، وفيه حجة على صحة البعث والرجعة ﴿ وظَلَّلْنا عَلَيْكُمُ الْغَمامَ﴾ سخرنا لكم السحاب يستركم من الشمس لما كنتم في التيه ﴿ وأَنْزَلْنا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ﴾ الترنجبين

ينزل بالليل مثل الثلج فيأكلونه ﴿ والسَّلْوى﴾ السماني،[١] يجيء بالعشاء مشوياً، فيقع على موائدهم، فإذا أكلوا وشبعوا طار عنهم ﴿ كُلُوا مِنْ طَيِّبات ما رَزَقْناكُمْ﴾ المباح اللذيذ فظلموا بكفرهم هذه النعم ﴿ وما ظَلَمُونا﴾ لما غيروا وبدلوا ما به أمروا ﴿ ولكِنْ كانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ بالكفر إذ لا يتخطاهم ضرّه ﴿ وإِذْ قُلْنا﴾ حين خرجوا من التيه ﴿ ادْخُلُوا هذِهِ الْقَرْيَةَ﴾ اركبا من بلاد الشام أوبيت المقدس ﴿ فَكُلُوا مِنْها حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَداً ﴾ واسعاً نصب على المصدر، أوالحالية من الواو ﴿ وادْخُلُوا الْبابَ﴾ باب القرية أوبيت المقدس ﴿ سُجَّداً﴾ للّه شكراً، أومنحنين متطامنين[٢] ﴿ وقُولُوا حِطَّةٌ﴾ سجودنا حطة لذنوبنا أوأمرك حطة ﴿ نَغْفِرْ لَكُمْ خَطايـاكُمْ ﴾ البالغة، وقرأ نافع بالياء وابن عامر بها بصيغة المجهول ﴿ وسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ﴾ من لم يقارف الذنوب منكم ثواباً ﴿ فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلاً غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ﴾ روي: دخلوها بأستاههم، وقالوا ما معناه: حنطة حمراء نتقوتها أحب إلينا من هذا الفعل والقول ﴿ فَأَنْزَلْنا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزاً﴾ عذاباً، وأقيم الظاهر مقام الضمير زيادة في تقبيح أمرهم، وإيذانا بان عذابهم بظلمهم ﴿ مِنَ السَّماءِ﴾ قيل: هوالطاعون وروي مات منهم في بعض يوم مائة وعشرون الفاً ﴿ بِما كانُوا يَفْسُقُونَ ﴾ بسبب خروجهم عن طاعة اللّه﴿ وإِذِ اسْتَسْقى مُوسى لِقَوْمِهِ ﴾ لمّا عطشوا في التيه ﴿ فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصاكَ الْحَجَرَ﴾ المعهود، روي: انه كان حجراً طورياً مربعاً حمله معه، وكان ينبع من كل وجه ثلاث أعين تسيل كل عين في

---

(١) نوع من الطيور معروف.

(٢) أي: مطأطأي رؤسكم.

جدول إلى سبط وكانوا ستمائة ألف، وسعة العسكر إثنى عشر ميلاً، وروي: أنه كان ذراعاً في ذراع، وروي: انه كان على شكل رأس الإنسان، والعصا كانت عشرة أذرع على طول موسى من آس الجنة، ولها شعبتان تتقدان في الظلمة، وعن الباقر (ع): «ثلاثة أحجار من الجنة: مقام ابراهيم، وحجر بني إسرائيل، والحجر الأسود» ﴿فَانْفَجَرَتْ﴾ أي فضرب فانفجرت ﴿مِنْهُ اثْنَتا عَشْرَةَ عَيْناً قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُناسٍ﴾ أي قبيلة اوسبط ﴿مَشْرَبَهُمْ﴾ ولا يزاحم الآخرين في مشربهم ﴿كُلُوا واشْرَبُوا﴾ على ارادة القول ﴿مِنْ رِزْقِ اللَّهِ﴾ من المن والسلوى والماء ﴿ولا تَعْثَوْا﴾لا تعتدوا ولا تطغوا ﴿فِي الأَرْضِ﴾ حال كونكم ﴿مُفْسِدِينَ﴾ وإنما قيّد به لأنّ منه ما ليس بفساد، كمقابلة الظالم بفعله ﴿وإِذْ قُلْتُمْ يا مُوسى لَنْ نَصْبِرَ عَلى طَعامٍ واحِدٍ﴾ وهوالمن والسلوى، قيل أريد بالواحد أنه لا يتبدل ـ وإن تعدد ـ أوضرب واحد لأنهما معا طعام المتلذذين، وهم فلاحة نزعوا إلى ما ألفوه ﴿فَادْعُ لَنا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنا مِمَّا﴾ من بعض ما ﴿تُنْبِتُ الأَرْضُ مِنْ بَقْلِها﴾ من الخضر وأطايبه الذي يؤكل، و(من) للتبيين ﴿وقِثَّائِها وفُومِها﴾ الحنطة أوالخبز أوالثوم، والاول مروي ﴿وعَدَسِها وبَصَلِها قالَ﴾ الله تعالى، أوموسى (ع) ﴿أَ تَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوأَدْنى﴾ أدون قدراً، وأصل الدنو: القرب في المكان، واستعير للخسة كالبعد للشرف ﴿بِالَّذِي هُوخَيْرٌ﴾ أي: المن والسلوى، فانه ألذّ وانفع، ومستغن عن الكدّ ﴿اهْبِطُوا مِصْراً﴾ من الأمصار، وقيل أريد به العَلَم، وصرف لسكون وسطه ﴿فَإِنَّ لَكُمْ ما سَأَلْتُمْ وضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ والْمَسْكَنَةُ﴾ الجزية والفقر، والزموهما لزوم المسمار للشيء المضروب عليه ﴿وباؤُ بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ﴾ رجعوا وعليهم الغضب واللعنة ﴿ذلِكَ﴾ الضرب والبوء ﴿بِأَنَّهُمْ كانُوا يَكْفُرُونَ﴾ بسبب كفرهم ﴿بِآياتِ اللَّهِ﴾ من فلق البحر، واظلال

الغمام، وإنزال المن والسلوى، وانفجار الحجر، أوبالإنجيل والقرآن، أوبما في التوراة من صفة محمد(ص) ﴿ ويَقتُلونَ النَّبِيِّينَ ﴾ أي: وبقتلهم الأنبياء كشعيب وزكريا ويحيى وغيرهم﴿ بغَيرِ الحَقِّ﴾ بلا جرم منهم إليهم، ولا إلى غيرهم ﴿ ذلكَ﴾ كرر تأكيداً، أوذلك الكفروالقتل ﴿ بِما عَصَوْا وكانُوا يَعْتَدُونَ﴾ أي: بسبب عصيانهم وإعتدائهم حدود الله.

[سورة البقرة الآيات ٦٢ - ٧٢]

إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ خُذُواْ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱذْكُرُواْ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ ثُمَّ تَوَلَّيْتُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ ۖ فَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَكُنتُم مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٦٤﴾ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلَّذِينَ ٱعْتَدَوْاْ مِنكُمْ فِى ٱلسَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُواْ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ ﴿٦٥﴾ فَجَعَلْنَٰهَا نَكَٰلًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٦٦﴾ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُواْ بَقَرَةً ۖ قَالُوٓاْ أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا ۖ قَالَ أَعُوذُ بِٱللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ

ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٦٧﴾ قَالُوا۟ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِىَ ۚ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ عَوَانٌۢ بَيْنَ ذَٰلِكَ ۖ فَٱفْعَلُوا۟ مَا تُؤْمَرُونَ ﴿٦٨﴾ قَالُوا۟ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا لَوْنُهَا ۚ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَآءُ فَاقِعٌ لَّوْنُهَا تَسُرُّ ٱلنَّٰظِرِينَ ﴿٦٩﴾ قَالُوا۟ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِىَ إِنَّ ٱلْبَقَرَ تَشَٰبَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّآ إِن شَآءَ ٱللَّهُ لَمُهْتَدُونَ ﴿٧٠﴾ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا ذَلُولٌ تُثِيرُ ٱلْأَرْضَ وَلَا تَسْقِى ٱلْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لَّا شِيَةَ فِيهَا ۚ قَالُوا۟ ٱلْـَٰٔنَ جِئْتَ بِٱلْحَقِّ ۚ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿٧١﴾ وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَٱدَّٰرَْٰٔتُمْ فِيهَا ۖ وَٱللَّهُ مُخْرِجٌ مَّا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٧٢﴾

﴿ إنَّ الَّذينَ آمَنُوا﴾ بأفواههم، وهم المنافقون، أومطلقاً ﴿ والَّذينَ هادُوا﴾ يقال: هاد وتهود إذا دخل في اليهوديّة، و(يهود) إما عربي من (هاد) أي: تاب، سمّوا به لتوبتهم من عبادة العجل، أومعرب من (يهود بن يعقوب الأكبر) ﴿ والنَّصارى﴾ جمع نصران كسكران، وياء(نصراني) للمبالغة كياء(احمري) سموا به لنصرهم المسيح (ع) كما في: (من أنصاري إلى الله قال الحواريون نحن أنصار الله)[1] اولكونهم معه في

---

(١) سورة الصف الآية ١٤.

قرية تسمّى ناصرة ﴿ والصَّابِئِينَ﴾ الذين زعموا أنهم صبوا إلى دين الله وهم كاذبون، وقيل: قوم بين اليهود والمجوس لا دين لهم، وقيل: دينهم يشبه دين النصارى يزعمون انه دين نوح (ع)، وقيل: هم عبدة النجوم أوالملائكة ﴿ مَنْ آمَنَ﴾ منهم ونزع عن كفره ﴿ بِاللَّهِ والْيَوْمِ الآخِرِ ﴾ بالمبدأ والمعاد ﴿ وعَمِلَ صالِحاً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ﴾ على الإيمان والعمل الصالح ﴿ ولا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾ من العقاب ﴿ ولا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ على فوت الثواب و(مَنْ) مبتدأ خبره «فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ»، والجملة خبر(ان) أوبدل من أسم (ان) وخبرها (فلهم أجرهم) والفاء لتضمن اسمها معنى الشرط ﴿ وَ﴾ اذكروا﴿ إِذْ أَخَذْنا مِيثاقَكُمْ﴾ عهودكم ان تعملوا بما في التوراة فأبيتم ذلك ﴿ ورَفَعْنا فَوْقَكُمُ الطُّورَ﴾ الجبل، أمرنا جبرئيل أن يقلع من جبل فلسطين قطعة على قدر معسكر أسلافكم فرسخاً في فرسخ، فقطعها وجاء بها، فرفعها فوق رؤوسهم ﴿ خُذُوا ما آتَيْناكُمْ﴾ قال لهم موسى اما ان تأخذوا بما أمرتم به فيه، واما ان القي عليكم هذا الجبل، فالجئوا إلى قبوله كارهين الا من عصمه الله من الفساد ﴿ بِقُوَّةٍ﴾ من قلوبكم وأبدانكم، أوبجد وعزم ﴿ واذْكُرُوا ما فِيهِ﴾ من جزيل ثوابنا على قيامكم به وشديد عقابنا على إبائكم، له أو احفظوه واعملوا به﴿ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ لتتقوا المخالفة، أولكي تتقوا الذنوب، اورجاء منكم ان تكونوا متقين ﴿ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ ﴾أعرضتم عن الوفاء بالميثاق ﴿ مِنْ بَعْدِ ذلِكَ﴾ بعد أخذه﴿ فَلَولا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ ورَحْمَتُهُ ﴾ بامهالكم للتوبة، أوبمحمد (ص) يهديكم للحق﴿ لَكُنْتُمْ مِنَ الْخاسِرِينَ﴾ باهلاككم انفسكم بالمعاصي ﴿ ولَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنْكُمْ فِي السَّبْتِ ﴾ حيث أمروا بتجريده للعبادة، ونهوا عن اصطياد الحيتان فيه، فاعتدى فيه ناس منهم في زمن داود (ع)

إذ كانت قريتهم على البحر ولم يبق فيه حوت الا اخرج خرطومه يوم السبت، فإذا مضى تفرقت، فحفروا حياضاً وشرعوا إليها الجداول فكانت الحيتان تدخلها يوم السبت فيصطادونها يوم الأحد ﴿ فَقُلْنا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خاسِئِينَ ﴾ مبعدين من كل خير، أوجامعين بين القردية والخسؤ وهو: الطرد، والمراد بـ(كونوا) سرعة التكوين لا الأمر ﴿ فَجَعَلْناها ﴾ أي: المسخة ﴿ نَكالاً ﴾ عقوبة، أوعبرة تنكل المعتبر بها أي: تمنعه ﴿ لِما بَيْنَ يَدَيْها ﴾ ما قبلها ﴿ وما خَلْفَها ﴾ من الأمم، أولمعاصريهم ومن بعدهم، أولأجل ذنوبهم المتقدمة والمتأخرة ﴿ ومَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ ﴾ من قومهم أوكل متق سمعها ﴿ وإِذْ قالَ مُوسى لِقَوْمِهِ ﴾ حين قتل رجل منهم ابن عمّه، ثم جاء به إلى موسى يدّعي على أناس انهم قتلوه وعن الصادق (ع): «قتله ابن عمه ليتزوج ابنته ، وقد خطبها فردّه وزوجها غيره» ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً قالُوا أَ تَتَّخِذُنا هُزُواً ﴾ على المبالغة، أومهزوء بنا، وسكنه حمزة وإسماعيل عن نافع مع الهمزة، وضمّه حفص مع الواووضمّه الباقون مهموزاً ﴿ قالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجاهِلِينَ ﴾ إذ الهزء في هذا جهل فانسب إلى الله ما لم يقل لي ﴿ قالُوا ادْعُ لَنا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنا ما هِيَ ﴾ ما صفتها؟ وما حالها؟ ﴿ قالَ إِنَّهُ ﴾ ان الله ﴿ يَقُولُ إِنَّها بَقَرَةٌ لا فارِضٌ ﴾ لا مسنّة ﴿ ولا بِكْرٌ ﴾ ولا فتية ﴿ عَوانٌ بَيْنَ ذلِكَ ﴾ وسط بين الفارض والبكر ﴿ فَافْعَلُوا ما تُؤْمَرُونَ ﴾ به ﴿ قالُوا ادْعُ لَنا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنا ما لَوْنُها قالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّها بَقَرَةٌ صَفْراءُ فاقِعٌ لَوْنُها ﴾ الفقوع شدة الصفرة، وروي: (حسنة الصفرة ليس بناقص ولا مشبع) ﴿ تَسُرُّ النَّاظِرِينَ ﴾ لحسنها، وفي الصادقي: (من لبس نعلاً صفراء لم يزل مسروراً حتى يبلها، كما قال ـ تعالى ـ (صفراء إلخ) ﴿ قالُوا ادْعُ لَنا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنا ما هِيَ ﴾ تكرير للسؤال وزيادة توضيح ﴿ إِنَّ الْبَقَرَ ﴾ الموصوف بالتعوين والصفرة كثير ﴿ تَشابَهَ عَلَيْنا

وإِنَّا إِنْ شاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ﴾ إلى البقرة المراد ذبحها، أوالقاتل وروي: انهم لولم يستثنوا لما بينت لهم ابدا ﴿ قالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّها بَقَرَةٌ لا ذَلُولٌ تُثِيرُ الأَرْضَ ولا تَسْقِي الْحَرْثَ﴾ لم تذلل للكراب وسقي الحرث، ولا ذلول صفة بقرة، والفعلان صفتان لذلول، أي: لا ذلول مثيرة وساقية و(لا) الثانية تأكيد للأولى ﴿ مُسَلَّمَةٌ﴾ لعيوب كلها أوالعمل ﴿ لا شِيَةَ فِيها﴾ لا لون فيها من غيرها، من وشاه وشياً وشية إذا خلط بلونه لوناً آخر ﴿ قالُوا الآنَ جِئْتَ بِالْحَقِّ﴾ بحقيقة وصفها ﴿ فَذَبَحُوها ﴾ أي: فحصلوا البقرة الموصوفة فذبحوها ﴿ وما كادُوا يَفْعَلُونَ﴾ من عظم ثمنها، أولخوف الفضيحة في ظهور القاتل، أولغلاء ثمنها قيل: اشتروها بملء جلدها ذهباً، وكانت ليتيم وكانت البقرة حينئذ بثلاثة دنانير ﴿ وإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْساً ﴾ خوطب الجميع لوجود القتل فيهم ﴿ فَادّارَأْتُمْ فِيها﴾ اختلفتم وتدافعتم في القتيل، واصله (تدارأتم) أدغمت التاء في الدال ووصل بالهمزة ﴿ واللَّهُ مُخْرِجٌ ﴾ مظهر﴿ ما كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ ﴾ من خبر القاتل وارادة تكذيب موسى .

[سورة البقرة الآيات ٧٣ - ٨٣]

فَقُلْنَا ٱضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا ۚ كَذَٰلِكَ يُحْيِ ٱللَّهُ ٱلْمَوْتَىٰ وَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٧٣﴾ ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِىَ كَٱلْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً ۚ وَإِنَّ مِنَ ٱلْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ وَإِنَّ لَمَا مِنْهَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ ٱلْمَآءُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ

خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٧٤﴾ أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا۟ لَكُمْ
وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ مِنۢ بَعْدِ مَا
عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾ وَإِذَا لَقُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَإِذَا
خَلَا بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ قَالُوٓا۟ أَتُحَدِّثُونَهُم بِمَا فَتَحَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ
لِيُحَآجُّوكُم بِهِۦ عِندَ رَبِّكُمْ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٧٦﴾ أَوَلَا يَعْلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ
يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٧﴾ وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ
ٱلْكِتَٰبَ إِلَّآ أَمَانِىَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٧٨﴾ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ
ٱلْكِتَٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشْتَرُوا۟ بِهِۦ ثَمَنًا
قَلِيلًا ۖ فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ ﴿٧٩﴾
وَقَالُوا۟ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَةً ۚ قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِندَ ٱللَّهِ عَهْدًا
فَلَن يُخْلِفَ ٱللَّهُ عَهْدَهُۥٓ ۖ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨٠﴾ بَلَىٰ
مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَٰطَتْ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ
هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٨١﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُو۟لَٰٓئِكَ

أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٨٢﴾ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَقُولُوا۟ لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنكُمْ وَأَنتُم مُّعْرِضُونَ ﴿٨٣﴾

﴿ فَقُلْنا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِها ﴾ اضربوا المقتول بذنب البقرة ليحيى ويخبر بقاتله، وقيل: بفخذها اليمنى، وقيل بلسانها، وقيل: باذنها فضربوه فحيي ﴿كَذلِكَ يُحْيِ اللَّهُ الْمَوْتى﴾ في الدنيا والآخرة، والخطاب لحاضري الأحياء أوالنزول، وروي: (انهم لما ضربوه قام باذن الله وأوداجه تشخب دماً وقال: قتلني فلان ابن عمّي ثم قبض) ﴿ ويُرِيكُمْ آياتِهِ﴾ دلائل قدرته ﴿لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ لكي تعملوا بمقتضى عقلكم، وتعلموا أن القادر على إحياء نفس قادر على إحياء الكل ﴿ ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ﴾ معشر اليهود ﴿ مِنْ بَعْدِ ذلِكَ ﴾بعد ما تبينت الآيات الباهرات، أوبعد ذلك الأحياء ﴿ فَهِيَ﴾ في قساوتها﴿كَالْحِجارَةِ أَوأَشَدُّ قَسْوَةً ﴾ ولم يقل أقسى، لأن أ(شدّ) أبلغ ولوصف القسوة بالشدة وزيادة المفضل فيها، و(أو) للتخيير، أوأن من عرفها شبهها بالحجارة أوبما هوأقسى منها، أوانه أبهم أولا للترديد، ثم بين أن قلوبهم أقسى من الحجارة ﴿ وإِنَّ مِنَ الْحِجارَةِ لَما يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الأَنْهارُ ﴾ بيان للتفضيل ﴿ وإِنَّ مِنْها لَما يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْماءُ ﴾ وهوما يقطر منه الماء دون الأنهار﴿ وإِنَّ مِنْها لَما يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ﴾ إذا اقسم عليها باسم الله وبأسماء أوليائه، أواشارة إلى تعالى(لَوأَنْزَلْنا هذَا الْقُرْآنَ عَلى

جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خاشعاً مُتصَدِّعاً مِنْ خَشْيَةِ اللّه) ﴿ وَمَا اللَّهُ بِغافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ وعيد، وقرأ ابن كثير ونافع بالتاء ﴿ أَ فَتَطْمَعُونَ﴾ الخطاب للرسول والمؤمنين ﴿ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ﴾ يصدقكم اليهود بقلوبهم ﴿ وَقَدْ كانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ﴾ طائفة من أسلافهم ﴿ يَسْمَعُونَ كَلامَ اللَّهِ﴾ في اصل جبل طورسيناء ﴿ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ ﴾ إذا ادّوه إلى من وراءهم ﴿ مِنْ بَعْدِ ما عَقَلُوهُ ﴾ فهموه بعقولهم ﴿ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ أنهم مبطلون ﴿ وَإِذا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قالُوا﴾ أي: منافقوهم ﴿ آمَنَّا﴾ بأنكم على الحق، وأن محمداً (ص) هوالمبشَر به في التوراة ﴿ وَإِذا خَلا بَعْضُهُمْ إِلى بَعْضٍ قالُوا﴾ أي: الذين لم ينافقوا عاتبين على المنافقين ﴿ أَ تُحَدِّثُونَهُمْ بِما فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ﴾ بينه لكم في التوراة من صفة محمد (ص)، أومن دلائل نبوة محمد (ص) ﴿ لِيُحَاجُّوكُمْ بِهِ عِنْدَ رَبِّكُمْ﴾ بأنكم قد علمتم هذا فلم تؤمنوا به، أوليحتجوا عليكم بما في كتاب ربكم، يقال: (عند اللّه كذا) أي: في كتابه ﴿ أَ فَلا تَعْقِلُونَ﴾ أن الذي تخبرون به حجة عليكم عند ربكم فيكون تتمة اللوم، أوأ فلا تعقلون انهم لايؤمنون فلا تطمعوا في ذلك ﴿ أَ وَلا يَعْلَمُونَ﴾ القائلون لإخوانهم أ تحدثونهم ﴿ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ ما يُسِرُّونَ وَما يُعْلِنُونَ﴾ جميعه، ومنه إسرارهم الكفر وإعلانهم ﴿ وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ﴾ لا يقرءون ولا يكتبون ﴿ لا يَعْلَمُونَ الْكِتابَ﴾ التوراة ﴿ إِلاَّ أَمانِيَّ﴾ في تفسير الإمام: إلا أن يُقرأ عليهم، ويقال: هذا كتاب اللّه لا يعرفون ان ما قريء من الكتاب خلاف ما فيه، وقيل: منقطع أي: لكن يعتقدون أكاذيب أخذوها تقليداً عن المحرفين من ان الجنة لا يدخلها إلا من كان هوداً، والنار لا تمسهم إلا أياماً معدودة وغير ذلك ﴿ وَإِنْ هُمْ إِلاَّ يَظُنُّونَ ﴾ لا علم لهم، ويدل على منع التقليد ﴿ فَوَيْلٌ ﴾ شدة من العذاب في أسوأ بقاع جهنم، وابتدأ به نكرة لأنه دعاء ﴿ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتابَ بِأَيْدِيهِمْ ﴾ يحرفون من

أحكام التوراة ﴿ ثُمَّ يَقُولُونَ هذا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَناً قَلِيلاً ﴾ من أعراض الدنيا الفانية ـ وإن جلّ ـ ﴿ فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ ﴾ من المُحَرَّف ﴿ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ ﴾ من المعاصي والرشا ﴿ وقالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إلاَّ أَيَّاماً مَعْدُودَةً ﴾ قلائل أربعين يوماً، أيام عبادة العجل ﴿ قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِنْدَ اللَّهِ عَهْداً﴾ أن عذابكم على كفركم منقطع، أوأنه لا يعذبكم إلا هذه المدّة، وأظهر الذال ابن كثير وحفص وأدغمه الباقون﴿ فَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُ﴾ متعلق بمحذوف أي: ان اتخذتم عند الله عهداً فلن يخلف اللّه عهده ﴿ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ ما لا تَعْلَمُونَ ﴾ بل أنتم في أيهما ادعيتم كاذبون.﴿ بَلى﴾ ردّ عليهم﴿ مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً﴾ أي: الشرك ﴿ وأَحاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ﴾ بأن تحيط بأعماله فتبطلها، وتخرجه من جملة دين اللّه ﴿ فَأُولئِكَ أَصْحابُ النَّارِ هُمْ فِيها خالِدُونَ والَّذِينَ آمَنُوا وعَمِلُوا الصَّالِحاتِ أُولئِكَ أَصْحابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيها خالِدُونَ﴾ شفع ـ تعالى ـ الوعد بالوعيد ليرجي ثوابه ويخشى عقابه ﴿ وإِذْ أَخَذْنا مِيثاقَ بَنِي إِسْرائِيلَ﴾ عهدهم المؤكد عليهم﴿ لا تعبدون﴾ أي: أن لا تعبدوا إلا الله ﴿ إِلاَّ اللَّهَ ﴾ خبر بمعنى النهي، وهوأبلغ من صريحه لإيهامه المسارعة إلى الانتهاء فهويخبر عنه، ويؤيده قراءة (لا تعبدوا) وعطف (قولوا) عليه، وقرأ نافع وابن عامر وابوعمروعاصم بالتاء حكاية لما خوطبوا به والباقون بالياء لغيبتهم﴿ وبِالْوالِدَيْنِ إِحْساناً ﴾ وأن تحسنوا، أووأحسنوا لهما إحساناً ﴿ وذِي الْقُرْبى والْيَتامى والْمَساكِينِ﴾ من سكّن الضر والفقر حركته ﴿ وقُولُوا لِلنَّاسِ﴾ مؤمنهم ومخالفهم ﴿ حُسْناً﴾ عاملوهم بخلق جميل، وصف بالمصدر مبالغة، وفتحه حمزة والكسائي أي: قولاً حسناً﴿ وأَقِيمُوا الصَّلاةَ وآتُوا الزَّكاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ ﴾ عن الوفاء بالعهود التفات،

أوخطاب للموجودين منهم في عهد الرسول وسلفهم على التغليب ﴿إِلاَّ قَلِيلاً مِنْكُمْ﴾ ممن اسلم ﴿وَأَنْتُمْ مُعْرِضُونَ﴾ عن العهد تاركين له.

[سورة البقرة الآيات ٨٤ - ٨٨]

وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَآءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنفُسَكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ ﴿٨٤﴾ ثُمَّ أَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِّنكُم مِّن دِيَٰرِهِمْ تَظَٰهَرُونَ عَلَيْهِم بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَإِن يَأْتُوكُمْ أُسَٰرَىٰ تُفَٰدُوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ ۚ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ۚ فَمَا جَزَآءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْىٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَدِّ ٱلْعَذَابِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٨٥﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُا۟ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا بِٱلْءَاخِرَةِ ۖ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٨٦﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَقَفَّيْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ بِٱلرُّسُلِ ۖ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ ۗ أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ٱسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ

وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ﴿٨٧﴾ وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَل لَّعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾

﴿ وإذْ أخذْنا ميثاقَكُمْ لا تَسفكُونَ دماءَكُمْ ﴾ لا يريق بعضكم دم بعض ﴿ ولا تُخرِجُونَ أنفُسَكُمْ مِنْ دِيارِكُمْ ﴾ لا يخرج بعضكم بعضاً، وجعل غير الرجل نفسه لاتصاله به أصلاً أودينا، أولإيجاب القتل القصاص، أوالمعنى: لا تفعلوا ما يبيح قتلكم وإخراجكم من دياركم ﴿ ثُمَّ أقْرَرْتُمْ﴾ بذلك الميثاق، كما أقر به أسلافكم ﴿ وأنْتُمْ تَشْهَدُونَ﴾ بذلك، أوعلى انفسكم فيكون تأكيداً ﴿ ثُمَّ أنْتُمْ هؤُلاءِ﴾ الناقضون، إستبعاد لما فعلوه بعد الميثاق والإقرار به والاشهاد عليه، و (أنتم) مبتدأ خبره (هؤلاء) أي: وأنتم بعد ذلك هؤلاء الناكثون، نزّل تغير الصفة منزلة تغير الذات ﴿ تَقْتُلُونَ أنفُسَكُمْ ﴾ يقتل بعضكم بعضاً ﴿ وتُخْرِجُونَ فَرِيقاً مِنْكُمْ مِنْ دِيارِهِمْ تَظاهَرُونَ عَلَيْهِمْ﴾ يعاون بعضكم بعضاً على الإخراج، والفعل حال من فاعل (تخرجون)، أومفعوله، أومنهما، وحذف عاصم والكسائي إحدى التائين وأدغمها الباقون بالظاء ﴿ بِالإثْمِ ﴾ القبيح المستحق به اللوم ﴿ والْعُدْوانِ﴾ الإفراط في الظلم ﴿ وإنْ يَأْتوكُمْ ﴾ الذين ترومون إخراجهم وقتلهم ﴿ أُسارى تُفادُوهُمْ ﴾ منهم بأموالكم، روي: (ان قريظة كانوا حلفاء الأوس، والنضر حلفاء الخزرج، وكان كل فريق يعاون حلفاءه في القتال، وإذا أسر رجل من الفريقين فدوه، فقيل لهم: كيف تقاتلونهم ثم تفدونهم؟ فيقولون: أمرنا أن نفديهم ونهينا عن قتالهم، وكلّنا نستحي ان نذل حلفاءنا)، وقرأ حمزة (أسرى) جمع(أسير) و(أسارى) جمعه كسكارى، وقرأ

ابن كثير وابوعمرووحمزة وابن عامر تفدوهم ﴿ وهُومُحَرّمٌ عَلَيْكُمْ﴾ الضمير للشأن، أومبهم يفسره: ﴿ إِخْراجُهُمْ ﴾ أولمصدر (تخرجون) وأعاد (إخراجهم) للتأكيد، أولئلا يتوهم أن المحرم هوالمفاداة ﴿ أ فَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكتابِ﴾ الذي أوجب المفاداة ﴿ وتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ﴾ الذي حرم القتل والإخراج ﴿فَما جَزاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذلكَ مِنْكُمْ إلاَّ خِزْيٌ فِي الْحَياةِ الدُّنْيا﴾ وهوضرب الجزية، أوقتل قريظة وأسرهم وإجلاء النظير﴿ ويَوْمَ الْقِيامَةِ يُرَدُّونَ إِلى أَشَدِّ الْعَذابِ﴾ وعن عاصم (تردون على الخطاب) ﴿ ومَا اللَّهُ بِغافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ تأكيد للوعيد، وقرأ ابن كثير ونافع وأبوبكر بالياء والضمير لمن ﴿ أُولئكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الْحَياةَ الدُّنْيا بِالآخِرَةِ ﴾ ابتاعوا حظوظ الدنيا بنعيم الآخرة ﴿ فَلا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذابُ﴾ بنقص الجزية في الدنيا والعقوبة في الآخرة. ﴿ ولا هُمْ يُنْصَرُونَ﴾ بالدفع عنهم﴿ ولَقَدْ آتَيْنا مُوسَى الْكِتابَ﴾ التوراة ﴿ وقَفَّيْنا مِنْ بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ﴾ (قفاه): أتبعه إياه، أي: أرسلنا على اثره الرسل ﴿ وآتَيْنا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّناتِ﴾ الآيات الواضحات كإحياء الموتى وإبراء الأكمه والأبرص والإخبار بالمغيبات، أوالإنجيل، و(عيسى) بالسريانية ايشوع معناه: المبارك، ومريم بمعنى: العابدة، أوالخادم ﴿ وأَيَّدْناهُ﴾ قوّيناه ﴿ بِرُوحِ الْقُدُسِ﴾ بالروح المقدسة أي: جبرئيل، أوروح عيسى، أوالإنجيل، أوالاسم الأعظم الذي يحيي به الموتى وسكن ابن كثير القدس حيث وقع ﴿أ فَكُلَّما جاءَكُمْ ﴾ أيها اليهود ﴿ رَسُولٌ بِما لا تَهْوى أَنْفُسُكُمُ ﴾ بما لا تحبون، قيل: وسطت الهمزة بين الفاء وما تعلقت به من إيتاء أنبيائهم ما أوتوا توبيخاً لهم وتعجيباً من حالهم، والفاء للعطف على مقدّر﴿ اسْتَكْبَرْتُمْ﴾ عن الإيمان والاتباع ﴿ فَفَرِيقاً كَذَّبْتُمْ ﴾كموسى وعيسى ﴿ وفَرِيقاً تَقْتُلُونَ﴾ كزكريا ويحيى، وعبر بالمضارع حكاية للحال الماضية لتستحضر

في النفوس للفظاعة وللفاصلة، وأسند إليهم لأنه فعل أسلافهم ورضوا به ﴿ وقالُوا قُلُوبُنا غُلْفٌ ﴾ بضم اللام، أي: أوعية للخير والعلوم ومع ذلك لا تعرف لك فضلاً أوبسكونها، أي: في غطاء فلا نفهم حديثك من الأغلف الذي لم يختن، وكلا القراءتين حق وقد قالوا بهذا وبهذا ﴿ بَلْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ ﴾ أبعدهم من الخير ﴿ بِكُفْرِهِمْ ﴾ رد لقولهم، أي: انها خلقت على الفطرة متمكنة من قبول الحق، ولكن الله خذلهم بسبب كفرهم فهم الذين غلفوا قلوبهم بما أحدثوا من الكفر ﴿ فَقَلِيلاً ما يُؤْمِنُونَ ﴾ وهوإيمانهم ببعض الكتاب إيماناً قليلاً و(ما) مزيدة، أوأريد بالقلة العدم.

[سورة البقرة الآيات ٨٩ - ٩٩]

وَلَمَّا جَآءَهُمۡ كِتَٰبٞ مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٞ لِّمَا مَعَهُمۡ وَكَانُواْ مِن قَبۡلُ يَسۡتَفۡتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُواْ كَفَرُواْ بِهِۦۚ فَلَعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٨٩﴾ بِئۡسَمَا ٱشۡتَرَوۡاْ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمۡ أَن يَكۡفُرُواْ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بَغۡيًا أَن يُنَزِّلَ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦۖ فَبَآءُو بِغَضَبٍ عَلَىٰ غَضَبٖۚ وَلِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابٞ مُّهِينٞ ﴿٩٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمۡ ءَامِنُواْ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ نُؤۡمِنُ بِمَآ أُنزِلَ عَلَيۡنَا وَيَكۡفُرُونَ بِمَا وَرَآءَهُۥ وَهُوَ ٱلۡحَقُّ مُصَدِّقٗا لِّمَا مَعَهُمۡۗ

قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنۢبِيَآءَ ٱللَّهِ مِن قَبْلُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٩١﴾ وَلَقَدْ
جَآءَكُم مُّوسَىٰ بِٱلْبَيِّنَٰتِ ثُمَّ ٱتَّخَذْتُمُ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَنتُمْ
ظَٰلِمُونَ ﴿٩٢﴾ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ خُذُوا۟
مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱسْمَعُوا۟ ۖ قَالُوا۟ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأُشْرِبُوا۟ فِى
قُلُوبِهِمُ ٱلْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ ۚ قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُم بِهِۦٓ إِيمَٰنُكُمْ إِن
كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٩٣﴾ قُلْ إِن كَانَتْ لَكُمُ ٱلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ عِندَ ٱللَّهِ
خَالِصَةً مِّن دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُا۟ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٩٤﴾
وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًۢا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٩٥﴾
وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ ٱلنَّاسِ عَلَىٰ حَيَوٰةٍ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ ۚ يَوَدُّ
أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِۦ مِنَ ٱلْعَذَابِ أَن
يُعَمَّرَ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾ قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ
فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى
وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٩٧﴾ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ

وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٩٨﴾ وَلَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ ۖ وَمَا يَكْفُرُ بِهَآ إِلَّا ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٩٩﴾

﴿ ولَمَّا جاءَهُمْ كتابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾ القرآن﴿ مُصَدِّقٌ لِما مَعَهُمْ ﴾ من كتابهم وهوالتوراة، وحذف جواب (لمّا) لدلالة جواب الثانية عليه ﴿ وكانُوا مِنْ قَبْلُ﴾ أن يظهر محمد (ص)بالرسالة ﴿ يَسْتَفْتِحُونَ﴾ يسألون الله الفتح والنصر ﴿ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ من أعدائهم ﴿ فَلَمَّا جاءَهُمْ ما عَرَفُوا﴾ من الحق ﴿كَفَرُوا بِهِ﴾ حسداً وطلباً للرياسة ﴿ فَلَعْنَةُ اللَّهِ ﴾ أي: غضبه ﴿ عَلَى الْكافِرِينَ ﴾ وأتى بالظاهر ليفيد أنهم لعنوا لكفرهم فـ(اللام) للعهد، أوالجنس الشامل لهم ﴿ بِئْسَمَا﴾ (ما) نكرة منصوبة مفسرة لفاعل (بئس) المستكن أي: بئس شيئاً ﴿ اشْتَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ ﴾ باعوها به صفة ما ﴿ أَنْ يَكْفُرُوا بِما أَنْزَلَ اللَّهُ ﴾ على محمد(ص) من القرآن ﴿ بَغْياً﴾ لبغيهم وحسدهم ﴿ أَنْ يُنَزِّلَ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ عَلى مَنْ يَشاءُ﴾ ويختار من عباده ﴿ فَباؤُ بِغَضَبٍ عَلى غَضَبٍ﴾ الغضب الاول حين كذبوا بعيسى فجعلهم قردة، والثاني حين كذبوا بمحمد(ص) فسلط عليهم السيف ﴿ وَلِلْكافِرِينَ عَذابٌ مُهِينٌ ﴾ مذل لهم ﴿ وَإِذا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا بِما أَنْزَلَ اللَّهُ ﴾ على محمد(ص) من القرآن ﴿ قالُوا نُؤْمِنُ بِما أُنْزِلَ عَلَيْنا ﴾ وهوالتوراة ﴿ وَيَكْفُرُونَ بِما وَراءَهُ ﴾ ما سواه، حال من فاعل (قالوا) ﴿ وَهُوَالْحَقُّ﴾ الضمير لما وهوالقرآن لأنه ناسخ ما قبله ﴿ مُصَدِّقاً لِما مَعَهُمْ﴾ حال مؤكدة، رد لمقالهم، إذ كفرهم بما يوافق التوراة كفرٌ بها ﴿ قُلْ فَلِمَ ﴾كنتم ﴿ تَقْتُلُونَ﴾ أسند إليهم لأنه فعل أسلافهم ورضوا به ﴿ أَنْبِياءَ اللَّهِ مِنْ قَبْلُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ بالتوراة، فان

فيها تحريم قتلهم ﴿ ولَقَدْ جاءَكُمْ مُوسى بِالْبَيِّناتِ﴾ الآيات التسع ﴿ ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ﴾ معبوداً ﴿ مِنْ بَعْدِهِ﴾ بعد مجيئه، أوذهابه إلى الطور ﴿ وأَنْتُمْ ظالِمُونَ﴾ حال، أي: اتخذتموه ظالمين بعبادته، أو اعتراض، أي: وأنتم قوم عادتكم الظلم ﴿ وإِذْ أَخَذْنا مِيثاقَكُمْ ورَفَعْنا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا ما آتَيْناكُمْ بِقُوَّةٍ ﴾ بجد وعزم ﴿ واسْمَعُوا﴾ ما يقال لكم ﴿ قالُوا سَمِعْنا﴾ بآذاننا ﴿ وعَصَيْنا﴾ بقلوبنا، أوسمعنا قولك وعصينا أمرك ﴿ وأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ﴾ تداخلها حبه كما يتداخل الثوب الصبغ، و(في قلوبهم) بيان لمكان الإشراب نحو(انما يأكلون في بطونهم نارا)[1] ﴿ بِكُفْرِهِمْ﴾ بسببه، لأنهم مجسمة ﴿ بِئْسَما يَأْمُرُكُمْ بِهِ إِيمانُكُمْ﴾ بموسى والتوراة ان تكفروا بي، إذ ليس فيها عبادة العجل، والمخصوص محذوف، أي: هذا الأمر، أوقبائحهم المعدودة سابقاً، وإسناد الأمر إلى ايمانهم تهكم كـ(صلاتك تأمرك) وكذا اضافة الإيمان إليهم ﴿ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ تشكيك في ايمانهم وقدح في صحة دعواهم، وكرر رفع الطور لما فيه من زيادة ليست مع الأولى وهي التنبيه على أن طريقهم مع الرسول طريق أسلافهم مع موسى (ع)﴿ قُلْ إِنْ كانَتْ لَكُمُ الدَّارُ الآخِرَةُ﴾ الجنة ونعيمها ﴿ عِنْدَ اللَّهِ خالِصَةً ﴾ حال من الدار، أي: خاصة بكم كما قلتم: (لن يدخل الجنة إلا من كان هوداً)[2] ﴿ مِنْ دُونِ﴾ سائر ﴿ النَّاسِ﴾ (اللام) للجنس، أوالعهد، أي: المسلمون ﴿ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ﴾ انكم المجاب دعاؤكم، لأن في التوراة: أن أولياء اللّه يتمنون الموت ولا يرهبونه، ولأن من أيقن أنّ له الجنة إشتاقها وتمنّى التخلص من دار الفناء إلى نعيمها الدائم، كما قال علي (ع): (لا أبالي

---

(١) سورة النساء الآية ١٠.

(٢) سورة البقرة الآية ١١١.

سقطت على الموت، أم سقط الموت عليّ) ﴿ ولَنْ يَتَمَنَّوْهُ أَبَداً بِما قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ﴾ بما أسلفوا من موجبات النار، كالكفر بمحمد(ص)، أوبالقرآن، وتحريف التوراة، وعبّر عن النفس باليد لأنها آلة للإنسان بها عامة صنائعه، والآية اخبار بالغيب، وعنه (ص): (لوتمنوا الموت لغص كل انسان بريقه فمات مكانه، وما بقي على وجه الأرض يهودي) ﴿ واللَّهُ عَليمٌ بِالظَّالِمينَ﴾ تهديد لهم ﴿ ولَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلى حَياةٍ﴾ ليأسهم من نعيم الآخرة ﴿و﴾ احرص ﴿ مِنَ الَّذينَ أَشْرَكُوا﴾ افردوا بالذكر لشدة حرصهم، إذ لم يعرفوا إلا الحياة الدنيا، وقيل: هوخبر مبتدأ محذوف صفته ﴿ يَوَدُّ أَحَدُهُمْ﴾ ويراد بـ(الذين أشركوا) اليهود لقولهم(عزير بن اللّه)، أي: ومنهم أناس يود أحدهم وهو ـ على الاول ـ إستيناف لبيان استيناف زيادة حرصهم ﴿ لَويُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ حكاية لما ودّوا و(لَوْ) بمعنى ليت ﴿ وما هُوَ﴾ التعمير ألف سنة ﴿ بِمُزَحْزِحِهِ﴾ بمباعده (مِنَ الْعَذابِ أَنْ يُعَمَّرَ)ابدال التعمير عن الضمير لئلا يتوهم عوده إلى التمني، أوالضمير لأحدهم وان يعمر فاعل مزحزحه، أي: وما أحدهم منحيه عن النار تعميره، أولمصدر يعمر وأن يعمر بدل منه اومبهم بيانه أن يعمر ﴿ واللَّهُ بَصيرٌ بِما يَعْمَلُونَ﴾ عليم بأعمالهم ﴿ قُلْ مَنْ كانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ﴾ قالت اليهود: لوكان الذي يأتيك ميكائيل آمنّا به، فانه ملك الرحمة، وجبرئيل ملك العذاب وهوعدونا، وقرأ حمزة والكسائي جَبرَئيل كسلسبيل، وابن كثير بفتح الجيم وكسر الراء بلا همز، وعاصم كحجرش والباقون كقنديل، ومنع صرفه للعجمة والتعريف، ومعناه: عبد اللّه﴿ فَإِنَّهُ ﴾ أي: جبرئيل ﴿ نَزَّلَهُ ﴾ أي: القرآن وفي إضماره مع ـ عدم ذكره ـ تفخيم لشأنه، كأنه لتعينه يدل على نفسه ﴿ عَلى قَلْبِكَ ﴾ أي: فهمك وحفظك،

ولم يقل: (على قلبي) لحكاية كلام الله كأنه قيل: قل ما تكلمت به ﴿ بِإِذْنِ اللَّـهِ ﴾ بامره ﴿ مُصَدِّقاً لِما بَيْنَ يَدَيْهِ ﴾ من كتب الله ﴿ وهُدىً وبُشْرى لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ احوال من مفعوله وجزاء الشرط فأنه نزله أي: من عادى منهم جبرئيل فغير منصف، لأنه نـزل كتاباً يصدق الكتب السابقة، فحذف الجزاء وأقيم علته مقامه، أوالمعنى: من عاداه فبسبب انه نزل عليك ﴿ مَنْ كانَ عَدُوًّا للَّهِ ومَلائِكَتِهِ ورُسُلِهِ﴾ مخالفاً لـه، أوعـدواً لأوليائه، وصدر بذكره تفخيماً لشأنهم ﴿ وجِبْرِيلَ ومِيكالَ﴾ فيه تنبيه على تـسوية معاداة أحدهم والجميع، وأُفردا بالذكر لفضلهما، كأنهما من جنس آخر، ولأن النزاع كان فيهما ﴿ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكافِرِينَ ﴾ يفعل بهم ما يفعل العدوبالعدوّ، أتى بالمظهر موضع الضمير ليفيد انه ـ تعالى ـ عاداهم لكفرهم، وأن عداوة المذكورين كفر، وقرأ نافع ميكائل كميكاعل، وابوعمرووعاصم كميعاد ﴿ ولَقَدْ أَنْزَلْنا إِلَيْكَ آياتٍ بَيِّناتٍ﴾ القرآن ودلالاته الواضحات، قيل: نزلت حين قال ابن صوريا للرسول (ص): ما جئتنا بشيء نعرفه، وما انزل عليه من آية فنتبعك ﴿ وما يَكْفُرُ بِها إِلاَّ الْفاسِقُونَ﴾ المتمردون بالكفر والفسق.

[سورة البقرة الآيات ١٠٠ - ١٠٤]

أَوَكُلَّمَا عَٰهَدُواْ عَهۡدٗا نَّبَذَهُۥ فَرِيقٞ مِّنۡهُمۚ بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴿١٠٠﴾ وَلَمَّا جَآءَهُمۡ رَسُولٞ مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٞ لِّمَا مَعَهُمۡ نَبَذَ فَرِيقٞ مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَرَآءَ ظُهُورِهِمۡ كَأَنَّهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿١٠١﴾ وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتۡلُواْ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلۡكِ سُلَيۡمَٰنَۖ وَمَا

كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُوا۟ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَ ۚ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ۖ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ ۚ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ ۚ وَلَقَدْ عَلِمُوا۟ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ ۚ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا۟ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿١٠٢﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَمَثُوبَةٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ خَيْرٌ ۖ لَّوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿١٠٣﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَقُولُوا۟ رَٰعِنَا وَقُولُوا۟ ٱنظُرْنَا وَٱسْمَعُوا۟ ۗ وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٠٤﴾

﴿أَ وَكُلَّما﴾ الهمزة للإنكار، والواوعاطفة على مقدر، أي كفروا بالآيات وكلما ﴿عاهَدُوا عَهْداً نَبَذَهُ فَرِيقٌ مِنْهُمْ﴾ نقضه، والنبذ: الطرح، وقيل: منهم لأن بعضهم لم ينقض ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يُؤْمِنُونَ﴾ بالتوراة فلا يبالون بنقض العهد ﴿وَلَمَّا جاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾ كعيسى ومحمد(ص) ﴿مُصَدِّقٌ لِما مَعَهُمْ﴾ من التوراة ﴿نَبَذَ فَرِيقٌ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتابَ كِتابَ اللَّهِ﴾ أي: التوراة وسائر كتب الله ﴿وَراءَ ظُهُورِهِمْ﴾ تركوا العمل بها حسداً، ومثّل تركهم بترك المرمي وراء الظهر

استغناء عنه ﴿كَأَنَّهُمْ لا يَعْلَمُونَ﴾ انه كتاب الله، أي: علموا وعاندوا﴿ واتَّبَعُوا ما تَتْلُوا الشَّياطِينُ ﴾ أي: نبذوا كتاب الله، واتبعوا كتب السحرة التي يقرأها أوتتبعها الشياطين من الجن والانس ﴿ عَلى مُلْكِ سُلَيْمانَ﴾ على عهده زعماً منه انه بالسحر نال ما نال، والمضارع حكاية حال ماضية، قال الباقر (ع): (لمّا هلك سليمان وضع إبليس السحر، ثم كتبه في كتاب وطواه وكتب على ظهره: (هذا ما وضع آصف بن برخيا من ملك سليمان بن داود من ذخائر كنوز العلم من أراد كذا فليقل كذا وكذا) ثم دفنه تحت السرير، ثم استأثره لهم فقال الكافرون: ما كان يغلبنا سليمان الا بهذا، وقال المؤمنون: هوعبد الله ونبيه، فقال الله: (واتبعوا... إلخ) ﴿ وما كَفَرَ سُلَيْمانُ﴾ ولا استعمل السحر كما زعم هؤلاء وسماه كفراً﴿ ولكِنَّ الشَّياطِينَ كَفَرُوا﴾ باستعماله ﴿ يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ﴾ غواء، والجملة حال من الواو﴿ وما أُنْزِلَ﴾ وبتعليمهم إياهم ما انزل عطف على(السحر) أو(ما تتلوا) ﴿ عَلَى الْمَلَكَيْنِ﴾ النازلين﴿ ببابِلَ هارُوتَ ومارُوتَ ﴾ أظهرهما الله للناس بصورة بشرين ليقفوا به على السحر، وأن يبطلوه، ونهاهم أن يسحروا ﴿ وما يُعَلِّمانِ مِنْ أَحَدٍ﴾ السحر وإبطاله ﴿حَتَّى يَقُولا ﴾ للمتعلم ﴿ إِنَّما نَحْنُ فِتْنَةٌ﴾ إمتحان للعباد ﴿ فَلا تَكْفُرْ﴾ باستعمال السحر ﴿ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُما﴾ مما تتلوا الشياطين، ومما أُنزل على الملكين ﴿ ما يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وزَوْجِه﴾ أي: سحراً يكون سبب تفرقهما ﴿ وما هُمْ بِضارِّينَ بِه مِنْ أَحَدٍ إِلاَّ بِإِذْنِ اللَّه ﴾ بتخليته ﴿ ويَتَعَلَّمُونَ ما يَضُرُّهُمْ﴾ في دينهم ﴿ ولا يَنْفَعُهُمْ﴾ فيه﴿ ولَقَدْ عَلِمُوا﴾ هؤلاء المتعلمون﴿ لَمَنِ اشْتَراهُ ﴾ أي: السحر بدينه الذي ينسلخ منه بتعلمه ﴿ ما لَهُ فِي الآخِرَةِ مِنْ خَلاقٍ﴾ نصيب، لاعتقادهم أن لا آخرة ﴿ ولَبِئْسَ ما شَرَوْا بِهِ ﴾ باعوا به أنفسهم ﴿ أَنْفُسَهُمْ﴾ ورهنوها بالعذاب﴿ لَوْ كانُوا يَعْلَمُونَ﴾ يعملون بعلمهم، إذ علم

من لا يعمل به كلا علم، فلا ينافي اثبات العلم لهم ﴿ ولوأنَّهمْ آمَنُوا﴾ بمحمد(ص) والقرآن ﴿ واتَّقَوْا﴾ المعاصي، كنبذ كتاب الله، واتباع السحر ﴿لَمَثُوبَةٌ مِنْ عِنْدِ اللهِ خَيْرٌ﴾ جواب (لو)، أي: لأثيبوا مثوبة، فحذف الفعل، وعدل إلى الاسمية لتفيد ثبات المثوبة، ونكرت لأن المعنى: لشيءٌ من الثواب خير لهم ﴿لوكانُوا يَعْلَمُونَ﴾ أن ثواب الله خير مما هم فيه ﴿ يا أيُّهَا الَّذينَ آمَنُوا لا تَقُولُوا راعِنا وقُولُوا انْظُرْنا﴾ قيل: كان المسلمون يقولون للرسول(ص)إذا علمهم شيئاً: راعنا، أي: تأنّ بنا حتى نفهمه، فخاطبه اليهود قاصدين نسبته إلى الرعونة، أوسبّه بكلمة عبرانية يتسابون فيها، فنهي المؤمنون عنه وأمروا بما هوفي معناه، وهو(أُنظرنا) أي: انتظرنا، أوانظر إلينا ﴿ واسْمَعُوا﴾ إذا قال لكم أمراً وأطيعوا، لا كسماع اليهود إذ(قالوا سمعنا وعصينا)[١] ﴿ ولِلْكافِرِينَ عَذابٌ أَليمٌ﴾ الشاتمين المتهاونين بالرسول.

[سورة البقرة الآيات ١٠٥ - ١١٢]

مَّا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَلَا ٱلْمُشْرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْكُم مِّنْ خَيْرٍ مِّن رَّبِّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿١٠٥﴾ مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ أَوْ مِثْلِهَآ ۗ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٠٦﴾ أَلَمْ تَعْلَمْ

---

(١) حكى الله تعالى ذلك عنهم في سورة البقرة الآية ٩٣.

أَنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٠٧﴾ أَمْ تُرِيدُونَ أَن تَسْـَٔلُوا۟ رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ ۗ وَمَن يَتَبَدَّلِ ٱلْكُفْرَ بِٱلْإِيمَٰنِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿١٠٨﴾ وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَٱعْفُوا۟ وَٱصْفَحُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٠٩﴾ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَمَا تُقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١٠﴾ وَقَالُوا۟ لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ ۗ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ ۗ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١١١﴾ بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُۥٓ أَجْرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١١٢﴾

﴿ما يَوَدُّ الَّذينَ كَفَرُوا مِنْ أهْلِ الْكِتابِ﴾ الود: المحبّة، و(من) للتبيين ﴿ولا الْمُشْرِكينَ﴾ (لا) لتأكيد النفي ﴿أنْ يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ﴾ مفعول (يود) ﴿مِنْ خَيْرٍ﴾

أي: وحي، أوغيره، وزيدت (من) للاستغراق ﴿ مِنْ رَبِّكُمْ ﴾ (من) للابتداء أي: يحسدونكم وما يحبون أن ينزل عليكم شيء من الوحي ﴿ واللّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِه ﴾ بالنبوة ﴿ مَنْ يَشاءُ ﴾ ولا يشاء إلا ما تقتضيه الحكمة ﴿ واللّهُ ذُوالْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴾ فيه اشعار بأن النبوة من الفضل ﴿ ما نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ ﴾ بأن نرفع حكمها ﴿ أونُنْسِها ﴾ بأن نمحومن القلوب رسمها ﴿ نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْها ﴾ بما هوأعظم لثوابكم، وأجلّ لصلاحكم ﴿ أومِثْلِها ﴾ من الصلاح ﴿ أَلَمْ تَعْلَمْ ﴾ أيها المنكر للنسخ ﴿ أَنَّ اللّهَ عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَديرٌ ﴾ يقدر على الخير وما هوخير منه وما هومثله ﴿ أَلَمْ تَعْلَمْ ﴾ خطاب للنبي (ص) وأمته لقوله (وما لكم)، وأفرد لأنه اعلم ﴿ أَنَّ اللّهَ لَهُ مُلْكُ السَّماواتِ والأَرْضِ وما لَكُمْ مِنْ دُونِ اللّهِ مِنْ وَلِيٍّ ﴾ يلي صلاحكم ﴿ ولا نَصِيرٍ ﴾ ينصركم، والفرق بينهما أن الولي قد يضعف عن النصرة، والنصير قد يكون أجنبياً ﴿ أَمْ تُرِيدُونَ ﴾ بل تريدون أيها الكفار واليهود ﴿ أَنْ تَسْئَلُوا رَسُولَكُمْ ﴾ ما تقترحونه من الآيات ﴿ كَما سُئِلَ مُوسى مِنْ قَبْلُ ﴾ واقتُرِح عليه ﴿ ومَنْ يَتَبَدَّلِ الْكُفْرَ بِالْإِيمانِ ﴾ من ترك الثقة بالآيات المنزلة واقتراح غيرها ﴿ فَقَدْ ضَلَّ سَواءَ السَّبِيلِ ﴾ أي: وسطه، فلا يصل إلى المقصد قيل: نزلت في أهل الكتاب حين سألوه ان ينزل عليهم كتاباً من السماء، أوفي المشركين حين قالوا: (لن نؤمن لك حتى تفجر لنا) إلى قوله (اوتأتي بالله والملائكة قبيلاً)[1] ﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتابِ ﴾ كحي بن اخطب ونظرائه ﴿ لَويَرُدُّونَكُمْ ﴾ أي: أن يرجعوكم ﴿ مِنْ بَعْدِ إِيمانِكُمْ كُفَّاراً ﴾ مفعول ثان لـ(يردوا) أوحال من مفعول بما يوردونه عليكم من الشُبَه ﴿ حَسَداً ﴾ لكم ﴿ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ ﴾ متعلق بـ(ود) أي:

---

(١) سورة الأسراء الآية ٩٠.

تمنوا ذلك من عند تشهيهم لا من قبل تدينهم ﴿ مِنْ بَعْدِ ما تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ﴾ صدق محمد(ص) ﴿ فَاعْفُوا واصْفَحُوا﴾ اتركوا العقوبة والتثريب[1] ﴿ حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ﴾ فيهم، بالقتل يوم فتح مكة، أومن قتل قريظة وإجلاء النظير، وضرب الجزية عليهم ﴿ إِنَّ اللَّهَ عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ فيقدر على الانتقام منهم﴿ وأَقِيمُوا الصَّلاةَ وآتُوا الزَّكاةَ وما تُقَدِّمُوا لأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ﴾ كصلاة وإنفاق ﴿ تَجِدُوهُ﴾ أي: ثوابه ﴿ عِنْدَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِما تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ لا يضيع لديه عمل ﴿ وقالُوا ﴾ أي: أهل الكتاب من اليهود والنصارى ﴿لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلاَّ مَنْ كانَ هُوداً أَونَصارى﴾ يهودياً أونصرانياً، جمع بين قوليهما لأمن اللبس لعلم السامع بالتعادي بينهما، و(هود) جمع هائد، وإفراد الاسم وجمع الخبر باعتبار اللفظ والمعنى ﴿ تِلْكَ أَمانِيُّهُمْ ﴾ التي يتمنونها بلا حجة ﴿ قُلْ هاتُوا بُرْهانَكُمْ﴾ على اختصاصكم بالجنة ﴿ إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ بَلى﴾ ردّ لمقالتهم ﴿ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ﴾ أخلص نفسه﴿لِلَّهِ﴾ لما سمع الحق ﴿ وهُوَمُحْسِنٌ﴾ في عمله لله ﴿ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ﴾ و(من) شرطية، أوموصولة، والجملة جوابها، أوخبرها و(الفاء) لتضمنها معنى الشرط، فالرد بـ(بلى) وحده، أو(من) فاعل فعل مقدّر أي: بلى يدخلها من أسلم﴿ ولا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ ولا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ في الآخرة .

[سورة البقرة الآيات ١١٣ - ١١٩]

وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ لَيْسَتِ ٱلنَّصَـٰرَىٰ عَلَىٰ شَيْءٍ وَقَالَتِ ٱلنَّصَـٰرَىٰ لَيْسَتِ ٱلْيَهُودُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ ٱلْكِتَـٰبَ ۗ كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ

---

(١)التثريب عليهم هوتقبيح فعلهم . قال تعالى حاكياً قول يوسف(ع): (قال لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم)سورة يوسف الآية ٩٢.

مِثْلَ قَوْلِهِمْ ۚ فَٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١١٣﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ وَسَعَىٰ فِى خَرَابِهَآ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَن يَدْخُلُوهَآ إِلَّا خَآئِفِينَ ۚ لَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا خِزْىٌ وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١٤﴾ وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ ۚ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿١١٥﴾ وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا ۗ سُبْحَٰنَهُۥ ۖ بَل لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ كُلٌّ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ ﴿١١٦﴾ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿١١٧﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا ٱللَّهُ أَوْ تَأْتِينَآ ءَايَةٌ ۗ كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّثْلَ قَوْلِهِمْ ۘ تَشَٰبَهَتْ قُلُوبُهُمْ ۗ قَدْ بَيَّنَّا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿١١٨﴾ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ۖ وَلَا تُسْـَٔلُ عَنْ أَصْحَٰبِ ٱلْجَحِيمِ ﴿١١٩﴾

﴿ وقالَتِ اليَهُودُ لَيسَتِ النَّصارى عَلى شَيْءٍ﴾ يعتد به ﴿ وقالَتِ النَّصارى لَيسَتِ اليَهُودُ عَلى شَيْءٍ﴾ قيل: نزلت حين قدم وفد نجران على الرسول (ص) وأتاهم احبار

اليهود وتقاولوا[١] بذلك ﴿ وهُمْ يَتْلُونَ الْكتابَ﴾ (الواو) للحال، و(الكتاب) للجنس، أي: قالوا ذلك وهم من أهل التلاوة للكتب ﴿ كَذلكَ﴾ أي: مثل ذلك ﴿ قالَ الَّذينَ لا يَعْلَمُونَ ﴾ كعبدة الأصنام والدهرية[٢] ﴿ مثْلَ قَوْلِهِمْ ﴾يكفر بعضهم بعضاً، وبّخهم على تشبههم بالجهلة ﴿ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقيامَة فيما كانُوا فيه يَخْتَلفُونَ ومَنْ أَظْلَمُ ممَّنْ مَنَعَ مَساجِدَ اللَّهِ﴾ عن الصادق (ع): نزلت في قريش حين منعوا رسول الله (ص) دخول مكة والمسجد الحرام، وعن علي (ع): أنه أراد جميع الأرض (جعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً) ﴿ أَنْ يُذْكَرَ فيهَا اسْمُهُ﴾ مفعول ثان لـ(منع) أومفعول له، أي: كراهة أن يذكر ﴿ وسَعى في خَرابِها ﴾ لئلا تعمر بطاعة الله ﴿ أُولئكَ ما كانَ لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوها إِلاَّ خائفينَ﴾ من عذابه، أومن المؤمنين أن يبطشوا بهم - فضلاً أن يمنعوهم منها- أوما كان لهم في علم الله ، فهووعد للمؤمنين بالنصر ﴿ لَهُمْ في الدُّنْيا خزْيٌ ﴾ بطردهم عن الحرم، أو القتل، أو السبي أوالجزية ﴿ ولَهُمْ في الآخرَة عَذابٌ عَظيمٌ﴾ بظلمهم ﴿ ولِلَّه الْمَشْرِقُ والْمَغْرِبُ ﴾ أي يملك ناحيتي الأرض كلها، فإن منعتم الصلاة في المساجد فصلوا حيث كنتم ﴿ فَأَيْنَما تُوَلُّوا﴾ وجوهكم ﴿ فَثَمَّ وَجْهُ اللَّه ﴾ جهته التي جعلها قبلة لكم، أوذاته إذ لا يخلومنه مكان ولا تخفى عليه خافية ﴿ إِنَّ اللَّهَ واسعٌ﴾ يريد التوسعة لعباده، (يريد بهم اليسر ولا يريد بهم العسر)[٣] ﴿ عَليمٌ﴾ بمصالحهم، قيل: أن اليهود أنكروا تحويل القبلة عن بيت المقدس، فنزلت الآية رداً عليهم، وروي: أنها نزلت في قبلة المتحير، وفي التطوع في السفر على

---

(١) أي : قال بعضهم للبعض الآخر وأجابه الثاني.

(٢) الدهرية هم الملاحدة الذين لايؤمنون بوجود الله سموا بذلك لأنهم يقولون ببقاء الدهر.

(٣) اشارة الى قوله تعالى في سورة البقرة الآية ١٨٥: (يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر).

الراحلة ﴿ وقالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَداً ﴾ نزلت حين قال اليهود: عزير بن الله، والنصارى: المسيح بن الله، ومشركوالعرب: الملائكة بنات اللّه، وترك ابن عامر العاطف ﴿ سُبْحانَهُ ﴾ تنزيه له عن ذلك ﴿ بَلْ لَهُ ﴾ أي: ملكه ﴿ ما في السَّماواتِ والأَرْضِ ﴾ ومنه: الملائكة وعزير، والمسيح ﴿كُلٌّ لَهُ قانِتُونَ﴾ منقادون، مقرّون له بالعبودية، فكيف يجانسونه؟ والولد أبداً يجانس الوالد، وتنوين (كل) للعوض، أي: كل ما فيها ﴿ بَديعُ السَّماواتِ والأَرْضِ﴾ منشئهما لا من شيء، ولا على مثال سبق ﴿ وإِذا قَضى أَمْراً ﴾ أراد فعله وخلقه ﴿ فَإِنَّما يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾ (من) التامة أي: أحدث فيحدث، والمراد تمثيل حصول ما تعلقت به ارادته بلا مهلة، بطاعة المأمور بلا توقف، لا حقيقة أمر وامتثال، ونصب ابن عامر (فيكون) ﴿ وقالَ الَّذينَ لا يَعْلَمُونَ﴾ جهلة المشركين، أواهل الكتاب ﴿لَولا﴾ هلاّ ﴿ يُكَلِّمُنَا اللَّهُ ﴾كما كلم موسى، أويوحي إلينا أنك رسوله استكباراً ﴿ أَوتَأْتينا آيَةٌ﴾ كما تأتيك بزعمك ﴿كَذلكَ قالَ الَّذينَ مِنْ قَبْلِهِمْ ﴾ من الأمم ﴿ مِثْلَ قَوْلِهِمْ ﴾ كـ(أرنا اللّه جهرة)[1] (هل يستطيع ربك أن ينزل علينا مائدة)[2] ﴿ تَشابَهَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ قلوب هؤلاء ومن قبلهم، في العمى والعناد ﴿ قَدْ بَيَّنَّا الآياتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ يطلبون اليقين، أوفيما ظهر من الآيات كفاية لمن يعانده ﴿ إِنَّا أَرْسَلْناكَ بِالْحَقِّ﴾ متلبساً به ﴿ بَشيراً ونَذيراً ﴾ فلا عليك إن كابروا ﴿ ولا تُسْئَلُ عَنْ أَصْحابِ الْجَحيمِ﴾ ما لهم لم يؤمنوا بعد تبليغك؟ وروي عن الامام (ع): (أنه على النهي) كما قرأ نافع .

---

(١) قاله قوم موسى(ع)كما حكى ذلك القرآن الكريم في سورة النساء الآية ١٠٣ .

(٢)قاله قوم عيسى(ع) وقد أشار تعالى الى ذلك في سورة المائدة الآية ١١٤ .

[سورة البقرة الآيات ١٢٠- ١٢٦]

وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَـٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۗ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٢٠﴾ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَـٰهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ أُو۟لَـٰٓئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَـٰسِرُونَ ﴿١٢١﴾ يَـٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتِىَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّى فَضَّلْتُكُمْ عَلَى ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿١٢٢﴾ وَٱتَّقُوا۟ يَوْمًا لَّا تَجْزِى نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْـًٔا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا تَنفَعُهَا شَفَـٰعَةٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿١٢٣﴾ وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَـٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ۖ قَالَ إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ۖ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِى ۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿١٢٤﴾ وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَٱتَّخِذُوا۟ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى ۖ وَعَهِدْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَـٰعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْعَـٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴿١٢٥﴾ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَـٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا

وَٱرۡزُقۡ أَهۡلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ مَنۡ ءَامَنَ مِنۡهُم بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۖ قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُۥ قَلِيلٗا ثُمَّ أَضۡطَرُّهُۥٓ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلنَّارِۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ ﴿١٢٦﴾

﴿ولَنْ تَرضى عَنْكَ الْيَهُودُ ولا النَّصارى حَتّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾ مبالغة له في إقناطه عن إسلامهم ﴿قُلْ﴾ مجيباً لهم ﴿إنَّ هُدَى اللَّه﴾ أي: الإسلام ﴿هُوالْهُدى﴾ بالحق، لا ما تدعون إليه ﴿ولَئنِ اتَّبعْتَ أَهْواءَهُمْ بَعْدَ الَّذي جاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ﴾ أي: الدين الصحيح، أوالبيان ﴿ما لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ ولا نَصيرٍ﴾ يدفع عنك عقابه، وهوجزاء (لئن) من قبيل (إياك أعني واسمعي يا جارة) ﴿الَّذينَ آتَيْناهُمُ الْكِتابَ﴾ القرآن ﴿يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلاوَتِه﴾ بالوقوف عند ذكر الجنة والنار، يسأل في الأولى، ويستعيذ في الأخرى، أوبالتدبر له، والعمل بمقتضاه، ولا يحرفونه ﴿أُولئِكَ يُؤْمِنُونَ بِه﴾ وعن الباقر والصادق (ع): (هم الأئمة (ع)) ﴿ومَنْ يَكْفُرْ بِه فَأُولئِكَ هُمُ الْخاسِرُونَ﴾ حيث اشتروا الضلالة بالهدى ﴿يا بَني إِسْرائيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وأَنّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعالَمينَ واتَّقُوا يَوْماً لا تَجْزي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئاً ولا يُقْبَلُ مِنْها عَدْلٌ ولا تَنْفَعُها شَفاعَةٌ ولا هُمْ يُنْصَرُونَ﴾ قد مرّ ذكر الآيتين،(١) والتكرير لبعد ما بين الكلامين تأكيداً للتذكير، ومبالغةً في النصح، وإقامةً للحجة ﴿وإِذِ ابْتَلى إِبْراهيمَ رَبُّهُ بِكَلِماتٍ﴾ عامله معاملة المخبرين، روي: أنها السؤال بحق محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين، وقيل بذبح ولده والنار، وبمناسك الحج، وبالكوكب والقمر والشمس، وبالعشر الحنيفية ﴿فَأَتَمَّهُنَّ﴾ أداهن بغير تفريط، وروي: أتمهن بمحمد

---

(١) راجع الصفحة ٤٧ من هذا الجزء.

وعلي، والائمة من ولد علي في قول الله: (ذرية بعضها من بعض)[١] ﴿ قالَ إِنِّي جاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِماماً﴾ استيناف إن كان ناصب (ان) مضمراً كأنه قيل: فما قال له ربّه؟ فأجيب به أوبيان لـ(ابتلى)، فتكون الكلمات: ما ذكر من الامامة، وتطهير البيت ورفع قواعده، والإسلام، وان كان الناصب (قال) فالمجموع جملة عطفت على ما قبلها و(اماماً) ثاني مفعول (جاعلك) ﴿ قالَ ومِنْ ذُرِّيَّتِي﴾ (الواو) للإستيناف، أوالعطف على محذوف، و(من) للابتداء، أو التبعيض، أو زائدة، أي: إجعلني إماماً واجعل من ذريتي أو بعضها، أو ذريتي على جهة السؤال﴿ قالَ لا يَنالُ عَهْدِي﴾ أي: الامامة، وسكن الياء حفص وحمزة ﴿ الظَّالِمِينَ﴾ لا يكون السفيه إمام التقي، كما عن الصادق (ع)، وعنه (ع) من عبد صنماً، أو وثناً لا يكون إماماً، وفيه تعريض بالغير، والإمامة أمانة الله، والظالم لا يصلح لها، وإنما ينالها الأتقياء منهم، وفيها دلالة على عصمة النبي(ص)والإمام (ع) ﴿ وإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ ﴾ أي: الكعبة، غلب فيها ﴿ مَثابَةً لِلنَّاسِ﴾ مرجعاً ومحل عود، أو موضع ثواب يثابون بحجه﴿ وأَمْناً ﴾ موضع أمن لأهله، أو الملتجي إليه من التعرض، وعن الصادق (ع): «من دخل الحرم من الناس مستجيراً به فهوآمن من سخط الله وما دخله من الوحش والطير كان آمناً من ان تهاج أو تؤذى حتى تخرج من الحرم» ﴿ واتَّخِذُوا﴾ بتقدير القول، أوعطف على (إذ) المقدر، أو على مضمر، أي: ثوبوا إليه ﴿ مِنْ مَقامِ إِبْراهِيمَ ﴾ أي: الحجر الذي عليه أثر قدمه﴿ مُصَلًّى﴾ عن الباقر والصادق (ع): (يعني بذلك ركعتي طواف الفريضة)، وقيل: مدعى من صليت، أي: دعوت أو قبلة، و(من) للتبعيض أو الابتداء،

---

(١)سورة آل عمران الآية ٣٤.

أو التبيين، أو زائدة، وقيل: مقام ابراهيم الحرم كله فتكون (من) تبعيضية ويكون المراد البعض المخصوص وهوالمقام الآن، وقيل: عرفة والمزدلفة والجمار، وقيل الحج كله، وقرأ نافع وابن عامر (واتَخذوا) ماضياً عطفاً على (جعلنا) أي: واتخذ الناس ﴿ وعَهِدْنا إلى إبْراهِيمَ وإسْماعِيلَ ﴾ أمرناهما ﴿ أنْ ﴾ بأن، أو أي ﴿ طَهِّرا بَيْتِيَ ﴾ من الأصنام والأنجاس، وفتح الياء نافع وحفص وهشام ﴿ للطّائفينَ ﴾ الدائرين حوله ﴿ والْعاكِفِينَ ﴾ المقيمين عنده، أو المعتكفين فيه ﴿ والرُّكَّعِ السُّجُودِ ﴾ أي: المصلين جمع راكع وساجد، روي: (ينبغي للعبد أن لا يدخل البيت إلاّ وهوطاهر، قد غسل عنه العرق والأذى وتطهر) ﴿ وإذْ قالَ إبْراهيمُ رَبِّ اجْعَلْ هذا ﴾ البلد، أو المكان ﴿ بَلَداً آمِناً ﴾ ذا أمن كـ(عيشة راضية)، أو أمناً أهله كـ(ليل نائم) ﴿ وارْزُقْ أهْلَهُ مِنَ الثَّمَراتِ ﴾ أنواع ما تحمله الأشجار، وروي: (من ثمرات القلوب) أي: وحببهم إلى الناس لينسابوا إليهم، أقول: ويشهد له: (واجعل افئدة من الناس تهوي إليهم)[1] وعن الرضا (ع): لما دعا ابراهيم ربه أن يرزق أهله من الثمرات أمر بقطعة من الأردن فسارت بثمارها حتى طافت بالبيت، ثم أمرها أن تنصرف إلى هذا الموضع الذي سمي بالطائف ﴿ مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ باللّهِ والْيَوْمِ الآخِرِ ﴾ بدل، بعضٍ من (أهله) قال السجاد (ع): (إيانا عنى بذلك وأولياءه وشيعة وصيّه) ﴿ ومَنْ كَفَرَ ﴾ عطف على محذوف، أي أرزق من آمن ومن كفر، أو مبتدأ تضمن معنى الشرط وخبره ﴿ فَأُمَتِّعُهُ ﴾ زماناً، أو متاعاً ﴿ قَليلاً ثُمَّ أضْطَرُّهُ ﴾ الزّه[2] ﴿ إلى عَذابِ النّارِ ﴾

---

(١) سورة ابراهيم الآية ٣٧.

(٢) لزه الى العذاب أي: ألصقه به وشده إليه وجعل العذاب لازماً له .

لزّ المضطر، وقرأ ابن عامر (فأمتعه)من أمتع ﴿ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴾ أي: المآل، والمخصوص محذوف، أي: عذاب النار.

[سورة البقرة الآيات ١٢٧- ١٣٤]

وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَـٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾ رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٢٨﴾ رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٢٩﴾ وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ ۚ وَلَقَدِ ٱصْطَفَيْنَـٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ ﴿١٣٠﴾ إِذْ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسْلِمْ ۖ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿١٣١﴾ وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَـٰبَنِىَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٣٢﴾ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ بَعْدِى قَالُوا۟ نَعْبُدُ إِلَـٰهَكَ وَإِلَـٰهَ ءَابَآئِكَ

إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَـٰعِيلَ وَإِسْحَـٰقَ إِلَـٰهًا وَٰحِدًا وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٣﴾ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ ۖ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ ۖ وَلَا تُسْـَٔلُونَ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٣٤﴾

﴿ وإِذْ يَرْفَعُ إِبْراهِيمُ﴾ حكاية حالٍ ماضية ﴿الْقَواعِدَ﴾ جمع قاعدة وهي: الأساس، ورفعها للبناء عليها لنقله إياها من هيئة الانخفاض إلى هيئة الارتفاع ﴿ مِنَ الْبَيْتِ ﴾ وفي إبهامها وتبيينها رفع لشأنها ﴿ وإِسْماعِيلُ﴾ كان يناوله الحجارة فعطف عليه لمدخليته في الرفع، أوكانا يتناوبانه، أو يبنيان في طرفين يقولان: ﴿ رَبَّنا تَقَبَّلْ مِنَّا ﴾ والجملة حال منهما، وتفيد ندبية الدعاء عقيب العبادة ﴿ إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ﴾ لدعائنا ﴿ الْعَلِيمُ﴾ بنيّاتنا، عن الباقر(ع): (ان إسماعيل أول من شق لسانه بالعربية، وكان أبوه يقول وهما يبنيان: «هاي ابني» أي: اعطني، فيقول له إسماعيل بالعربية: «يا أبه هاك حجراً» فإبراهيم يبني وإسماعيل يناوله) ﴿ رَبَّنا واجْعَلْنا مُسْلِمَيْنِ﴾ مخلصين، أو مستسلمين أي: منقادين ﴿لَكَ﴾ والمراد: طلب الزيادة في الإخلاص، أو الانقياد، أو الثبات عليه ﴿ ومِنْ ذُرِّيَّتِنا﴾ واجعل بعضها، وخصّ البعض لما اعلما أن فيهم ظلمة ﴿ أُمَّةً﴾ من (أمّه) إذا قصده، قيل للجماعة لأنها تأمّ ﴿ مُسْلِمَةً لَكَ ﴾ عن الصادق (ع): (هم أهل البيت)، وروي: بنو هاشم خاصّة، وقيل امة محمد(ص) ﴿ وأَرِنا﴾ عرّفنا، أو بصرنا ﴿ مَناسِكَنا﴾ متعبداتنا في الحج، أو مذابحنا، و(النسك) في الأصل: العبادة، وشاع في الحج لما فيه من الكلفة والبعد عن العادة﴿ وتُبْ عَلَيْنا﴾ عما لا ينبغي﴿ إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴾ بالعباد ﴿ رَبَّنا وابْعَثْ فِيهِمْ﴾ في الامة

المسلمة ﴿ رَسُولاً مِنْهُمْ ﴾ من تلك الامة ـ كما عن الصادق (ع) ـ ولم يبعث من ذريتهما غير نبينا، وروي: من ولد إسماعيل، ولذا قال (ص): (أنا دعوة أبي إبراهيم)، ﴿ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آياتكَ ﴾ يقرأ عليهم ويبلغهم ما يوحى إليه من دلائل التوحيد والنبوة ﴿ ويُعَلِّمُهُمُ الْكتابَ ﴾ القرآن ﴿ والْحِكْمَةَ ﴾ السنة، أوالمعارف والاحكام مما تكمل به نفوسهم ﴿ ويُزَكِّيهِمْ ﴾ يطهرهم من الشرك والمعاصي ﴿ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزيزُ ﴾ الذي لا يُغلَب على ما يريد ﴿ الْحَكيمُ ﴾ المحكم له ﴿ ومَنْ يَرْغَبُ عَنْ مِلَّة إِبْراهيمَ ﴾ هي: دين الإسلام، والحنيفية العشرة التي جاء بها إنكار واستبعاد، أي: لا يرغب عنها ﴿ إِلاّ مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ ﴾ أضلّها وأذلّها واستخف بها، قيل: سفه بالكسر متعدّ، وبالضم لازم، وقيل: نصب نفسه تمييزاً، أوبنزع الخافض ومحل المستثنى الرفع بدلاً من ضمير (يرغب) لعدم إيجابه، أوالنصب بالاستثناء، عن السّجاد والباقر والصادق والعسكري (ع): (ما أحد على ملّة إبراهيم إلانحن وشيعتنا وسائر الناس منها براء) ﴿ ولَقَد اصْطَفَيْناهُ ﴾ إخترناه للرسالة ﴿ فِي الدُّنْيا وإِنَّهُ فِي الآخرَةِ لَمِنَ الصَّالحينَ ﴾ المستقيمين على الخير، والكلام حجة وبيان، أي: من كان كذلك كان حقيقاً بالإتباع لا يرغب عنه إلا سفيه ﴿ إِذْ قالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قالَ ﴾ مبادراً إلى الإذعان ﴿ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعالَمينَ ووَصَّى بِها ﴾ أي: بالملة، أو كلمة أسلمت، وقرأ نافع وابن عامر وأوصى ﴿ إِبْراهيمُ بَنِيه ﴾ الأربعة: إسماعيل وإسحاق ومدين ومدان، وقيل: أكثر ﴿ ويَعْقُوبُ ﴾ أي: ووصى بها يعقوب بنيه الاثني عشر ﴿ يا بَنِيَّ ﴾ بتقدير القول، أو متعلق بـ(وصى) لأنه بمعناه ﴿ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفى لَكُمُ الدِّينَ ﴾ الإسلام الذي هوصفوة الأديان ﴿ فَلا تَمُوتُنَّ إِلاّ وأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ ثابتين على الإسلام ﴿ أَمْ كُنْتُمْ شُهَداءَ ﴾ (أم) منقطعة والهمزة المقدرة للإنكار، أي: ما كنتم حاضرين ﴿ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قالَ لِبَنِيهِ ﴾ بدل من

(إذ حضر)، قيل: ردّ على اليهود إذ قالوا لرسول الله (ص): ألست تعلم إن يعقوب أوصى بنيه باليهودية يوم مات؟ فنزلت، أوخطاب للمؤمنين، أي: ما شهدتم ذلك، وإنما علمتموه من الوحي ﴿ما تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي﴾ أراد به تقريرهم على التوحيد والإسلام، وأخذ ميثاقهم على الثبات عليهما ﴿قالُوا نَعْبُدُ إِلهَكَ وإِلهَ آبائِكَ إِبْراهِيمَ وإِسْماعِيلَ وإِسْحاقَ﴾ عطف بيان لـ(آبائك) وعدّ إسماعيل منهم لأن العرب تسمي العم أباً كالجد لوجوب تعظيمه كالأب ، وفي الخبر: عم الرجل صنوأبيه[1]، وعنه (ص) في العبّاس: (ردّوا عليّ أبي) ﴿إِلهاً واحِداً﴾ تصريح بالتوحيد ﴿ونَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ حال من فاعل (نعبد) أومفعوله، أومنهما، أواعتراض ﴿تِلْكَ﴾ أي: إبراهيم ويعقوب وبنوهما ﴿أُمَّةٌ﴾ جماعة ﴿قَدْ خَلَتْ﴾ مضت ﴿لَها ما كَسَبَتْ ولَكُمْ ما كَسَبْتُمْ﴾ لكل جزاء عمله لا ينتفع أحد بكسب غيره ﴿ولا تُسْئَلُونَ عَمَّا كانُوا يَعْمَلُونَ﴾لا تؤاخذون بمعاصيهم كما لا تثابون بطاعاتهم.

[سورة البقرة الآيات ١٣٥- ١٤١]

وَقَالُواْ كُونُواْ هُودًا أَوْ نَصَـٰرَىٰ تَهْتَدُواْ ۗ قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِـۧمَ حَنِيفًا ۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٣٥﴾ قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَـٰعِيلَ وَإِسْحَـٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِىَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ

(١) أي: مثل أبيه ، لأن الصنوفي اللغة معناه : المثل والنظير.

لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ﴿١٣٦﴾ فَإِنۡ ءَامَنُواْ بِمِثۡلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهۡتَدَواْۖ وَّإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنَّمَا هُمۡ فِي شِقَاقٖۖ فَسَيَكۡفِيكَهُمُ ٱللَّهُۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ﴿١٣٧﴾ صِبۡغَةَ ٱللَّهِۖ وَمَنۡ أَحۡسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبۡغَةٗۖ وَنَحۡنُ لَهُۥ عَٰبِدُونَ ﴿١٣٨﴾ قُلۡ أَتُحَآجُّونَنَا فِي ٱللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمۡ وَلَنَآ أَعۡمَٰلُنَا وَلَكُمۡ أَعۡمَٰلُكُمۡ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُخۡلِصُونَ ﴿١٣٩﴾ أَمۡ تَقُولُونَ إِنَّ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطَ كَانُواْ هُودًا أَوۡ نَصَٰرَىٰۗ قُلۡ ءَأَنتُمۡ أَعۡلَمُ أَمِ ٱللَّهُۗ وَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَٰدَةً عِندَهُۥ مِنَ ٱللَّهِۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ ﴿١٤٠﴾ تِلۡكَ أُمَّةٞ قَدۡ خَلَتۡۖ لَهَا مَا كَسَبَتۡ وَلَكُم مَّا كَسَبۡتُمۡۖ وَلَا تُسۡـَٔلُونَ عَمَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿١٤١﴾

﴿ وقالُوا﴾ أي: أهل الكتاب ﴿ كُونُوا هُوداً أَونَصارى﴾ أي: قالت اليهود: كونوا هوداً، والنصارى: كونوا نصارى ﴿تَهْتَدُوا﴾ جواب (كونوا) ﴿ قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْراهِيمَ﴾ أي: بل نتبع ملته، أونكون أهل ملته ﴿ حَنِيفاً﴾ مائلاً عن الباطل إلى الحق، حال عن المضاف إليه ﴿ وما كانَ مِنَ الْمُشْرِكينَ﴾ تعريض بالفريقين وغيرهم (إذا إدّعوا إتّباعه وهم مشركون، عن الصادق (ع): (الحنيفية هي الإسلام) وعن الباقر (ع): (ما أبقت الحنيفية شيئاً حتى أنّ منها قصّ الشارب وقلم الأظفار والختان)﴿ قُولُوا آمَنَّا

باللّه ﴾ خطاب للمؤمنين ﴿ وما أُنزلَ إلَيْنا ﴾ أي: القرآن ﴿ وما أُنزلَ إلى إبْراهيمَ وإسْماعيلَ وإسْحاقَ ويَعْقُوبَ والأسْباطِ ﴾ صحف إبراهيم، فإنها منزلة إليهم لأنهم متعبدون بما فيها، والأسباط: حفدة يعقوب ذراري بنيه الاثني عشر ﴿ وما أُوتِيَ مُوسى وعِيسى ﴾ التوراة والإنجيل، وخصّا بالذكر لأنه احتجاج على أهل الكتابين ﴿ وما أُوتِيَ النَّبِيُّونَ ﴾ المذكورون وغيرهم ﴿ مِنْ رَبِّهِمْ ﴾ منزلاً منه ﴿لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ ﴾ لا نؤمن ببعض ونكفر ببعض، كاليهود والنصارى، وأضيف (بين) إلى (أحد) لعمومه في سياق النفي ﴿ ونَحْنُ لَهُ ﴾ أي: للّه تعالى ﴿ مُسْلِمُونَ ﴾ منقادون مخلصون، وعن الباقر (ع) في قوله(قولوا آمنا): (انما عنى بذلك علياً وفاطمة والحسن والحسين، وجرت بعدهم في الائمة (ع) ثم رجع القول من اللّه تعالى في الناس فقال: فان آمنوا يعني الناس بمثل ما امنتم به... إلخ.) وسئل (ع): هل كان ولد يعقوب أنبياء؟ قال: لا، ولكنهم كانوا أسباطاً أولاد الأنبياء، ولم يكونوا يفارقوا الدنيا إلا سعداء تابوا وتذكروا ما صنعوا ﴿ فَإنْ آمَنُوا ﴾ أي: سائر الناس ﴿ بِمِثْلِ ما آمَنْتُمْ بِهِ فَقَدِ اهْتَدَوْا ﴾ مثل مقحم، كما في: (شهد شاهد من بني إسرائيل على مثله)[1] أي: عليه، وقيل: تبكيت لهم،[2] إذ لا مثل لما آمن المسلمون ولا دين كالاسلام، أو (الباء) للإستعانة لا صلة، أي: إن دخلوا في الإيمان بشهادة مثل شهادتكم التي آمنتم بها ﴿ وإنْ تَوَلَّوْا ﴾ أعرضوا عن الإيمان ﴿ فَإنَّما هُمْ في شِقاقٍ ﴾ أي: مخالفة للحق، فهم في شق غير شقه، وعن الصادق (ع): أي: في كفر

---

(١) سورة الأحقاف الآية ١٠.

(٢) إقامة الحجة عليهم وإسكاتهم.

﴿ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ﴾ تسلية وتسكين للمؤمنين، ووعد لهم بالحفظ والنصر ﴿ وهُوالسَّمِيعُ﴾ لأقوالكم ودعائكم ﴿ الْعَلِيمُ﴾ بنياتكم وإخلاصكم ﴿ صِبْغَةَ اللَّهِ﴾ مصدر مؤكد لـ(آمنّا) أي: صبغنا الله صبغة وهي الفطرة التي فطر الناس عليها، أوهدانا دينه، أوطهرنا بالإيمان تطهيره، سمّاه (صبغة) للمشاكلة، فان النصارى كانوا يغمسون أولادهم في ماء اصفر يسمّونه (المعموديّة) يجعلون ذلك تطهيراً لهم ومحققاً لنصرانيتهم، وفسر الصادق (ع) الصبغة بالإسلام، وعنه (ع) هي صبغ المؤمنين بالولاية في الميثاق ﴿ ومَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً ﴾ لا صبغة أحسن من صبغته ﴿ ونَحْنُ لَهُ عابِدُونَ ﴾ عطف على(آمنا) وتعريض بهم أي: لا نشرك به كشرككم ﴿ قُلْ أَ تُحَاجُّونَنا﴾ تجادلوننا ﴿ فِي اللَّهِ ﴾ في شأنه وأصطفائه النبي من العرب دونكم، قيل: اهل الكتاب قالوا: الأنبياء كلهم منّا، وديننا أقدم، وكتابنا أسبق فلوكنت نبياً لكنت منّا، فنزلت﴿ وهُورَبُّنا ورَبُّكُمْ﴾ لا اختصاص له بقوم دون قوم، (يصيب برحمته من يشاء)[1] ﴿ ولَنا أَعْمالُنا ولَكُمْ أَعْمالُكُمْ ﴾ والعبرة بالعمل، فلا يبعد ان يكرمنا بأعمالنا ﴿ ونَحْنُ لَهُ مُخْلِصُونَ﴾ موحدون دونكم ﴿ أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْراهِيمَ وإِسْماعِيلَ وإِسْحاقَ ويَعْقُوبَ والأَسْباطَ كانُوا هُوداً أَو نَصارى﴾ (أم) منقطعة، و(الهمزة) للإنكار، وقرأ ابن عامر والكسائي بالتاء، فجاز كونها عديلة همزة (أتحاجّوننا) أي: أيّ الأمرين تأتون المحاجة، أم ادّعاء اليهودية والنصرانية على الأنبياء؟ ﴿ قُلْ أَ أَنْتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللَّهُ﴾ وقد قال: (ما كان ابراهيم يهودياً ولا نصرانياً)[2] وقال: (وما أنزلت التوراة والإنجيل إلا من بعده)[3]،

---

(١) إشارة إلى قوله تعالى في سورة يوسف الآية ٥٦ (نصيب برحمتنا من نشاء ولا نضيع أجر المحسنين) .

(٢) سوري آل عمران الآية ٦٧.

(٣) سورة آل عمران الآية ٦٥.

والمعطوفون عليه أتباعه ﴿ ومَنْ أظْلَمُ مِمَّنْ كَتَمَ شَهادَةً عِنْدَهُ مِنَ اللهِ﴾ أي: لا أحد اظلم من اهل الكتاب، إذ كتموا شهادة الله لإبراهيم بالحنيفية والبراءة من اليهودية والنصرانية، أومنّا لو كتمنا هذه الشهادة، وفيه تعريض لكتمانهم شهادة الله لمحمد(ص) بالنبوة ولعلي (ع) بالوصاية في كتبهم، و(من) إبتدائية ﴿ وما اللهُ بغافلٍ عَمّاتَعْمَلُونَ﴾ وعيد لهم ﴿تِلكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَها ما كَسَبَتْ ولَكُمْ ما كَسَبْتُمْ ولا تُسْئَلُونَ عَمّا كانُوا يَعْمَلُونَ﴾ كرر تأكيداً للزجر عن الإتكال على فضل الآباء والفخر بهم، أو الخطاب فيما سبق لهم وهنا لنا، أو المراد بالأمة سابقاً الأنبياء وهنا أسلاف أهل الكتاب.

[سورة البقرة الآيات ١٤٢-١٤٥]

سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ مَا وَلَّىٰهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ ٱلَّتِى كَانُوا۟ عَلَيْهَا ۚ قُل لِّلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ ۚ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٤٢﴾ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ۗ وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِى كُنتَ عَلَيْهَآ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ ۚ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤٣﴾ قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِى ٱلسَّمَآءِ ۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا ۚ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۚ وَحَيْثُ

مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ ۗ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَـٰفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٤٤﴾ وَلَئِنْ أَتَيْتَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ بِكُلِّ ءَايَةٍ مَّا تَبِعُوا۟ قِبْلَتَكَ ۚ وَمَآ أَنتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ ۚ وَمَا بَعْضُهُم بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ ۚ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ إِنَّكَ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿١٤٥﴾

﴿ سَيَقُولُ السُّفَهاءُ مِنَ النَّاسِ﴾ الخفاف الأحلام، المنكرون تغيير القبلة، وقدّم الاخبار به توطيناً للنفس وإعداداً للرد ﴿ ما ولاهُمْ﴾ صرفهم ﴿ عَنْ قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كانُوا عَلَيْها﴾ أي: بيت المقدس ﴿ قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ والْمَغْرِبُ﴾ أي: الأرض كلها لا يختص به مكان دون مكان ﴿ يَهْدِي مَنْ يَشاءُ إِلى صِراطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ ما توجبه الحكمة والمصلحة من التوجيه تارة إلى بيت المقدس وأخرى إلى الكعبة ﴿ وكَذلِكَ ﴾ أي كما ﴿ جَعَلْناكُمْ﴾ مهتدين، جعلناكم ﴿ أُمَّةً وَسَطاً ﴾ عدولاً، أوخياراً ﴿ لِتَكُونُوا شُهَداءَ عَلَى النَّاسِ ﴾ بأعمالهم المخالفة للحق في الدنيا والآخرة، أوحجة عليهم تبينون لهم الحق، أويشهدون للأنبياء على أممهم المنكرين لتبليغهم ﴿ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً ﴾ بما عملتم، ،وحجة يبين لكم، أويشهد بعدالتكم، وعديت شهادته بـ(على) لأنه كالرقيب عليهم وعنهم (ع): (إياناً عنى خاصة)، وعن الباقر (ع): (نحن الأمة الوسط، ونحن شهداء اللّه على خلقه)، وروي: (ليشهد محمد (ص) علينا ولنشهد على شيعتنا وليشهد شيعتنا على الناس)، وعن علي (ع): (فرسول اللّه (ص)

شاهد علينا ونحن شهداء الله على خلقه)، وفي آخر: هي(ائمة) ولا يكون شهداء على الناس إلا الرسل والائمة فأما الامة فغيرجائز إذ فيهم من لا تجوز شهادته في الدنيا على حزمة بقل﴿ وما جَعَلْنا الْقِبْلَةَ الَّتي﴾ ثاني مفعولي (جعلنا) أي: الجهة التي ﴿كُنْتَ عَلَيْها﴾ أي: بيت المقدس، يعني: أن أصل أمرك أن تستقبل الكعبة وما جعلنا قبلتك بيت المقدس﴿ إِلاَّ لِنَعْلَمَ ﴾ نمتحن الناس، فيتبين ويتميز ﴿ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ﴾ في الصلاة إليه ﴿ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلى عَقِبَيْهِ ﴾ يرتد عن دينه إلفاً لقبلة آبائه، وعنه (ع): (يعني: إلا لنعلم ذلك منه وجوداً بعد أن علمناه سيوجد)، وقيل: أوليعلم أولياؤه الرسول والمؤمنون وقيل: المراد الكعبة لأنه (ص) كان يصلي بمكة إليها، ثم أمر بالصلاة إلى بيت المقدس، ثم ردّ إليها بعد الهجرة، والمعنى: ما رددناك إلى ما كنت عليه إلا لنعلم الثابت على دينك ممّن يرتد ﴿ وإِنْ كانَتْ﴾ التحويلة أي: القبلة و(إن) مخففة الثقيلة ﴿لَكَبِيرَةً﴾ ثقيلة، واللام فارقة ﴿ إِلاَّ عَلَى الَّذينَ هَدَى اللَّهُ﴾ بلطفه إلى وجه الحكمة، أوعرفوا ان التعبد على خلاف الهوى ﴿ وما كانَ اللَّهُ لِيُضيعَ إيمانَكُمْ﴾ أي: صلواتكم إليها، نزلت حين قال المسلمون: كيف حال من صلّى إلى بيت المقدس؟، أوثباتكم على الإيمان، أوايمانكم بالقبلة المنسوخة ﴿ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَؤُفٌ رَحيمٌ﴾ لا يضيع أجورهم، ولا يترك مصالحهم، ومد ابن كثير ونافع وابن عامر وحفص (رؤوف)، وقصره الباقون ﴿قَدْ نَرى تَقَلُّبَ﴾ تردد ﴿ وَجْهِكَ فِي السَّماءِ﴾ تطلعاً للوحي، قيل كان (ص) يترقب ان يحّوله ربّه إلى الكعبة لأنها قبلة أبيه ابراهيم، وأدعى للعرب إلى إتّباعه، ولمخالفة اليهود ﴿ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضاها ﴾ تحبها وتتشوق إليها لمقاصد صحيحه وافقت حكمة الله﴿ فَوَلِّ وَجْهَكَ﴾ أصرفه ﴿ شَطْرَ الْمَسْجِدِ ﴾ نحوه﴿ الْحَرامِ ﴾ المحّرم فيه القتال، والممنوع من تعرض الظلمة فيه، والتعبير

بـ(الشطر) و(المسجد) دون (البيت) يفيد: أن البعيد تكفيه مراعاة الجهة لا البيت كما هوللقريب، روي: أنه صلّى إلى بيت المقدس ثلاثة عشر شهراً ،ستة بمكة، وسبعة بالمدينة، فقالت اليهود: يتبع قبلتنا، فاغتم وانتظر الوحي، فأتاه جبرئيل وقد صلّى الظهر ركعتين في مسجد بني سلمة، فأخذ بعضديه وحوّله إلى الكعبة، وانزل عليه الآية، وتحول الرجال مكان النساء وبالعكس، فأتم الصلاة فسمي مسجد القبلتين ﴿وحَيْثُ ما كُنْتُمْ﴾ وأي: مكان كنتم أيها الناس ﴿فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ﴾ خص الرسول (ص) بالخطاب تعظيماً له، وإيجاباً لرغبته، ثم عمم تصريحاً بعموم الحكم، وتأكيداً لأمر القبلة، وتحريضاً للأمة على المتابعة ﴿وإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ﴾ أن التحويل إلى الكعبة ﴿الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ﴾ لما في كتبهم أنه (ص) يصلي إلى القبلتين ﴿ومَا اللَّهُ بِغافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ﴾ وعد، ووعيد للفريقين، وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائي بالتاء ﴿ولَئِنْ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتابَ بِكُلِّ آيَةٍ﴾ حجة على حقيقة قبلتك، و(اللام) موطئة للقسم وجوابه ﴿ما تَبِعُوا قِبْلَتَكَ﴾ لان المعاند لا تنفعه الدلالة، وسدّ مسد جواب الشرط، أي: لم يتركوا إتّباعك لشبهة تدفعها بالحجة، وإنماتركوه عناداً ﴿وما أَنْتَ بِتابِعٍ قِبْلَتَهُمْ﴾ قطع لأطماعهم إذ قالوا: لوثبت على ديننا رجونا أن يكون صاحبنا الذي ننتظره طمعاً في رجوعه ﴿وما بَعْضُهُمْ بِتابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ﴾ فإن اليهود تستقبل الصخرة، والنصارى المشرق، لا يرجى وفاقهم ﴿ولَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْواءَهُمْ﴾ فرضاً، أومن باب (إياك اعني) ﴿مِنْ بَعْدِ ما جاءَكَ﴾ بالوحي ﴿مِنَ الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذاً لَمِنَ الظَّالِمِينَ﴾ أكّد الوعيد له، وبالغ فيه تعظيماً للحق، وتحريضاً على اقتفائه، وتحذيراً عن متابعة الهوى، واستعظاماً لصدور الذنب عن الأنبياء.

[سورة البقرة الآيات ١٤٦ -١٥٣]

ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يَعۡرِفُونَهُۥ كَمَا يَعۡرِفُونَ أَبۡنَآءَهُمۡۖ وَإِنَّ فَرِيقٗا مِّنۡهُمۡ لَيَكۡتُمُونَ ٱلۡحَقَّ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ﴿١٤٦﴾ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكَۖ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡمُمۡتَرِينَ ﴿١٤٧﴾ وَلِكُلّٖ وِجۡهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَاۖ فَٱسۡتَبِقُواْ ٱلۡخَيۡرَٰتِۚ أَيۡنَ مَا تَكُونُواْ يَأۡتِ بِكُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًاۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴿١٤٨﴾ وَمِنۡ حَيۡثُ خَرَجۡتَ فَوَلِّ وَجۡهَكَ شَطۡرَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِۖ وَإِنَّهُۥ لَلۡحَقُّ مِن رَّبِّكَۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ ﴿١٤٩﴾ وَمِنۡ حَيۡثُ خَرَجۡتَ فَوَلِّ وَجۡهَكَ شَطۡرَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِۚ وَحَيۡثُ مَا كُنتُمۡ فَوَلُّواْ وُجُوهَكُمۡ شَطۡرَهُۥ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيۡكُمۡ حُجَّةٌ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡ فَلَا تَخۡشَوۡهُمۡ وَٱخۡشَوۡنِي وَلِأُتِمَّ نِعۡمَتِي عَلَيۡكُمۡ وَلَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ ﴿١٥٠﴾ كَمَآ أَرۡسَلۡنَا فِيكُمۡ رَسُولٗا مِّنكُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِنَا وَيُزَكِّيكُمۡ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمۡ تَكُونُواْ تَعۡلَمُونَ ﴿١٥١﴾ فَٱذۡكُرُونِيٓ أَذۡكُرۡكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لِي وَلَا تَكۡفُرُونِ

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَعِينُواْ بِٱلصَّبۡرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٣﴾

﴿ الَّذِينَ آتَيْناهُمُ الْكِتابَ﴾ أي: علمائهم ﴿ يَعْرِفُونَهُ﴾ أي: محمداً (ص) بأوصافه في التوراة والإنجيل ﴿كَما يَعْرِفُونَ أَبْناءَهُمْ﴾ لا يشتبهون بغيرهم، أوالضمير للعلم، أوالقرآن، أوتحويل القبلة ﴿ وَإِنَّ فَرِيقاً مِنْهُمْ﴾ وهم المعاندون ﴿ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وهُمْ يَعْلَمُونَ الْحَقُّ﴾ مبتدأ خبره (من ربك)، و(اللاّم) للعهد إشارة إلى ما عليه الرسول (ص)، أوالحق الذي يكتمونه، أوللجنس أي: الحق ما كان﴿ مِنْ رَبِّكَ﴾ كالذي أنت عليه، لا ما ليس منه كالذي عليه أهل الكتاب، أوالحق خبر لمحذوف أي: هوالحق، والظرف حال، أوخبر ثان ﴿ فَلا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ﴾ الشاكين في أنه من ربك، ،وفي كتمانهم والمراد تحقق الأمر بحيث لا يشك فيه، أوأمر الامة بالنظر المزيل للشك لا نهيه(ص) لاستحالته منه﴿ وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ﴾ ولكل قوم قبلة، أولكل قوم من المسلمين جهة من الكعبة، والتنوين للعوض ﴿ هومُوَلِّيها﴾ وجهه، أوالله تعالى موليها إياه، وقرأ ابن عامر (مولاها) أي: مولى تلك الجهة ﴿ فاسْتَبِقُوا الْخَيْراتِ ﴾ استبقوا غيركم من أهل القبلة وغيرها، وعن الباقر(ع): الخيرات الولاية ﴿ أَيْنَما تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمُ اللَّهُ﴾ الى المحشر ﴿ جَمِيعاً﴾ من موافق ومخالف، مجتمع الأجزاء ومتفرقها، وعنهم (ع) المراد بهم: أصحاب المهدي (ع) ﴿ انَّ اللَّهَ عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ ومنه جمعكم﴿ وَمِنْ حَيْثُ﴾ من أي بلد ﴿خَرَجْتَ﴾ للسفر ﴿ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرامِ ﴾ في الصلاة ﴿ وَإِنَّهُ ﴾ أي: التوجه للكعبة ﴿ لَلْحَقُّ ﴾ الثابت﴿ مِنْ رَبِّكَ وَما اللَّهُ بِغافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ وقرأ ابوعمروبالياء

﴿ومِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرامِ وحَيْثُ ما كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ﴾ قيل: كرر الحكم لتعدد علله، من تعظيم الرسول بابتغاء مرضاته، وجري العادة الإلهية أن يولي أهل كل ملة وصاحب دعوة وجهة يتميز بها، ودفع حجج المخالفين، وقرن بكل علة معلولها كما يقرن المدلول بكل واحد من دلائله تقريباً وتقريراً، مع أن القبلة لها شأن، والنسخ من مظان الفتنة والشبهة، فبالحري أن يؤكد أمرها ﴿لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ﴾ علة لقوله (فولوا) أي: توليتكم عن الصخرة إلى الكعبة ترد احتجاج اليهود بأن المنعوت في التوراة قبلته الكعبة، والمشركين بانه يخالف قبلة إبراهيم ويدعي ملته ﴿إِلاَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ﴾ إستثناء من الناس لئلا يكون حجة لأحد من الناس الا المعاندين من اليهود القائلين: ما تحوّل إلى الكعبة إلا ميلاً إلى دين قومه وحبّاً لبلده، وسمي (حجة) لسوقهم إياه مساقها، أومن العرب القائلين: رجع إلى قبلة آبائه ويوشك ان يرجع إلى دينهم، أوالاستثناء للمبالغة في نفي الحجة إذ لا حجة للظالم، والقمّي[1] : (الا) هنا بمعنى لا وليست استثناء يعني: ولا الذين ظلموا منهم ﴿فَلا تَخْشَوْهُمْ﴾ بالخوف من مطاعنهم فإنها لا تضركم ﴿واخْشَوْنِي﴾ فلا تخالفوا أمري ﴿وَلأُتِمَّ نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ﴾ بالموت على الإسلام، ودخول الجنة عطف على (لئلا) أوعلّة محذوف أي: وأمرتكم لإتمامي النعمة عليكم ﴿ولَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ أي: وإرادتي إهتداؤكم ﴿كَما أَرْسَلْنا فِيكُمْ رَسُولاً مِنْكُمْ﴾ متصل بسابقه أي: ولأتم نعمتي عليكم بالقبلة، أوالثواب كما أتممتها بإرسال رسول منكم، أوبلاحقه أي: كما ذكرتكم بإرساله فاذكروني ﴿يَتْلُوا عَلَيْكُمْ آياتِنا

---

(١) أي: في تفسير القمي.

﴿ ويُزَكِّيكُمْ ﴾ يحملكم على ما تصيرون به أزكياء، وقدمه على التعليم باعتبار القصد، وأخّره في دعوة إبراهيم بإعتبار الفعل ﴿ ويُعَلِّمُكُمُ الْكِتابَ والْحِكْمَةَ ويُعَلِّمُكُمْ ما لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ ﴾ بالفكر والنظر، ولا طريق له إلا الوحي، وتكرير الفعل للدلالة على أنه جنس آخر ﴿ فَاذْكُرُونِي ﴾ بالطاعة، وفتح ابن كثير الياء ﴿ أَذْكُرْكُمْ ﴾ برحمتي ﴿ واشْكُرُوا لِي ﴾ نعمتي ﴿ ولا تَكْفُرُونِ ﴾ بجحدها ﴿ يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا ﴾ على الجهاد، أوالطاعات ﴿ بِالصَّبْرِ ﴾ عن الشهوات والصوم ﴿ والصَّلاةِ ﴾ التي هي أم العبادات، وأم العبادات الداعية إلى الجنات، والناهية عن الفحشاء والمنكر والسيئات ﴿ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾ بالنصر والتوفيق.

[سورة البقرة الآيات ١٥٤ -١٦٣]

وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَن يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتٌۢ ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ وَلَٰكِن لَّا تَشْعُرُونَ ﴿١٥٤﴾ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَىْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓا۟ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾ ۞ إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ ۖ فَمَنْ حَجَّ ٱلْبَيْتَ أَوِ ٱعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا ۚ وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ ٱللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ

﴿١٥٨﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَٰبِ أُو۟لَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ﴿١٥٩﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ وَأَصْلَحُوا۟ وَبَيَّنُوا۟ فَأُو۟لَٰٓئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦٠﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ كُفَّارٌ أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ ٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١٦١﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۖ لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿١٦٢﴾ وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦٣﴾

﴿ ولا تَقُولُوا لِمَنْ يُقتَلُ في سَبيلِ اللَّهِ﴾ هم﴿ أمْواتٌ بَلْ﴾ هم ﴿ أحْياءٌ﴾ لما نالهم من جميل الذكر، أو تتنعم أرواحهم في أبدان مثالية ﴿ ولكِنْ لا تَشْعُرُونَ﴾ كيف حياتهم، أو ما حالهم، سُئِلَ الصادق (ع) عن أرواح المؤمنين فقال: في الجنة على صور أبدانهم لورأيته لقلت: فلان، ونحوه أخبار كثيرة، وعلى هذا فتخصيص الشهداء لمزيد قربهم من اللّه، قيل: نزلت في شهداء بدر، وكانوا اربعة عشر﴿ ولَنَبْلُوَنَّكُمْ﴾ نصيبنكم إصابة المختبر لكم تصبرون على البلاء أم لا ؟﴿ بِشَيْءٍ﴾ قليل ﴿ مِنَ الْخَوْفِ والْجُوعِ ﴾ قلل بالنسبة إلى ما فوقه يخف عليهم، ويريهم ان رحمته لا تزايلهم، وأخبروا به قبل كونه ليوطنوا عليه نفوسهم ﴿ ونَقْصٍ مِنَ الأمْوالِ والأنْفُسِ والثَّمَراتِ﴾ عطف على (شيء) أو الخوف وقيل: الخوف: خوف اللّه، والجوع،

الصوم، والنقص من المال الزكوات، ومن الأنفس: الأمراض ومن الثمرات: موت الأولاد لأنها ثمرة القلب، وفي النهج[١]: إن الله يبتلي عباده عند الأعمال السيئة بنقص الثمرات، وحبس البركات وإغلاق خزائن الخيرات، ليتوب تائب، ويقلع مقلع، ويتذكر متذكر، ويزدجر مزدجر، وعن الصادق (ع): إن هذه علامات قدّام القائم، تكون من الله للمؤمنين من الخوف من ملوك بني أمية في آخر سلطانهم، والجوع بغلاء أسعارهم، ونقص من الأموال فساد التجارات وقلة الفضل، ونقص من الأنفس الموت الذريع، ونقص من الثمرات بقلة ريع[٢] ما يزرع ﴿ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴾ عند ذلك بتعجيل خروج القائم، ثم قال هذا تأويله (وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم)[٣] ﴿ الَّذِينَ إِذا أَصابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ ﴾ روي: (كل شيء يؤذي المؤمن فهوله مصيبة) ﴿ قالُوا إِنَّا لِلَّهِ وإِنَّا إِلَيْهِ راجِعُونَ ﴾ في النهج قولنا: (انا لله) إقرار على أنفسنا بالملك وانا إليه راجعون اقرار على أنفسنا بالهلاك ﴿ أُولئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَواتٌ ﴾ تزكية وغفران ولطف ﴿ مِنْ رَبِّهِمْ ﴾ وجمعت إيذاناً بكثرة أنواعها، وتفيد ان الصلاة ليست من خصائص النبي (ص)، وجواز أن يصلى على غيره منفرداً فآله بطريق أولى ﴿ ورَحْمَةٌ ﴾ وإحسان وعنه (ص): من إسترجع عند المصيبة جبر الله مصيبته، وأحسن عقباه، وجعل له خلفاً صالحاً يرضاه ﴿ وأُولئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴾ للحق في الإسترجاع

---

(١) أي: (نهج البلاغة) الحاوي لخطب الامام علي(ع).

(٢)الريع هو ناتج الأرض المزروعة ومحصولها.

(٣) سورة آل عمران الآية ٧.

والتسليم ﴿ إِنَّ الصَّفا والْمَرْوَةَ﴾ جبلان بمكة ﴿ مِنْ شَعائِرِ اللَّهِ ﴾ من أعلام مناسكه، جمع (شعيرة) أي: علامة ﴿ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَواعْتَمَرَ﴾ الحج ـ لغة ـ: القصد، والاعتمار: الزيارة: وشرعاً: قصده وزيارته على وجه مخصوص، فمن حج البيت، أواعتمر الحج ﴿ فَلا جُناحَ﴾ أي: لا حرج ﴿ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ﴾ بِهِما أي: يسعى بينهما، وأصله (يتطوف) فأدغم، روي: أنها نزلت حين تحرّج المسلمون عن الطواف بهما وعليهما الأصنام، وعن الصادق (ع): إن المسلمين كانوا يظنون إن السعي بين الصفا والمروة شيء صنعه المشركون، فأنزل اللّه هذه الآية، وعنه (ع): جعل السعي بين الصفا والمروة مذلّة للجبارين، والسعي واجب في الحج والعمرة بالسنة والإجماع ﴿ ومَنْ تَطَوَّعَ خَيْرا﴾ أي: فعل طاعة ـ فرضاً كانت أونفلاً ـ من حج أوعمرة أوغيرهما، وقرأ حمزة والكسائي (يطوع) وأصله (يتطوع) فأدغم ﴿ فَإِنَّ اللَّهَ شاكِرٌ﴾ مجاز على الطاعة ﴿ عَلِيمٌ ﴾ لا تخفى عليه طاعة ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ ما أَنْزَلْنا مِنَ الْبَيِّناتِ﴾ الدلائل على أمر محمد (ص)، أو الأعم ﴿ والْهُدى﴾ ما يهدي إلى وجوب إتباعه، أوإلى الحق ﴿ مِنْ بَعْدِ ما بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتابِ ﴾ التوراة، أوالإنجيل، أوالأعم، و(اللام) للجنس ﴿ أُولئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ﴾ يبعدهم عن رحمته ﴿ ويَلْعَنُهُمُ اللاَّعِنُونَ﴾ كل من يتأتى منه اللعن من الملائكة والثقلين حتى أنفسهم، فإنهم يقولون: لعن اللّه الكفار، وعن الصادق (ع) في قوله (اللاعنون) قال: نحن هم، وقد قالوا: هوام الأرض ﴿ إِلاَّ الَّذِينَ تابُوا ﴾ عن الكتمان، وسائر المعاصي ﴿ وأَصْلَحُوا﴾ ما أفسدوا، أونياتهم ﴿ وبَيَّنُوا﴾ ماكتموا ﴿ فَأُولئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ﴾ بالقبول والمغفرة ﴿ وأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴾ البالغ في قبول التوبة وافاضة الرحمة ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ من الكاتمين وغيرهم ﴿ وماتُوا وهُمْ كُفَّارٌ﴾ أي: لم يتوبوا ﴿ أُولئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ

والْمَلائِكَةِ والنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ قيل: الأول لعنهم أحياء، وهذا لعنهم أمواتاً ﴿ خالدِينَ فِيها ﴾ في اللعنة، أوالنار وإضمارها قبل الذكر تفخيماً لشأنها، وتهويلاً، أواكتفاءً بدلالة اللعن عليها﴿ لا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذابُ ولا هُمْ يُنْظَرُونَ﴾ نظر رحمة، أو لا يمهلون ليعتذروا﴿ وإِلهُكُمْ ﴾ المستحق منكم للعبادة ﴿ إِلهٌ واحِدٌ﴾ لا شريك له في الإلهية ﴿ لا إِلهَ إِلاَّ هُوَ﴾ تقرير للوحدانية لأن[1] يتوهم أن في الوجود إلهاً، ولكنه لا يستحق العبادة منهم ﴿ الرَّحْمنُ الرَّحِيمُ﴾ كالحجة أو هوالمولي لجميع النعم، أصولها وفروعها، وما سواه اما نِعَم أو مُنعَم عليه، فلا مستحق للعبادة غيره، قيل: لما سمعه المشركون قالوا: إن كنت صادقاً فآت بآية تصدقك، فنزلت.

[سورة البقرة الآيات ١٦٤ -١٦٩]

إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِي تَجْرِي فِي ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٦٤﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ۗ وَلَوْ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ إِذْ

(١) وردت هكذا في بعض النسخ والظاهر أن الصحيح (لئلا).

يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ أَنَّ ٱلْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعَذَابِ ﴿١٦٥﴾ إِذْ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُواْ مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُواْ وَرَأَوُاْ ٱلْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ ٱلْأَسْبَابُ ﴿١٦٦﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُواْ لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُواْ مِنَّا ۗ كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ حَسَرَٰتٍ عَلَيْهِمْ ۖ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ ﴿١٦٧﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُواْ مِمَّا فِى ٱلْأَرْضِ حَلَٰلًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿١٦٨﴾ إِنَّمَا يَأْمُرُكُم بِٱلسُّوٓءِ وَٱلْفَحْشَآءِ وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٦٩﴾

﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّماواتِ وَالأَرْضِ﴾ بلا عمد من تحتها تمنعها من السقوط، ولا علاقة من فوقها تحبسها من الوقوع، وما في السماء من الشمس المنيرة في نهاركم لتنتشروا في معائشكم، ومن القمر المضيء في ليلكم لتبصروا في ظلماتها ﴿واخْتِلافِ اللَّيْلِ والنَّهارِ﴾ تعاقبهما، كل يخلف الآخر، الكادين[1] عليكم بالعجائب التي يحدثها ربكم في عالمه، من إسعاد وإشقاء، وإعزاز وإذلال، وإغناء وإفقار، وصيف وشتاء، وربيع[2] وخصب وقحط، وخوف وأمن، أواختلافهما بالزيادة والنقصان ﴿والْفُلْكِ﴾ السفن ﴿الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِما يَنْفَعُ النَّاسَ﴾ بنفعهم،

---

(١) الكاد: هوالمشتد في عمله.

(٢) كان الأولى به(قده)إضافة الخريف إكمالاً لنسق الكلام.

أوبالذي ينفعهم من المنافع التي جعلها الله مطاياكم، لا تهدأ ليلاً ولا نهاراً، أولا تقتضيكم علفاً ولا ماءً، وكفاكم بالرياح مؤنة تسييرها بقواكم التي كانت لا تقوم بها لوركدت عنها الرياح، لتمام مصالحكم ومنافعكم وبلوغكم الحوائج إلى أنفسكم، والقصد به إلى الاستدلال بالبحر وأحواله، وتخصيص الفلك بالذكر لأنه سبب الخوض فيه والإطلاع على عجائبه، ولذا قدّم على ذكر المطر والسحاب لأن منشئهما البحر في غالب الأمر، وتأنيث الفلك لأنه بمعنى السفينة، وقرأ بضمتين على الأصل، أوالجمع وضمة الجمع غير ضمة الواحد﴿ وما أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّماءِ﴾ أوما فوقه، و(من) للإبتداء ﴿ مِنْ ماء﴾ بيان لـ(ما)، وابلاً وهطلاً ورذاذاً[١] لا ينزل عليكم دفعة واحدة فيغرقكم ويهلك معائشكم، لكنه ينزل متفرقاً من علاً حتى يعم الأوهاد[٢] والتلال[٣] ﴿ فَأَحْيا بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِها ﴾ بالنبات ﴿ وبَثَّ ﴾ فرّق ﴿ فِيها مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ﴾ منها ما هي لأكلكم ومعائشكم، ومنها سباع ضارية حافظة عليكم أنعامكم، عطف على (أنزل) أي: وما بث، أوعلى (فأحيى) أي: وبث بالمطر من الدواب، لأنهم ينمون بالخصب، و(من) للبيان، أوالتبعيض﴿ وتَصْرِيفِ الرِّياحِ﴾ تقلبها في مهابها، وأحوالها المربية لحبوبكم، المبلغة لثماركم، النافية لركود الهواء والإقتار[٤] عنكم وأفردها حمزة والكسائي ﴿ والسَّحابِ الْمُسَخَّرِ﴾ للرياح تقلّبه ﴿ بَيْنَ السَّماءِ والأَرْضِ ﴾

---

(١) المطر الوابل: هوالمطر الشديد الضخم القطر، والمطر الهاطل: هوالمطر المتتابع بتفرق مع كونه عظيم القطر أيضاً، وأما المطر الرذاذ: فهوالمطر الضعيف، أوالساكن الدائم الصغير القطر كأنه الغبار.

(٢) جمع (وَهد)وهي الأرض المنخفضة.

(٣) جمع (تل)وهي الأرض المرتفعة بعكس الوهد.

(٤) الاقتار: ضيق العيش.

يحمل أمطارها ويجري بإذن الله، وتصبها حيث تؤمر ﴿الآياتٍ﴾ دلائل على وجود الإله، ووحدته وعلمه وقدرته ولطفه وحكمته، وسعة رحمته من وجوه شتى ﴿لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ ينظرون فيها بعين عقولهم ﴿ومِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْداداً﴾ من الأصنام، أوالرؤساء الذين يتبعونهم، عن الباقر والصادق (ع): هم والله أولياء فلان وفلان﴿ يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ ﴾ أي: يعظمونهم كتعظيمه، ويسوون بينه وبينهم في محبتهم ﴿ والَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ ﴾ من هؤلاء المتخذين الأنداد مع الله لأندادهم، لأن المؤمنين يرون الربوبية والقدرة لله لا يشركون به شيئاً، فمحبتهم خالصة له، وعن الباقر والصادق (ع): هم آل محمد (ص) أي: الذين آمنوا ﴿ولَويَرَى ﴾ يعلم ﴿ الَّذِينَ ظَلَمُوا ﴾ بالشرك ﴿ إِذْ يَرَوْنَ الْعَذابَ﴾ حين يبصرونه في القيامة ﴿ أَنَّ الْقُوَّةَ﴾ القدرة ﴿لِلَّهِ جَمِيعاً﴾ سادّ مسدّ مفعولي (يرى) وجواب (لو) محذوف أي: لندموا أيَّ ندم، وقرأ ابن عامر ونافع (ولوترى) على الخطاب للرسول، أي: لوترى ذلك لرأيت أمراً عظيماً، وابن عامر (إذ يرون) مبنياً للمفعول، ويعقوب (إنّ) بالكسر وكذا﴿ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذابِ ﴾ على الاستئناف ﴿ إِذْ تَبَرَّأَ﴾ بدل (من إذ يرون) ﴿ الَّذِينَ اتُّبِعُوا ﴾ الرؤساء ﴿ مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا ﴾ من الأتباع ﴿ ورَأَوُا الْعَذابَ﴾ بإضمار (قد) ﴿ وتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الأَسْبابُ﴾ الوصل التي كانت بينهم من مودّة أوقرابة أوإتّباع أوعهد، وهوعطف على (تبرأ) ففنيت حيلتهم لا يقدرون على النجاة من عذاب الله بشيء﴿ وقالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا﴾ الأتباع ﴿لَوأَنَّ لَنا كَرَّةً﴾ ليت لنا رجعة إلى الدنيا ﴿ فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ ﴾ هناك﴿ كَما تَبَرَّؤُا مِنَّا﴾ هنا ﴿ كَذلِكَ ﴾ كما تبرأ بعضهم من بعض

﴿ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمالَهُمْ حَسَراتٍ عَلَيْهِمْ﴾ ندامات مفعول ثالث لـ(يرى)، وعن الصادق (ع) هوالرجل يدع ماله، لا ينفعه[1] في طاعة الله بخلاً، ثم يموت فيدعه لمن يعمل فيه بطاعة الله، أومعصية الله، فإن عمل به في طاعة الله رآه في ميزان غيره فرآه حسرة وقد كان المال له، وإن كان عمل به في معصية الله، قوّاه بذلك المال حتى عمل به في معصية الله ﴿ وما هُمْ بِخارِجِينَ مِنَ النَّارِ﴾ عَدَلَ عن (وما يخرجون) مبالغة في الخلود، وإقناطاً من الكرّة[2] إذ لا تلحقهم شفاعة نبي ولا وصي ﴿ يا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الأَرْضِ﴾ من أنواع ثمارها وأطعمتها، قيل: نزلت في قوم حرّموا على أنفسهم من الحرث والأنعام ﴿ حَلالاً﴾ مباحاً مفعول (كلوا)، أوصفة مصدر محذوف، أو حال من (ما) ﴿ طَيِّباً﴾ مستلذاً، أوطاهراً من الشبهة ﴿ ولا تَتَّبِعُوا خُطُواتِ الشَّيْطانِ﴾ ما يخطوبه إليكم ويغريكم به من مخالفة الله، فتحرّموا حلالاً وتحللوا حراماً، وسكن الطاء نافع و أبوعمر وحمزة ﴿ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ ظاهر العداوة وعن الباقر والصادق (ع): من خطوات الشيطان الحلف بالطلاق، والنذور في المعاصي، وكل يمين بغير الله ﴿ إِنَّما يَأْمُرُكُمْ بِالسُّوءِ﴾ القبيح، أو ما لا حدّ فيه ﴿ والْفَحْشاءِ ﴾ ما تجاوز الحدّ في القبح، أو ما فيه حد ﴿ وأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ ما لا تَعْلَمُونَ﴾ كاتخاذ الأنداد، والأولاد وتحريم الحلال، وتحليل الحرام، والافتراء عليه، والقضاء والفتوى بلا علم، والآية بيان لعداوته، وتحريم إتّباعه وأمره.

---

(١) وردت هكذا في بعض النسخ والظاهر انها (لاينفقه) .

(٢) العودة والرجوع الى الدنيا.

[سورة البقرة الآيات ١٧٠ -١٧٦]

وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ بَلْ نَتَّبِعُ مَآ أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ۗ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴿١٧٠﴾ وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَآءً وَنِدَآءً ۚ صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٧١﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَـٰتِ مَا رَزَقْنَـٰكُمْ وَٱشْكُرُواْ لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿١٧٢﴾ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةَ وَٱلدَّمَ وَلَحْمَ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ بِهِۦ لِغَيْرِ ٱللَّهِ ۖ فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٧٣﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْكِتَـٰبِ وَيَشْتَرُونَ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۙ أُوْلَـٰٓئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ إِلَّا ٱلنَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٤﴾ أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُاْ ٱلضَّلَـٰلَةَ بِٱلْهُدَىٰ

وَٱلْعَذَابَ بِٱلْمَغْفِرَةِ ۚ فَمَآ أَصْبَرَهُمْ عَلَى ٱلنَّارِ ﴿١٧٥﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ نَزَّلَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ ۗ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِى ٱلْكِتَٰبِ لَفِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ ﴿١٧٦﴾

﴿ وإذا قيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا ما أنزلَ اللَّهُ ﴾ في كتابه، قيل: الضمير لـ(الناس)، وعدل عن الخطاب معهم للنداء على ضلالتهم، كأنه التفت إلى العقلاء وقال: انظروا إلى هؤلاء الحمقاء ماذا يقولون ﴿ قالُوا بَلْ نَتَّبِعُ ما أَلْفَيْنا﴾ وجدنا ﴿ عَلَيْهِ آباءَنا ﴾ من الدين والمذهب، نزلت في المشركين واليهود ﴿أ ولَو كانَ آباؤُهُمْ لا يَعْقِلُونَ شَيْئاً﴾ من الدين ﴿ ولا يَهْتَدُونَ﴾ للحق، دلّت على ذم التقليد، ووجوب إعمال البصيرة ـ ولوفي من يقلده ـ ﴿ ومَثَلُ الَّذينَ كَفَرُوا﴾ في عبادتهم الأصنام، وإتخاذهم الأنداد ﴿كَمَثَلِ الَّذي يَنْعِقُ ﴾ يصوّت ﴿ بِما لا يَسْمَعُ﴾ منه ﴿ إِلاَّ دُعاءً ونِداءً ﴾ ولا يفهم ما يراد منه، وعن الباقر (ع) مثلهم في دعائك إيّاهم إلى الإيمان، كمثل الناعق في دعائه المنعوق به من البهائم التي لا تفهم، وإنما تسمع الصوت، يعني: أن مثل داعيهم كمثل داعي البهائم التي لا تسمع إلاّ تصويته ولا تفهم معناه ﴿ صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ﴾ رفع على الذم خبر محذوف ﴿ فَهُمْ لا يَعْقِلُونَ﴾ أمر الله ﴿ يا أَيُّهَا الَّذينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّباتِ ما رَزَقْناكُمْ﴾ من مستلذاته، أو حلاله، والإضافة بيانية، إذ لا يكون الرزق إلاّ الحلال ـ كما مرّ في أول السورة ـ فيفيد المنع من أكل الحرام كالضار والنجس وكل خبيث ﴿ واشْكُرُوا لِلَّهِ﴾ على ما رزقكم وأحل لكم ﴿ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ إن صح أنكم تخصونه بالعبادة وتقرون أنه المنعم، فإن العبادة لا تتم إلاّ بالشكر وعن النبي (ص): (يقول الله: إني والإنس والجن في نبأ عظيم، أخلق، ويُعبَد

غيري، أرزِق ويُشكَر غيري ﴿إِنَّما حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ﴾ أكلها، أوالانتفاع بها، وهي:[١] ما مات بغير تذكية شرعية ﴿والدَّمَ﴾ مطلقاً، إلاّ ما خرج بدليل، كالمتخلف[٢] في اللحم ﴿ولَحْمَ الْخِنْزِيرِ﴾ إنما خص اللحم مع حرمة جميعه، لأنه معظم ما يؤكل، والباقي كالتابع له ﴿ وما أُهِلَّ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ﴾ أي: رفع به الصوت عند ذبحه للصنم، أوما لم يسمّ اللّه عليه ﴿فَمَنِ اضْطُرَّ ﴾ إلى أكل شيء من هذه المحرمات، وكَسَر النون عاصم وأبوعمرووحمزة، وضمّها الباقون ﴿غَيْرَ باغٍ﴾ اللذة[٣]، أوعلى الإمام[٤] ﴿ ولا عادٍ ﴾ حد الضرورة، أوبقطع الطريق ﴿فَلا إِثْمَ﴾ لا حرج ﴿عَلَيْهِ ﴾ في أكله ﴿ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ﴾ للمعاصي، فكيف مع الرخصة؟ ﴿ رَحِيمٌ﴾ بالتوسعة على عباده، والحصر إضافي بالنسبة إلى ما حرموه على أنفسهم، أوحين نزول الآية، فلا ينافيه تحريم الأمور الأُخر بعدها، عن الصادق (ع): الباغي الذي يخرج على الإمام، والعادي الذي يقطع الطريق لا تحل لهما الميتة، وفي رواية: الباغي: الظالم، والعادي: الغاصب، وعنه (ع): من اضطر إلى الميتة والدم ولحم الخنزير، فلم يأكل شيئاً من ذلك حتى يموت فهو كافر ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ ما أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتابِ﴾ التوراة وغيرها، من نعت محمد (ص) وغيره ﴿ وَيَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَناً ﴾ عوضاً ﴿ قَلِيلاً ﴾ من حطام الدنيا ﴿ أُولئِكَ ما يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ﴾ أي: ملؤها، يقال أكل في بطنه وفي

---

(١) أي: الميتةَ.

(٢) المتبقي.

(٣) اذا كان مصدره (الإبتغاء) وهوالإرادة والطلب.

(٤) ويكون مصدره حينئذٍ (البغي) وهو التعدي ومجاوزة الحد.

بعض بطنه ﴿ إلاّ النَّار﴾ في الحال، لأنه يؤديهم إليها فكأنهم أكلوها، أوالمآل أي: يأكلونها في جهنّم ﴿ ولا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيامَةِ﴾ بما يحبون، ولكن بنحو(اخسؤا فيها)، أو(ذق) وعبّر به عن غضبه ﴿ ولا يُزَكِّيهِمْ﴾ من ذنوبهم، أولا يثني عليهم ﴿ ولَهُمْ عَذابٌ أَلِيمٌ﴾ مؤلم موجع ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلالَةَ بالْهُدى ﴾ في الدنيا، أي: الكفر بالإيمان ﴿ والْعَذابَ بالْمَغْفِرَةِ ﴾ في الآخرة بكتمان الحق لأغراض كاسدة[1] ﴿ فَما أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ ﴾ تعجّب من التباسهم بموجبات النار بلا مبالاة، أي: ما أجرأهم على عمل يوجب عليهم عذاب النار، أوما أصبرهم على فعل ما يعلمون أنه يصيرهم إلى النار، أوما أجرأهم على النار، أوما أعملهم بأعمال أهل النار، والكل مروي ﴿ ذلِكَ﴾ العذاب ﴿ بأَنَّ اللَّهَ نَزَّلَ الْكِتابَ بالْحَقِّ﴾ فكتموه وكذّبوه، وإن ما يوعدون به يصيبهم ولا يتخطاهم ﴿ وإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِي الْكِتابِ﴾ القرآن فمن قائل: إنه سحر، وآخر: أنه سفر، وثالث: كهانة، ورابع: أساطير الأولين، أوكتب الله فآمنوا ببعض وكفروا ببعض ﴿لَفِي شِقاقٍ﴾ خلاف ﴿بَعِيدٍ﴾ عن الحق، كأن الحق في شق[2] وهم في آخر.

[سورة البقرة الآيات ١٧٧ - ١٨١]

لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ وَءَاتَى

---

(١) لا ينبغي أن يرتجيها أحد لقلة الرغبة فيها.

(٢) جانب.

ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُوا۟ ۖ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِصَاصُ فِى ٱلْقَتْلَى ۖ ٱلْحُرُّ بِٱلْحُرِّ وَٱلْعَبْدُ بِٱلْعَبْدِ وَٱلْأُنثَىٰ بِٱلْأُنثَىٰ ۚ فَمَنْ عُفِىَ لَهُۥ مِنْ أَخِيهِ شَىْءٌ فَٱتِّبَاعٌۢ بِٱلْمَعْرُوفِ وَأَدَآءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَٰنٍ ۗ ذَٰلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ ۗ فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَلَهُۥ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٨﴾ وَلَكُمْ فِى ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٧٩﴾ كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ إِن تَرَكَ خَيْرًا ٱلْوَصِيَّةُ لِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ بِٱلْمَعْرُوفِ ۖ حَقًّا عَلَى ٱلْمُتَّقِينَ ﴿١٨٠﴾ فَمَنۢ بَدَّلَهُۥ بَعْدَمَا سَمِعَهُۥ فَإِنَّمَآ إِثْمُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٨١﴾

﴿ لَيسَ الْبِرَّ ﴾ هو: الفعل المرضي﴿ أنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ والْمَغْرِبِ﴾ قيل: رد على الذين أكثروا الخوض في أمر القبلة من أهل الكتاب حين حولت مدعياً كل طائفة إن البرّ: هو التوجّه إلى قبلته، والمشرق قبلة النصارى، والمغرب قبلة اليهود، أي: ليس كل البرّ أمر القبلة، وعن الصادق (ع) ما يقرب منه، ونصب حمزة وحفص (البرّ) خبراً ﴿ ولكنَّ الْبِرَّ﴾ الذي يهتم به برّ ﴿ مَنْ آمَنَ﴾ أو لكن ذا البرّ من آمن﴿ بِاللَّهِ والْيَوْمِ الآخِرِ﴾ صَدَّقَ بالبدء والمعاد ﴿ والْمَلائكَةِ والْكتابِ﴾ أي: جنسه، أو القرآن، وخفف نافع وابن عامر (لكن) ورفعا (البر) ﴿ والنَّبيِّينَ وآتَى الْمالَ عَلى حُبِّه﴾ للمال وشدة حاجته إليه، أوحب اللّه، أوالإيتاء﴿ ذَوِي الْقُرْبى﴾ للمعطي، أو الرسول، وهو المروي﴿ والْيَتامى﴾ المحاويج منهم ﴿ والْمَساكينَ﴾ من لم يجدوا نفقة السنة ﴿ وابْنَ السَّبيلِ﴾ المسافر المنقطع به، سمي ابنه للملازمة، وقيل: الضيف ﴿ والسَّائلينَ﴾ من ألجأهم الفقر إلى السؤال﴿ وفِي الرِّقابِ﴾ في ابتياعها لعتقها، أوفكّها بمعاونة المكاتبين ﴿ وأقامَ الصَّلاةَ﴾ بحدودها ﴿ وآتَى الزَّكاةَ﴾ المفروضة فـ(آتى المال) يحتمل أن يراد به المندوبة، ويؤيده تفسير(ذوي القربى) بقرابة الرسول (ص)، أوالمفروضة ويكون لبيان المصرف وهذا للحث عليها﴿ والْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذا عاهَدُوا ﴾ عطف على (من آمن) ﴿ والصَّابِرِينَ﴾ نصب على المدح، ولم يعطف لفضل الصبر على سائر الأعمال ﴿ فِي الْبَأْساءِ﴾ الفقر﴿ والضَّرَّاءِ﴾ المرض، القمي قال: في الجوع والخوف والعطش والمرض ﴿ وحِينَ الْبَأْسِ﴾ عند القتل ووقت القتال ﴿ أُولئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا﴾ في الدين، وإتباع الحق وطلب البرّ ﴿ وأُولئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ من الكفر وسائر الرذائل ، القمي: نزلت في أمير المؤمنين، لأن هذه الشروط لا توجد إلاّ فيه وفي ذريته الطيبين﴿ يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ﴾ عن الصادق (ع)هي خطاب

للمسلمين ما هي للمؤمنين خاصة ﴿كُتِبَ﴾ فُرِضَ ﴿عَلَيْكُمُ الْقِصاصُ﴾ التعويض[١] ﴿فِي الْقَتْلى﴾ بأن يفعل بالقاتل عمداً ما فعل بالمقتول، روي: أنه كان بين حيّين من أحياء العرب دماء، وكان لأحدهما على الآخر طول، فأقسموا ليقتلن الحر بالعبد، والذكر بالأنثى، والرجلين بالرجل، فلمّا جاء الإسلام تحاكموا إلى رسول اللّه (ص)، فأمرهم أن يتكافئوا ﴿الْحُرُّ بِالْحُرِّ﴾ يقتص به ﴿والْعَبْدُ بِالْعَبْدِ والأُنثى بِالأُنْثى﴾ ثم إن اعتبر المفهوم[٢] من نفي قتل الحر بالعبد وبالعكس، والذكر بالأنثى وبالعكس، فهو مخصص بالسنة من منع قتل الحر بالعبد، ويعضده سبب النزول، وجواز قتل الذكر بالأنثى مع أداء نصف ديته، وكذا عكسه وقتل العبد بالحر، وقد يفهمان من الآية أيضاً، للأولوية أونسخ المفهوم بقوله(النفس بالنفس)، وأما على اعتبار المفهوم فلا إشكال ﴿فَمَنْ عُفِيَ﴾ ترك ﴿لَهُ مِنْ أَخيهِ﴾ من دم أخيه المقتول ﴿شَيْءٌ﴾ وضميراً له وأخيه لـ(من) وهوالقاتل، وقيل: أراد بالأخ ولي الدم سمي (أخاً) ليعطف عليه بالعفو، أوقبول الدية ﴿فَاتِّباعٌ﴾ فعلى العافي إتباع ﴿بِالْمَعْرُوفِ﴾ أي: لا يشدد في الطلب ﴿وَ﴾ على المعفوعنه ﴿أداءٌ إِلَيْهِ﴾ أيَ: إلى الولي ﴿بِإِحْسانٍ﴾ الدفع مع القدرة بلا مطل[٣]، وعن الصادق (ع): ينبغي للذي له الحق أن لا يعسر أخاه إذا كان قد صالحه على دية، وينبغي للذي عليه الحق أن لا يمطل أخاه إذا قدر على ما يعطيه

---

(١) المجازاة بالمثل.

(٢) وردت هكذا في النسخة الخطية والظاهر انه سهومن قلمه المبارك والصحيح (إن لم يعتبر المفهوم) بقرينة قوله بعد ذلك: (وأما على اعتبار المفهوم).

(٣) أي: بلا تأجيل موعد الوفاء مرة بعد الأخرى.

ويؤدي إليه بإحسان ﴿ ذلكَ﴾ إشارة إلى جميع ما تقدم ﴿ تَخْفِيفٌ مِنْ رَبِّكُمْ ورَحْمَةٌ﴾ إذ خيّركم بين القصاص والدية والعفو، روي: أن القصاص في شرع موسى، والدية حتماً كان في شرع عيسى، فجاءت الحنيفية السّمحة بتسويغ الأمرين ﴿ فَمَنِ اعْتَدى بَعْدَ ذلكَ﴾ بأن يقبل الدية، أويعفو، أويصالح، ثم يجيء بعد فيمثل، أويقتل، كما عن الصادق (ع)﴿ فَلَهُ عَذابٌ أَليمٌ ولَكُمْ فِي الْقِصاصِ حَياةٌ ﴾ قيل: هوإيجازٌ حوى الفصاحة والبلاغة بجعل القصاص ـ وهوضد الحياة ـ ظرفها، وتعريفه وتنكيرها[1] لإفادة ان في هذا الجنس من الحكم حياة عظيمة، إذ العلم بالإقتصاص يردع القاتل عن القتل فيكون سبب حياة نفسه، ولأنهم كانوا يقتلون غير القاتل والجماعة بالواحد فتثور الفتن بسببهم، فإذا اقتص من القاتل يسلم الباقون فيصير ذلك سبباً لحياتهم ﴿ يا أُولِي الأَلْبابِ﴾ ذوي العقول، نودوا للتفكر في حكمة القصاص من حفظ النفوس ﴿ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ القتل، خوفاً من القصاص ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ﴾ أي: ظهرت أسبابه واماراته﴿ إِنْ تَرَكَ خَيْراً﴾ أي: مالاً كثيراً، لما روي عن علي (ع): أنه دخل على مولى له في مرضه ـ وله سبعمائة درهم، أوستمائة ـ فقال: أ لا أوصي؟ قال: لا انما قال الله(ان ترك خيراً) وليس لك مال كثير، وقيل: مطلق المال، ويمكن الجمع بوجود الوارث المحتاج وعدمه﴿ الْوَصِيَّةُ﴾ مرفوع بـ(كُتِبَ)، وتذكيره بتأويل: أن توصوا، ولذا ذكر الراجع في بدله وللفصل ﴿ لِلْوالِدَيْنِ والأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ﴾ بالعدل، فلا تتجاوز الثلث ولا يفضل الغني ولا يضر بالوارث ﴿ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ﴾ مصدر مؤكد، أي: حق ذلك حقاً، سئل الباقر (ع) عن الوصية للوارث فقال: تجوز، ثم تلا هذه الآية، ونحوه غيره، وعن الصادق (ع):

---

(١) أي: تعريف (القصاص) بـ(ال) وتنكير (حياة)بلا (ال).

إنه شيء جعله الله لصاحب هذا الأمر، قيل: لذلك حد محدود؟ قال: نعم قيل: كم؟ قال: أدناه السدس وأكثره الثلث، وروي: أنها منسوخة بآية المواريث، وحملت على التقية، أو نسخ الوجوب ﴿ فَمَنْ بَدَّلَهُ ﴾ أي: غيّر ذلك الإيصاء ﴿ بَعْدَ ما سَمِعَهُ ﴾ وتحققه ﴿ فَإِنَّما إِثْمُهُ ﴾ فما إثم التبديل ﴿ إِلاَّ عَلَى الَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُ ﴾ لأنهم الذين خافوا ﴿ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ وعيد للمبدّل.

[سورة البقرة الآيات ١٨٢- ١٨٦]

فَمَنْ خَافَ مِن مُّوصٍ جَنَفًا أَوْ إِثْمًا فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٨٢﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾ أَيَّامًا مَّعْدُودَٰتٍ ۚ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ۚ وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ ۖ فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ ۚ وَأَن تَصُومُوا۟ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٨٤﴾ شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَـٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ ۚ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ۖ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ۗ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا

يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا۟ ٱلْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٨٥﴾ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾

﴿ فَمَنْ خافَ﴾ توقع وعلم﴿ مِنْ مُوصٍ﴾ وشدد حمزة والكسائي﴿ جَنَفاً ﴾ ميلاً عن الحق في الوصية خطأ ﴿ أَوإِثْماً﴾ تعمداً للحيف،[1] كما عن الباقر (ع): ميلاً عن الحق بالخطأ، أوالتعمد، وعن الصادق (ع) يعني: إذا اعتدى في الوصية، وزيد في آخر: وزاد على الثلث، وعن علي (ع): إن الحيف في الوصية من الكبائر﴿ فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ﴾ بين الورثة والموصى لهم ﴿ فَلا إِثْمَ عَلَيْهِ﴾ في تبديل الباطل إلى الحق، بخلاف العكس ﴿ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ﴾ للمذنب ﴿ رَحِيمٌ ﴾ به فكيف المصلح المستحق للأجر؟ وعن الباقر (ع): فمن بدله نسخها فمن خاف يعني الموصى إليه ان خاف جنفاً من الموصي فيما اوصى به إليه، فيما لا يرضى الله به من خلاف الحق، فلا اثم على الموصى إليه أن يرده إلى الحق، وإلى ما يرضى الله به من سبيل الخير، ونحوه آخر، وزاد: ان الله اطلق للموصى إليه أن يغير الوصية إذا لم تكن بالمعروف وكان فيها حيف ويردها إلى المعروف، ونحوه غيره ﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ﴾ فُرِضَ ﴿عَلَيْكُمُ الصِّيامُ﴾ هولغة: مطلق الإمساك، وشرعاً: إمساك مخصوص، وعن الصادق (ع):

---

(١) الحيف: هوالظلم والجور.

هي تجمع الضلال والمنافقين وكل من أقرّ بالدعوة الظاهرة، أقول: فتخصيص المؤمنين لأنهم الذين ينتفعون بها دون غيرهم، وعنه (ع): لذة النداء أزال تعب العبادة والعناء ﴿كَما كُتِبَ﴾ مثل كتابته ﴿عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ أي: الأنبياء والأمم من لدن آدم، وفيه ترغيب وتطييب للنفوس، والتشبيه في أصل الصوم، وقيل: في العدد والوقت، كما روي: ان رمضان كُتِبَ على النصارى فوقع في حرّ، أوفي برد شديد، فحولوه إلى الربيع، وزادوا عليه عشرين كفارة لتحويله، وعن النبي (ص): إن آدم لما أكل من الشجرة بقي في بطنه ثلاثين يوماً، ففرض على ذريته ثلاثين يوماً الجوع والعطش، ثم تلا (ص) هذه الآية ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ به المعاصي، فإنه يقمع الشهوة، كما قال (ص): خصاء أمّتي الصوم ﴿أَيّاماً مَعْدُوداتٍ ﴾ محصورات وقلائل، ونصبها بالصيام ـ وإن وُجِدَ الفصل ـ إذ الظرف يكفيه الرائحة ﴿فَمَنْ كانَ مِنْكُمْ مَرِيضاً﴾ بحيث يضرّ به الصوم، ويعسره (ولا يريد بكم العسر)[1] ﴿أوعَلى سَفَرٍ﴾ راكب سفر ﴿فَعِدَّةٌ﴾ فعليه صوم عدة أيام المرض، أوالسفر﴿مِنْ أَيّامٍ أُخَرَ﴾ جمع (أخرى)، ولم يصرف للوصف والعدل، وهوصريح في الوجوب، ودعوى انه رخصة وإضمار (فأفطر) خلاف الظاهر ولا دليل عليه ﴿وعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ ﴾ وهم الذين يكون الصوم بقدر طاقتهم، ويكونون معه على مشقة وعسر لأن الوسع دون الطاقة و(لا يكلف الله نفساً إلا وسعها)[2] ﴿فِدْيَةٌ﴾ عن كل يوم ﴿طَعامُ مِسْكِينٍ﴾ إن أفطروا، وعن الباقر (ع): الذين يطيقونه: الشيخ الكبير، والذي يأخذه العطاش، وفي

---

(١) سورة البقرة الآية ١٨٥.

(٢) سورة البقرة الآية ٢٨٦.

رواية: المرأة تخاف على ولدها، والشيخ الكبير وعن الصادق (ع) في رجل كبير ضعف عن صوم شهر رمضان قال يتصدق عن كل يوم بما يجزي من طعام مسكين، وفي رواية: لكل يوم مُد،[١] وأضاف نافع وابن عامر فدية إلى طعام، وجمعاً المساكين، وأفرده الباقون ولم يضيفوا فدية، وقيل: التقدير: على الذين كانوا يطيقون الصوم فلم يطيقوه الآن ـ لمرض أوعطاش أو كبر ـ أوأفطروا لمرض أوسفر، ثم زال عذرهم واطاقوا ولم يقضوا حتى دخل رمضان، وقيل: كان القادرون على الصوم مخيرين بينه وبين الفدية، ثم نسخ بقوله (فمن شهد)﴿ فَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْراً ﴾ فزاد في الفدية، أوعلى الواحد﴿ فَهُوَ﴾ فالتطوع، أوالخير﴿ خَيْرٌ لَهُ وأَنْ تَصُومُوا﴾ أيها المطيقون ﴿ خَيْرٌ لَكُمْ ﴾ من الفدية وتطوع الخير، بشرط عدم الضرر ﴿ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ ما في الصوم من الفضيلة والمصالح، أي: لاخترتموه، وإن كنتم من اهل العلم والتمييز علمتم أنه خير لكم، فالجزاء محذوف ﴿ شَهْرُ رَمَضانَ﴾ خبر لمحذوف، أي: الأيام المعدودات، أومبتدأ خبره (الذي)، أوهوصفته والخبر (فمن شهد)، وعن الصادق (ع): إنما فرض اللّه تعالى صيام شهر رمضان على الأنبياء ـ دون الأمم ـ ففضل اللّه به هذه الامة، وجعل صيامه فرضاً على رسول اللّه (ص) وعلى أمته ﴿ الَّذي أُنْزِلَ فيهِ الْقُرْآنُ﴾ جملة واحدة إلى البيت المعمور، ثم نزل في طول عشرين سنة، أو ابتدأ نزوله فيه، أو أنزل في شأنه، أونزل بيانه وتأويله في ليلة القدر﴿ هُدىً لِلنَّاسِ وبَيِّناتٍ مِنَ الْهُدى والْفُرْقانِ﴾ حالان من القرآن، أي: انزل وهو هداية للناس بإعجازه وآيات واضحات مما يهدي إلى الحق، ويفرق به بينه وبين الباطل بما فيه من الحكم والأحكام، وعن الصادق (ع): القرآن جملة الكتاب والفرقان المحكم الواجب العمل به﴿ فَمَنْ شَهِدَ﴾ حضر غير

---

(١) مكيال قديم يكال به الطعام يقدر الآن بثلاثة أرباع الكيلوتقريباً.

مسافر ولا مريض ﴿ مِنكُمُ الشَّهْرَ ﴾ كله أوبعضه، ونصبه على الظرف كالضمير في (فليصمه) أي: فليصم فيه، عن الصادق (ع) ما أبينها من شهد ﴿ فَلْيَصُمْهُ ﴾ من سافر فلا يصمه، ويدل على حجية مفهوم الشرط ﴿ فَمَنْ كانَ مِنْكُمْ مَرِيضاً أَو عَلى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ﴾ مخصص لسابقه لأن المسافر والمريض ممن شهد الشهر، ولعل تكريره لذلك، أو لوجوب الإفطار والقضاء، ولا يفيد وجوب التتابع، وقراءة (متتابعة) شاذة لا عمل بها ﴿ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ ﴾ في جميع أموركم ﴿ ولا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ ﴾ فلذلك أمركم بالإفطار في السفر والمرض، ولم يكلفكم الصّوم ﴿ ولِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ ﴾ علّة الأمر بمراعاة عدة ما أفطر فيه، وشدد ابو بكر (تكمّلوا) ﴿ ولِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلى ما هَداكُمْ ﴾ علة لتعليم كيفية القضاء، أي: لتعظموه بالثناء عليه على هدايتكم إلى العلم بكيفية العمل، أو على الذي هداكم إليه ﴿ ولَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ علة اليسر وإسقاط الصوم، ففيه لف ونشر، أو الكل معطوف على علة مقدرة مثل (لِيَسهل عليكم ولتكملوا) ﴿ وإِذا سَأَلَكَ عِبادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ ﴾ نزلت حين سألوا أ قريب ربنا فنناجيه؟ أم بعيد فنناديه؟، وقربه عبارة عن إحاطته بالأشياء علماً وقدرة ﴿ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذا دَعانِ ﴾ تقرير للقرب، ووعد للداعي بالإجابة ـ عاجلاً أوآجلاً ـ بما سئل، وبما هو خير منه بحسب المصلحة، وأثبت ورش وأبو عمرو الياء فيهما وصلاً ﴿ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي ﴾ إذا دعوتهم للايمان والطاعة، كما أجيبهم إذا دعوني لحوائجهم ﴿ ولْيُؤْمِنُوا بِي ﴾ أمر باحداث الإيمان والثبات عليه، أو بالتصديق بقدرته على الإجابة، وفتح ورش الياء ﴿ لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾ راجين إصابة الحق، سئل الصادق (ع)

حين قرأ(امّن يجيب المضطرّ إذا دعاه)[1] ما بالنا ندعوولا يستجاب لنا؟ فقال: لأنكم تدعون من لا تَعرفون، وتسألون ما لا تفهمون، وقيل له (ص) في ـ قوله ادعوني ـ ما بالنا ندعوولا نرى إجابة؟ قال: أفترى اللّه أخلف وعده؟! قيل: لا، قال: فمم ذلك؟ قيل: لا أدري قال: لكني أخبرك من أطاع اللّه فيما أمره، ودعاه من جهة الدعاء فابتدء فتحمد اللّه وتذكر نعمه عندك، ثم تشكره، ثم تصلي على النبي (ص) ثم تذكر ذنوبك فتقرّ بها، ثم تستعيذ منها، فهذا جهة الدعاء، وعنه (ع): (ان العبد ليدعوفيقول اللّه للملكين قد استجبت له، ولكن احبسوه بحاجته فاني أحب ان اسمع صوته، وان العبد ليدعوفيقول اللّه عجّلوا حاجته فاني ابغض صوته)، وقيل له (ص): انا ندعو فلا يستجاب لنا؟ فقال: (لأنكم لا توفون بعهده وان اللّه يقول:(أوفوا بعهدي أوف بعهدكم)[2] واللّه لووفيتم للّه لوفى لكم)، وعنه (ع): (من سرّه ان يستجاب له فليطيّب مكسبه).

[سورة البقرة الآيات ١٨٧- ١٩٠]

أُحِلَّ لَكُمۡ لَيۡلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمۡۚ هُنَّ لِبَاسٞ لَّكُمۡ وَأَنتُمۡ لِبَاسٞ لَّهُنَّۗ عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمۡ كُنتُمۡ تَخۡتَانُونَ أَنفُسَكُمۡ فَتَابَ عَلَيۡكُمۡ وَعَفَا عَنكُمۡۖ فَٱلۡـَٰٔنَ بَٰشِرُوهُنَّ وَٱبۡتَغُواْ مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمۡۚ وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلۡخَيۡطُ ٱلۡأَبۡيَضُ مِنَ ٱلۡخَيۡطِ ٱلۡأَسۡوَدِ

(١) سورة النمل الآية ٦٢.

(٢) سورة البقرة الآية ٤٠.

مِنَ ٱلۡفَجۡرِۖ ثُمَّ أَتِمُّواْ ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱلَّيۡلِۚ وَلَا تُبَٰشِرُوهُنَّ وَأَنتُمۡ عَٰكِفُونَ فِي ٱلۡمَسَٰجِدِۗ تِلۡكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَقۡرَبُوهَاۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمۡ يَتَّقُونَ ﴿١٨٧﴾ وَلَا تَأۡكُلُوٓاْ أَمۡوَٰلَكُم بَيۡنَكُم بِٱلۡبَٰطِلِ وَتُدۡلُواْ بِهَآ إِلَى ٱلۡحُكَّامِ لِتَأۡكُلُواْ فَرِيقٗا مِّنۡ أَمۡوَٰلِ ٱلنَّاسِ بِٱلۡإِثۡمِ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿١٨٨﴾ يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡأَهِلَّةِۖ قُلۡ هِيَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلۡحَجِّۗ وَلَيۡسَ ٱلۡبِرُّ بِأَن تَأۡتُواْ ٱلۡبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا وَلَٰكِنَّ ٱلۡبِرَّ مَنِ ٱتَّقَىٰۗ وَأۡتُواْ ٱلۡبُيُوتَ مِنۡ أَبۡوَٰبِهَاۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴿١٨٩﴾ وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ وَلَا تَعۡتَدُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ ﴿١٩٠﴾

﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ﴾ التي يصبح منها صائماً ﴿الرَّفَثُ﴾ أصله: القول الفاحش، فكنى به عن الجماع لأنه من لوازمه ﴿إِلَى نِسَائِكُمْ﴾ عدّى بـ(إلى) لتضمنه معنى الإفضاء، وإيثاره هنا لتقبيح ما ارتكبوه، ولذلك سمّاه (خيانة)، عن الصادق (ع): (كان الاكل محرماً في شهر رمضان بالليل بعد النوم، وكان النكاح حراماً بالليل والنهار، وكان رجل من أصحاب رسول الله (ص) يقال له(مطعم بن جبير) نام قبل أن يفطر، وحضر الخندق فأغمي عليه، وكان قوم من الشباب ينكحون سراً، فنزلت

﴿ هُنَّ لِباسٌ لَكُمْ وأَنْتُمْ لِباسٌ لَهُنَّ﴾ إستئناف يبين سبب الإحلال، وهوصعوبة الصبر عليهن وكثرة مخالطتهن ﴿ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَخْتانُونَ أَنْفُسَكُمْ ﴾ بالمعصية المؤدية إلى العقاب، و(الإختيان) أبلغ من الخيانة، كالاكتساب من الكسب ﴿ فَتابَ عَلَيْكُمْ وعَفا عَنْكُمْ ﴾ قَبِلَ توبتكم عن ذنبكم، أو لما تبتم مما اقترفتموه، و(عفا): محا اثره عنكم ﴿ فَالآنَ بَاشِرُوهُنَّ ﴾ لما نسخ عنكم التحريم والمباشرة إلزاق البشرة بالبشرة كناية عن الجماع ﴿ وابْتَغُوا﴾ اطلبوا ﴿ ما كَتَبَ اللَّهُ﴾ وقدّره ﴿ لَكُمْ ﴾ من الولد، إذ حكمة شرع النكاح التناسل لا مجرد قضاء الوطر، ويدل على مرجوحية وطء الدبر والعزل ﴿ وكُلُوا واشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ ﴾ يظهر ﴿ لَكُمُ الْخَيْطُ الأَبْيَضُ ﴾ الفجر المعترض في الأفق ﴿ مِنَ الْخَيْطِ الأَسْوَدِ﴾ ما يمتد معه من ظلمة الليل شُبها بخيطين أبيض واسود ﴿ مِنَ الْفَجْرِ﴾ بيان للخيط الأبيض، واكتفى به عن بيان الخيط الأسود لدلالته عليه، أو للتبعيض، أي: بعض الفجر وأوله، وعن الصادق (ع): (وهوبياض النهار من سواد الليل)، وفي آخر: (هو الفجر الذي لا شك فيه)، وفي آخر: (ليس هو الأبيض صعداً)[1]. وسئل (ع): آكل في شهر رمضان بالليل حتى أشك؟ قال: كل حتى لا تشك، وظاهر الآية حل الرفث والمباشرة في جميع الليل إلى الفجر، فلا يشترط الصوم بالغسل ليلاً - كما صار إليه الصدوق - وبه جملة من الأخبار، إلا انها مقيدة بأخبار أخر أكثر عدداً وأصحّ سنداً، والاولى محمولة على التقية، ومع كون الغاية للشرب المتأخر أولى، أوللأكل أيضاً لأنها كشيء واحد وغاية المباشرة تعلم من السنة ﴿ ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيامَ إِلَى اللَّيْلِ ﴾ بيان آخر وقت الصيام ﴿ ولا تُبَاشِرُوهُنَّ وأَنْتُمْ

---

(١) أي المرتقي الى جهة العلو.

عاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ ﴾ التي يجوز الاعتكاف فيها، والاعتكاف لبث فيه[1] على وجه مخصوص ﴿تِلْكَ﴾ الاحكام المذكورة ﴿ حُدُودُ اللّهِ﴾ ومناهيه ﴿ فَلا تَقْرَبُوها﴾ بالمخالفة، والنهي عن قربها مبالغة في منع التعدي ﴿ كَذلِكَ ﴾ البيان ﴿ يُبَيِّنُ اللّهُ آياتِهِ لِلنّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ تعدي حدوده ﴿ ولا تَأْكُلُوا أَمْوالَكُمْ﴾ لا يأكل بعضكم مال بعض ﴿بَيْنَكُمْ﴾ ظرف ﴿ بِالْباطِلِ﴾ بالوجه الذي لا يحل ولم يشرعه، وعن الباقر (ع): (يعني بالباطل: اليمين الكاذبة يقطع بها الأموال) ﴿ وتُدْلُوا بِها﴾ عطف على (تلقوا)[2] أي: ولا تلقوا أمرها ﴿ إِلَى الْحُكّامِ﴾ أونصب بإضمار (ان) ﴿ لِتَأْكُلُوا﴾ بالتحاكم ﴿ فَرِيقاً﴾ طائفة ﴿ مِنْ أَمْوالِ النّاسِ بِالإِثْمِ﴾ بموجب الإثم كاليمين الكاذبة وشهادة الزور ﴿ وأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ إنكم مبطلون، فإن إرتكاب الذنب مع العلم به أقبح، عن الصادق (ع): (كانت قريش تقامر الرجل في اهله وماله فنهاهم اللّه)، وعنه (ص): (لم يعنِ حكام أهل العدل ولكنه يعني حكام أهل الجور) ﴿ يَسْئَلُونَكَ عَنِ﴾ احوال ﴿ الأَهِلَّةِ﴾ في زيادتها ونقصانها ﴿ قُلْ هِيَ مَواقِيتُ لِلنّاسِ والْحَجِّ﴾ معالم يوقّت بها الناس أمورهم وعباداتهم سيما الحج، فإن الوقت مراعى فيه أداءً وقضاءً، وعن الصادق (ع): (لصومهم وفطرهم وحجهم) ﴿ ولَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ﴾ ضم الباء أبوعمرووورش وحفص، وكسرها الباقون ﴿ مِنْ ظُهُورِها﴾ عن الباقر (ع): (كانوا إذا أحرموا لم يدخلوا بيوتهم من أبوابها، ولكنهم كانوا يثقبون في ظهور بيوتهم وفي مؤخرها ثقباً يدخلون ويخرجون منه) ﴿ ولكِنَّ الْبِرَّ ﴾ برّ ﴿ مَنِ اتَّقى﴾ ما حرّم اللّه ـ

---

(١) في المسجد.

(٢) وردت هكذا في النسخة الخطية والصحيح: (عطف على «تأكلوا») كما هوواضح .

كما عن الصادق (ع) ـ واتصل بما قبله لأنه من أفعالهم في الحج فذكر بعد ذكر أنها مواقيته إستطراداً، أولأنهم سألوا عنهما ﴿ وأْتوا الْبُيوتَ مِنْ أَبوابِها﴾ إذ لا برّ في العدول، وعن الباقر (ع): (يعني: أن ياتي الأمر من وجهه أي الأمور كان)، وعن علي (ع): (البيوت هي بيوت العلم الذي استودعته الأنبياء وأبوابها وأوصياؤهم)[1] وعنهم (ع): نحن البيوت التي أمر اللّه أن تؤتى أبوابها ﴿ واتَّقُوا اللَّهَ﴾ في تغيير أحكامه ﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ لكي تظفروا بالهدى ﴿وقاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ جاهدوا في دينه لإعزازه ﴿الَّذِينَ يُقاتِلُونَكُمْ ﴾ أي: لا الكافين عنكم، وعنهم (ع): هي ناسخة لقوله تعالى (كفوا أيديكم)[2]، أومنسوخة بـ(قاتلوا المشركين كافة)[3]، أوأريد بهم من يتوقع منهم القتال ليخرج الشيوخ والصبيان والنساء فلا نسخ، أو أهل مكة، روي: أنهم صدوا الرسول (ص) عام الحديبية وصالحوه على أن يرجع من قابل فيخلوا له مكة ثلاثة أيام، فرجع لعمرة القضاء، وخاف المسلمون أن لا يفوا لهم ويقاتلوهم في الحرم والشهر الحرام وكرهوا ذلك، فنزلت ﴿ ولا تَعْتَدُوا﴾ بأبتداء القتال، أو بقتال من نهيتم عن قتاله، أو بالمثلة، أو بالمفاجأة بدون دعوة ﴿ إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ لا يريد لهم الخير.

---

(١) الظاهر ان الصحيح: (وأبوابها أوصيائهم).

(٢) سورة النساء الآية ٧٧.

(٣) سورة التوبة الآية ٣٦.

[سورة البقرة الآيات ١٩١- ١٩٦]

وَٱقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُم مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ ۚ وَٱلْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ ٱلْقَتْلِ ۚ وَلَا تُقَـٰتِلُوهُمْ عِندَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ حَتَّىٰ يُقَـٰتِلُوكُمْ فِيهِ ۖ فَإِن قَـٰتَلُوكُمْ فَٱقْتُلُوهُمْ ۗ كَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿١٩١﴾ فَإِنِ ٱنتَهَوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٩٢﴾ وَقَـٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِ ۖ فَإِنِ ٱنتَهَوْا۟ فَلَا عُدْوَٰنَ إِلَّا عَلَى ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿١٩٣﴾ ٱلشَّهْرُ ٱلْحَرَامُ بِٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ وَٱلْحُرُمَـٰتُ قِصَاصٌ ۚ فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱعْتَدُوا۟ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿١٩٤﴾ وَأَنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلْقُوا۟ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ ۛ وَأَحْسِنُوٓا۟ ۛ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٩٥﴾ وَأَتِمُّوا۟ ٱلْحَجَّ وَٱلْعُمْرَةَ لِلَّهِ ۚ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا ٱسْتَيْسَرَ مِنَ ٱلْهَدْىِ ۖ وَلَا تَحْلِقُوا۟ رُءُوسَكُمْ حَتَّىٰ يَبْلُغَ ٱلْهَدْىُ مَحِلَّهُۥ ۚ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ بِهِۦٓ أَذًى مِّن رَّأْسِهِۦ فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ ۚ فَإِذَآ أَمِنتُمْ

فَمَن تَمَتَّعَ بِٱلْعُمْرَةِ إِلَى ٱلْحَجِّ فَمَا ٱسْتَيْسَرَ مِنَ ٱلْهَدْيِ ۚ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٍ فِى ٱلْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ ۗ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ ۗ ذَٰلِكَ لِمَن لَّمْ يَكُنْ أَهْلُهُۥ حَاضِرِى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿١٩٦﴾

﴿ واقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ﴾ وجدتموهم في حل اوحرم ﴿ وأَخْرِجُوهُمْ مِنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ﴾ أي مكة، وفعل ذلك يوم الفتح بمن لم يسلم منهم ﴿ والْفِتْنَةُ﴾ أي: البلاء الذي يحل بالإنسان كالإخراج من الوطن ﴿ أَشَدُّ﴾ أصعب ﴿ مِنَ الْقَتْلِ﴾ أوشركهم في الحرم أشد من قتلكم إياهم الذي عابوكم به ﴿ ولا تُقَاتِلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّى يُقَاتِلُوكُمْ فِيهِ﴾ لا تفاتحوهم بالقتال وهتك حرمة الحرم ﴿ فَإِنْ قَاتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ﴾ فإنهم الذين هتكوا حرمته، وقرأ حمزة والكسائي (ولا تقتلوهم حتى يقتلوكم فان قتلوكم) بإرادة البعض ﴿ كَذَلِكَ﴾ الجزاء ﴿ جَزاءُ الْكافِرِينَ﴾ يفعل بهم كفعلهم ﴿ فَإِنِ انْتَهَوْا﴾ عن القتال والشرك ﴿ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ يغفر لهم ما سلف ﴿ وقاتِلُوهُمْ حَتَّى لا تَكُونَ فِتْنَةٌ﴾ أي: شرك ـ كما عن االباقر (ع)ـ ﴿ ويَكُونَ الدِّينُ﴾ خالصاً ﴿ لِلَّهِ فَإِنِ انْتَهَوْا﴾ عن الشرك ﴿ فَلا عُدْوانَ إِلاَّ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ فلا عقوبة عليهم وانما هي على الكافرين، وسمي جزاء الظلم ظلماً[1] للمشاكلة كما في: (جزاء سيئة سيئة مثلها)[2]

---

(١) كان الأولى أن يقال: (وسمي جزاء الظلم عدواناً)إذ أن الوارد في الآية هو(العدوان)وليس الظلم.

(٢) سورة الشورى الآية ٤٢.

(فاعتدوا عليه)[1] وروي: لا عدوان إلا على ذرية قتل الحسين (ع)، ونحوه غيره، وعلل في آخر: لرضاهم بفعل آبائهم ﴿ الشَّهْرُ الْحَرامُ بِالشَّهْرِ الْحَرامِ﴾ قيل: قاتلهم المشركون عام الحديبية في ذي القعدة واتفق خروجهم لعمرة القضاء فيه، فكرهوا أن يقاتلوهم لحرمته، فقيل لهم هذا الشهر بذلك، وهتكه بهتكه، فلا تبالوا به، وعن الباقر (ع) نحوه ﴿ والْحُرُماتُ قِصاصٌ﴾ أي: كل حرمة يجري فيها القصاص فلما هتكوا حرمة شهركم فافعلوا بهم مثله ولا تباكوا وأكده قوله ﴿ فَمَنِ اعْتَدى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدى عَلَيْكُمْ﴾ فجازوه بمثل فعله ﴿ واتَّقُوا اللَّهَ ﴾ فلا تعتدوا في الانتصار ﴿ واعْلَمُوا أنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾ فينصرهم ﴿ وأنفِقُوا ﴾ من أموالكم ﴿ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ في وجوه البر والجهاد ﴿ ولا تُلْقُوا﴾ تطرحوا ﴿ بِأيْدِيكُمْ ﴾ أي: أنفسكم، و(الباء) زائدة ﴿ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾ الهلاك بالإسراف وتضييع وجه المعاش، أوبالكف عن الغزووالإنفاق فيه، فأنه يؤدي إلى الهلاك بتقوية العدو، أو بالإمساك وحبّ المال، وعدّي بـ(إلى) لتضمنه الانتهاء، أو المعنى: لا تجعلوا التهلكة آخذة بأيديكم ﴿ وأحْسِنُوا﴾ الأعمال ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ المقتصدين ﴿ وأتِمُّوا الْحَجَّ والْعُمْرَةَ ﴾ أدّوهما تامين بشرائطهما، واقيموهما إلى آخر ما فيهما ﴿ لِلَّهِ﴾ لوجهه خاصة فيفيد وجوبهما ابتداء، وقد تفيد وجوب إتمامهما مندوبين بعد الشروع، وعن الصادق (ع): (تمامهما اجتناب الرفث والفسوق والجدال في الحج)، وفي آخر: (يعني بتمامهما: أدائهما، واتقاء ما يتقي المحرم فيهما)، وفي آخر: (من تمام الحج والعمرة: ان يحفظ المرء لسانه إلا من خير)، وعنهم (ع): (إتمام الحج ختمه

---

(١) سورة البقرة الآية ١٩٤.

بزيارتهم) ﴿ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ﴾ منعتم عن أحدهما محرمين، و(الحصر) و(الإحصار): المنع، كالصدّ والاصداد، وظاهر الأصحاب والأخبار إختصاص الحصر بالمرض والصدّ بالعدولاختلافهما حكماً، وعزى الطبرسي تعميم الحصر فيهما إلى أئمتنا (ع) ﴿ فَمَا اسْتَيْسَرَ﴾ فعليكم، أو فاهدوا ما تيسر﴿ مِنَ الْهَدْيِ ﴾ بدنة، أو بقرة، أوشاة للإحلال ﴿ ولا تَحْلِقُوا رُؤُسَكُمْ﴾ لا تحلّوا ﴿ حَتَّى يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحِلَّهُ﴾ حتى تعلموا بلوغه مكانه الذي يذبح فيه، وهوفي المرض للحاج منى يوم النحر، وللمعتمر مكة في الساعة التي وعد المبعوث معهم، وفي العدومكانه الذي صدّ فيه حين يريد الإحلال، وربما خير في المرض بين ذلك والبعث، والأخبار مختلفة ﴿ فَمَنْ كَانَ مِنكُمْ مَرِيضاً﴾ مرضاً محوجاً للحلق﴿ أَو بِهِ أَذىً مِنْ رَأْسِهِ﴾ كقمل أوغيره﴿ فَفِدْيَةٌ﴾ أي: فحلق، فالواجب فدية، ﴿ مِنْ صِيَامٍ أَوصَدَقَةٍ أَونُسُكٍ﴾ بيان لجنس المفدى، وعن النبي (ص): الصيام ثلاثة أيام، والصدقة على ستة مساكين لكل مسكين صاع من تمر والنسك شاة ونحوه غيره، وفي آخر: فالصيام ثلاثة أيام والصدقة على ستة مساكين لكل مسكين صاع[1] من تمر، والنسك شاة لا يطعم منها أحداً إلا المساكين ﴿ فَإِذا أَمِنتُمْ﴾ المرض، أو المرض والعدو، أوكنتم في حال سعة وأمن ﴿ فَمَنْ تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ﴾ انتفع بالتقرب بها ﴿ إِلَى﴾ اللّه قبل انتفاعه بالتقرب بالحج ﴿ الْحَجِّ﴾ في اشهره، وانتفع باحلاله منها باستباحة ما حرم عليه إلى أن يحرم بالحج ﴿ فَمَا اسْتَيْسَرَ﴾ فعليه ما تيسر﴿ مِنَ الْهَدْيِ﴾ فهو واجب على المتمتع يذبحه بمنى يوم النحر﴿ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ ﴾ هدياً قيل: ولا ثمنه ﴿ فَصِيَامُ ثَلاثَةِ أَيَّامٍ فِي﴾ وقت ﴿ الْحَجِّ ﴾

(١) الصاع: مكيال قديم تكال به الحبوب ونحوها يقدر الآن بثلاثة كيلوات تقريباً.

وأيام الاشتغال به سابع ذي الحجة، وثامنه، وتاسعه، فإن فاته فيها فبعد أيام التشريق من ذي الحجة، عن الصادق (ع): يوم قبل التروية، ويوم التروية، ويوم عرفة، قيل: فإن فاته ذلك قال: يتسحر ليلة الحصبة ويصوم ذلك اليوم ويومين بعده، قيل: فإن لم يقم عليه جماله يصومها في الطريق؟ قال: إن شاء صامها في الطريق، وإن شاء إذا رجع إلى اهله ﴿ وسَبْعَةٍ إِذا رَجَعْتُمْ﴾ إلى أهاليكم، فإن بَدَا له الإقامة بمكة إنتظر مقدم أهل بلاده، فإذا ظن أنهم قد وصلوا فليصم السبعة أيام، كذا في الكافي عنهم (ع) ﴿ تِلْكَ عَشَرَةٌ﴾ فذلك الحساب، أي: مجمل تفاصيله وفائدتها أن لا يتوهم أن (الواو) بمعنى (أو)، أوليعلم العدد جملة كما علم تفصيلاً، وإن المراد بالسبعة العدد دون الكثرة، كما قد يطلق عليها﴿ كامِلَةٌ﴾ في بدلية الهدي لا تنقص عن الأضحية الكاملة ـ كما عن الصادق (ع) ـ أوصفة مؤكدة تفيد المبالغة في محافظة العدد، أومبينة كمال العشرة فأنه أول عدد كامل إذ به تنتهي الآحاد وتتم مراتبها ﴿ ذلِكَ﴾ أي: التمتع ﴿ لِمَنْ لَمْ يَكُنْ أَهْلُهُ حاضِرِي الْمَسْجِدِ الْحَرامِ﴾ عن الباقر (ع): ذلك أهل مكة ليس لهم متعة ولا عليهم عمره، قيل: مما حدّ ذلك؟ قال: ثمانية وأربعون ميلاً من جميع نواحي مكة دون عسفان وذات عرق[1] ﴿ واتَّقُوا اللَّهَ ﴾ في المحافظة على أوامره ونواهيه ـ سيما في الحج ـ ﴿ واعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقابِ﴾ لمن خالف ليمنعكم العلم بذلك عن الخلاف .

---

(١) عسفان وذات عرق : اسمان لمنطقتين معروفتين بالحجاز.

[سورة البقرة الآيات ١٩٧-٢٠٢]

ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ ۚ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِى ٱلْحَجِّ ۗ وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ ۗ وَتَزَوَّدُوا۟ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ ۚ وَٱتَّقُونِ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٧﴾ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُوا۟ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ ۚ فَإِذَآ أَفَضْتُم مِّنْ عَرَفَٰتٍ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ عِندَ ٱلْمَشْعَرِ ٱلْحَرَامِ ۖ وَٱذْكُرُوهُ كَمَا هَدَىٰكُمْ وَإِن كُنتُم مِّن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿١٩٨﴾ ثُمَّ أَفِيضُوا۟ مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ ٱلنَّاسُ وَٱسْتَغْفِرُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٩٩﴾ فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَٰسِكَكُمْ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَذِكْرِكُمْ ءَابَآءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا ۗ فَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ ﴿٢٠٠﴾ وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿٢٠١﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبُوا۟ ۚ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿٢٠٢﴾

﴿الْحَجُّ﴾ أي: وقت إحرامه ومناسكه﴿أَشْهُرٌ مَعْلُوماتٌ﴾ هي: شوال وذوالقعدة وذوالحجة ـ كما في عدة أخبار ـ وفي بعضها: (وعشر من ذي الحجة)، وعن الباقر والصادق (ع): (ليس لأحد أن يحج فيما سواهن، ومن أحرم بالحج في غير أشهر الحج فلا حج له) ﴿فَمَنْ فَرَضَ﴾ أي: أوجَبَ على نفسه﴿فِيهِنَّ الْحَجَّ﴾ تمتعاً أوغيره بحيث يلزمه إتمامه، وعن الصادق (ع): (الفرض التلبية والاشعار والتقليد، فأي ذلك فعل فقد فرض الحج ﴿فَلا رَفَثَ ولا فُسُوقَ ولا جِدالَ فِي الْحَجِّ﴾ في أيامه، عن الصادق (ع): (الرفث: الجماع، والفسوق: الكذب والسباب، والجدال: قول الرجل (لا واللّه) و(بلى واللّه) ونحوه غيره، وزاد في الجدال الشاة، وفي الفسوق بقرة، والرفث: فساد الحج، وأريد بنفي الثلاثة النهي وخص الحج، ومنها ما يحرم مطلقاً لأنه في الحج أشد كلبس الحرير في الصلاة ورَفَعَ ابوعمرو، وابن كثير الأولين، وفَتَح الباقون الثلاثة ﴿وما تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللَّهُ﴾ يجازيكم به، ولا يضيعه لعلمه ﴿وتَزَوَّدُوا﴾ لمعادكم التقوى ﴿فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوى﴾ وقيل: كان أهل اليمن لا يتزودون، ويقولون: نحن متوكلون، ويكونون كلاً[1] على الناس، فأمروا ان يتزودوا ويتقوا الإبرام[2] في السؤال ﴿واتَّقُونِ يا أُولِي الأَلْبابِ﴾ خصوا بالخطاب لأن مقتضى العقل خشية اللّه وتقواه، واثبت ابوعمروالياء وصلاً ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُناحٌ﴾ إثم ﴿أَنْ تَبْتَغُوا﴾ في أن تطلبوا ﴿فَضْلاً﴾ رزقاً ﴿مِنْ رَبِّكُمْ﴾ بالتجارة، قيل: كانوا يتأثمون بالتجارة في الحج فرفع ذلك، أومغفرة منه، وعن الصادق (ع): (فضلاً من

---

(١) الكلّ(بفتح الكاف): الشخص الثقيل الذي يسبب العناء والمشقة للآخرين.

(٢) أي: يجتنبون مضايقة الناس وإزعاجهم.

ربكم) يعني: الرزق، إذا أحلّ الرجل من إحرامه وقضى نسكه فليشترِ وليبع في الموسم ﴿ فَإِذا أَفَضْتُمْ ﴾ دفعتم أنفسكم بكثرة، من أفاض الماء إذا صبه بكثرة ﴿مِنْ عَرَفاتٍ﴾ ومضيتم إلى المزدلفة، وسمي الموقف (عرفات) لأن ابراهيم (ع) عرفه بعد وصفه له، أولقوله: (عرفت) حين أراه جبرئيل المناسك، أولأن آدم وحواء إلتقيا وتعارفا، أولتعارف الناس فيه، وهوجمع سمي به، وانما نوّن وكسر وفيه التعريف والتأنيث لأن تاءه ليست للتأنيث، بل هي مع الألف علامة الجمع، وهي تمنع من تقدير تاء فيه لأنها كالبدل لها لإختصاصها بالمؤنث كتاء (بنت) ﴿ فَاذْكُرُوا اللَّهَ﴾ بآلائه ونعمائه والصلاة على النبي (ص) وآله (ع)، أوبالتسبيح ونحوه ﴿عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرامِ﴾ موضع محدود كمعرفة، سمي (مشعراً) لأنه مَعْلَم العبادة، و(حراماً) لحرمته ﴿ واذْكُرُوهُ﴾ بالثناء والشكر﴿ كَما هَداكُمْ﴾ بإزاء هدايته إياكم، فبالحري[1] أن يذكر، أوكما علمكم المناسك وغيرها﴿ وإِنْ كُنْتُمْ ﴾ مخففة من الثقيلة﴿ مِنْ قَبْله﴾ أي: قبل الهدى﴿ لَمِنَ الضَّالِّينَ﴾ الجاهلين بالإيمان والعبادة، واللام فارقه ﴿ ثُمَّ أَفِيضُوا﴾ يا معشر قريش﴿ مِنْ حَيْثُ أَفاضَ النَّاسُ﴾ من عرفات، وفي عدة أخبار: كانت قريش وحلفاؤهم لا يقفون مع الناس بعرفات ولا يفيضون منها، ويقولون: نحن أهل حرم الله فلا نخرج من الحرم، فيقفون بالمشعر ويفيضون منه، فأمرهم الله أن يقفوا بعرفات ويفيضوا منه، وعن الصادق (ع): يعني بـ(الناس): إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ومن بعدهم ممن أفاض من عرفات، وعنهم (ع): (نحن الناس)، قيل: (ثم) لتفاوت ما بين الإفاضتين في الرتبة﴿ واسْتَغْفِرُوا اللَّهَ﴾ من ذنوبكم بالندم

---

(١) الأولى والأفضل.

عليها﴿ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ كثير المغفرة والرحمة ﴿ فَإِذا قَضَيْتُمْ مَناسِكَكُمْ﴾ فرغتم من أفعال الحج ﴿ فَاذْكُرُوا اللَّهَ ﴾ ذكراً كثيراً ﴿كَذِكْرِكُمْ آباءَكُمْ﴾ صفة المصدرالمحذوف ﴿ أَوأَشَدَّ﴾ عطف على (كذكركم) أي: أوذكراً أشد ﴿ ذِكراً﴾ تمييز، أي: أشديته تكون من حيث كونه ذكراً لا من جهة أخرى، أوعلى ذكركم بجعله بمعنى الذاكر، أي أوكذاكر أشد، في تفسير الإمام خيَّرهم بين ذلك، وعن الباقر (ع): كانوا إذا فرغوا من الحج يجتمعون هناك، يعدون مفاخر آبائهم ومآثرهم، ويذكرون أيامهم، فأمرهم الله أن يذكروه مكان ذكر آبائهم في هذا الموضع، أوأشد ذكراً ﴿ فَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ﴾ تقسيم للذاكرين إلى طلب[1] بذكره عرض الدنيا، وطالب به خير الدارين ﴿ رَبَّنا آتِنا ﴾ عطاءنا ﴿ فِي الدُّنْيا﴾ خاصة ﴿ وما لَهُ فِي الآخِرَةِ مِنْ خَلاقٍ﴾ من نصيب، لقصرهم على الدنيا﴿ ومِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ رَبَّنا آتِنا فِي الدُّنْيا حَسَنَةً ﴾ كالصحة والأمن والكفاف وتوفيق الخير﴿ وفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً﴾ كالرضوان والجنة والرحمة والزلفى[2]﴿ وقِنا عَذابَ النَّارِ﴾ بالعفووالمغفرة، وعن الصادق (ع): رضوان الله والجنة في الآخرة، والسعة والمعاش وحسن الخلق في الدنيا، وعن علي (ع): (في الدنيا المرأة الصالحة) وفي الآخرة: الحوراء وعذاب النار وامرأة السوء ﴿ أُولئِكَ ﴾ الداعون بهذا الدعاء ﴿ لَهُمْ نَصِيبٌ﴾ في الدنيا والآخرة ﴿ مِمَّا كَسَبُوا ﴾ من ثواب ما كسبوا، أي من جنسه وهو جزاؤه، أو من أجله، أو أن العمل يتجسم كما في النبوي: إنما أعمالكم تُرَد إليكم﴿ واللَّهُ سَرِيعُ الْحِسابِ﴾ يحاسب الخلائق كلهم

---

(١) الظاهر ان الصحيح «طالب».

(٢) المنزلة والمكانة العالية.

على كثرتهم وكثرة أعمالهم في مقدار لمح البصر، كما في الخبر عن علي (ع): يحاسب الخلائق كلهم دفعة كما يرزقهم دفعة.

[سورة البقرة الآيات ٢٠٣- ٢١٠]

وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ فِىٓ أَيَّامٍ مَّعْدُودَٰتٍ ۚ فَمَن تَعَجَّلَ فِى يَوْمَيْنِ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَن تَأَخَّرَ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ ۚ لِمَنِ ٱتَّقَىٰ ۗ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٠٣﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُۥ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيُشْهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِى قَلْبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلْخِصَامِ ﴿٢٠٤﴾ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ ٱلْحَرْثَ وَٱلنَّسْلَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ ﴿٢٠٥﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُ ٱتَّقِ ٱللَّهَ أَخَذَتْهُ ٱلْعِزَّةُ بِٱلْإِثْمِ ۚ فَحَسْبُهُۥ جَهَنَّمُ ۚ وَلَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿٢٠٦﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِى نَفْسَهُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٢٠٧﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱدْخُلُوا۟ فِى ٱلسِّلْمِ كَآفَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٢٠٨﴾ فَإِن زَلَلْتُم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْكُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٠٩﴾ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ

فِي ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَقُضِيَ ٱلْأَمْرُ ۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴿٢١٠﴾

﴿ واذْكُرُوا اللَّهَ﴾ كبّروه ﴿ فِي أَيَّامٍ مَعْدُودات ﴾ أيام التشريق من ظهر يوم النحر، إلى فجر اليوم الثالث لمن كان بمنى، وفي سائر الأمصار إلى عشر صلوات والتكبير: (الله اكبر الله اكبر، لا إله إلا الله والله اكبر ولله الحمد، الله اكبر على ما هدانا، الله اكبر على ما رزقنا من بهيمة الأنعام، كذا عنهم (ع) ﴿ فَمَنْ تَعَجَّلَ﴾ استعجل النفر من منى ﴿ فِي يَوْمَيْنِ﴾ بعد يوم النحر، إذا فرغ من رمي الجمار ﴿ فَلا إِثْمَ عَلَيْهِ﴾ بتعجيله ﴿ ومَنْ تَأَخَّرَ ﴾ إلى الثالث فنفر فيه، أيّ وقت شاء بعد الرمي ﴿ فَلا إِثْمَ عَلَيْهِ﴾ رفع لتوهم الإثم بالتأخّر لواقتصر على نفيه بالتعجيل، قال الصادق (ع): لوسكت لم يبق أحد إلاّ تعجل ولكنه قال: (ومن تأخر فلا إثم عليه) أونفيه فيهما للتخيير بينهما، والرد على أهل الجاهلية إذ منهم من أثم المتعجل، ومنهم من أثم المتأخر ﴿ لِمَنِ اتَّقى﴾ أي: ذلك التخيير للمتقي المعاصي، لأنه الحاج على الحقيقة، أولمن إتقى الصيد والنساء في إحرامه، وعن الباقر (ع): (لمن اتقى الله)، وعن الصادق (ع): (لمن اتقى الصيد في إحرامه، فإن أصابه لم يكن له أن ينفر في النفر الأول)، وعنه (ص): (لمن اتقى الصيد حتى ينفر أهل منى في النفر الأخير)، وعن الباقر (ع): (لمن إتقى منهم الصيد) وإتقى الرفث والفسوق والجدال وما حرّم الله في إحرامه)، ﴿ واتَّقُوا اللَّهَ﴾ في مجامع أموركم ﴿ واعْلَمُوا أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ ترجعون إلى موضع حكمه، فيجازيكم بما عملتم ﴿ ومِنَ النَّاسِ﴾ قيل: نزلت في المرائي، وقيل: في المنافقين، وقيل: في ابن شريق ﴿مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ﴾ يروقك، ويعظم في قلبك ﴿ فِي الْحَياةِ

الدُّنيا﴾ متعلق بـ(القول) أي: ما يقوله في معنى الدنيا، إذ هي مراده ومن ادعاء الإسلام والمحبة، أوبـ(يعجبك) أي: يعجبك في الدنيا قوله حلاوة وفصاحة، ولا يعجبك في الآخرة للدّهشة، أولأنه لا يؤذن له في القول﴿ ويُشْهِدُ اللَّهَ ﴾ يحلف به ويستشهده ﴿ عَلى ما فِي قَلْبِهِ﴾ أي: أنه مضمر ما يقول﴿ وهُو ألَدُّ الْخِصامِ﴾ جمع (خصم) أي: أشد الخصوم خصومة، أومصدر أي: شديد المخاصمة والجدال﴿ وإذا تَولَّى ﴾ ذهب عنك، أوصار والياً ﴿ سَعى فِي الأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيها ويُهْلِكَ الْحَرْثَ والنَّسْلَ﴾ كما فعل الأخنس بثقيف[١] إذ بيّتهم[٢] وأحرق زرعهم وأهلك مواشيهم، أوكما يفعله ولاة السوء بالقتل والإتلاف وإهلاك الزرع، وإفساد وقتل الحيوان فيقطع نسله. وعن الصادق (ع): (الحرث في هذا الموضع: الدين، والنسل الناس)، وعن علي (ع): (يهلك الحرث والنسل بظلمه وسوء سيرته).﴿ واللَّهُ لا يُحبُّ الْفَسادَ﴾ لا يرضاه ﴿ وَإذا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ ﴾ ودَعْ سوءَ صُنعك ﴿ أخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بالإثْمِ﴾ حملته الانفة، وحمية الجاهلية على الإثم الذي أمر باتقائه، من (أخذته بكذا) ألزمته به ﴿ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ﴾ كفته عقوبة﴿ ولَبِئْسَ الْمِهادُ﴾ جواب قسم مقدر، وحذف المخصوص بالذم للعلم به، و(المهاد) الفراش، أوالوطاء تهكم ﴿ ومِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ﴾ يبيعها ويبذلها﴿ ابْتِغاءَ مَرْضاتِ اللَّهِ﴾ طلباً لرضاه، قد تظافرت الأخبار في نزولها في عليّ حين هرب إلى الغار[٣] وبات على فراشه يفديه نفسه، وعن علي (ع) المراد بالآية: (الرجل يقتل على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر) أقول: أي: هي عامة ـ وإن

---

(١) قبيلة معروفة من قبائل العرب.

(٢) بيّتهم: أي: هجم عليهم ليلاً.

(٣) في هذه العبارة سقط واضح ، فالإمام علي(ع) لم يهرب الى الغار . الأولى أن يقال: (حين ذهب النبي(ص)الى الغار وبات...)

نزلت خاصة ـ وفي تفسير الإمام: هؤلاء خيار أصحاب رسول اللّه (ص) عذبهم أهل مكة ليفتنوهم عن دينهم: فمنهم بلال وصهيب وخباب وعمار بن ياسر وأبواه ﴿ واللّهُ رَؤُفٌ بِالْعِبادِ﴾ يبلغهم أقصى أمانيهم ويزيدهم ﴿ يا أيُّهَا الَّذينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ﴾ الانقياد والطاعة، فتحه ابن كثير ونافع والكسائي، وكسره الباقون، وعن الصادق (ع): (ولاية علي والأئمة)، وفي تفسير الإمام: في المسالمة إلى دين الإسلام ﴿ كَافَّةً﴾ جملة، من كفّ كأنهم كفّوا تفرقهم باجتماعهم، حال من الضمير أوالسلم أي: دوموا على الطاعة، أوأطيعوا جميعاً، أو الزموا أحكام الإسلام جميعاً، والخطاب للمؤمنين، أو المنافقين، أو مؤمني أهل الكتاب، إذ سألوا النبي الإقامة يوم السبت وتحريم الإبل﴿ ولا تَتَّبِعُوا خُطُواتِ الشَّيْطانِ﴾ بتفرقكم، أو تفريقكم ﴿ إنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌمُبينٌ﴾ مظهر للعداوة ﴿ فَإنْ زَلَلْتُمْ﴾ عمّا أمرتم به من الدخول في السلم وغيره ﴿ مِنْ بَعْدِ ما جاءَتْكُمُ الْبَيِّناتُ ﴾ الحجج والشواهد ﴿ فَاعْلَمُوا أنَّ اللّهَ عَزِيزٌ﴾ غالب لا يعجزه الانتقام منكم ﴿ حَكِيمٌ﴾ لا يبطش إلاّ بالحق ﴿ هَلْ يَنْظُرُونَ﴾ معناه: النفي ﴿ إلاّ أنْ يَأْتِيَهُمُ اللّهُ﴾ أمره، أو بأسه، أو يأتيهم بنقمته ﴿ فِي ظُلَلٍ﴾ جمع (ظلة) وهي ما أظلك ﴿ مِنَ الْغَمامِ﴾ السحاب الأبيض الذي هومظنة الرحمة، فإذا جاء منه العذاب كان أصعب ﴿ وَ﴾ تأتي ﴿ الْمَلائِكَةُ﴾ إن قرأ بالرفع، وبهم إن قرأ بالجر، وعن الرضا (ع): (نزلت: «إن يأتيهم اللّه بالملائكة في ظلل من الغمام») ﴿ وقُضِيَ الأمْرُ﴾ فرغ من أمر إهلاكهم، وعبّر بالماضي لتحقق وقوعه﴿ وإلَى اللّهِ تُرْجَعُ الأُمُورُ﴾ بالبناء للفاعل عند ابن عامر وحمزة والكسائي، وللمفعول عند الباقين.

[سورة البقرة الآيات ٢١١ - ٢١٥]

سَلْ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ كَمْ ءَاتَيْنَٰهُم مِّنْ ءَايَةٍۭ بَيِّنَةٍ ۗ وَمَن يُبَدِّلْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٢١١﴾ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۘ وَٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ فَوْقَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ وَٱللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٢١٢﴾ كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّۦنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ۚ وَمَا ٱخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ أُوتُوهُ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۖ فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ مِنَ ٱلْحَقِّ بِإِذْنِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢١٣﴾ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُم ۖ مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلْزِلُوا۟ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ ۗ أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ ﴿٢١٤﴾ يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ ۖ قُلْ مَآ أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ

فَلِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ ۗ وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴿٢١٥﴾

﴿سَلْ بَنِي إِسْرائيلَ﴾ أمر للرسول (ص)، أولكل واحد، والسؤال تقريع[1] ﴿كَمْ آتَيْناهُمْ مِنْ آيَةٍ بَيِّنَةٍ﴾ معجزة واضحة على أيدي أنبيائهم، أو حجة في الكتب على صدق محمد (ص)، و(كم) استفهامية مقررة، أوخبرية ومحلها النصب بالمفعولية، وعن الصادق (ع): (كان يقرأ «كم آتيناهم من آية بيّنة فمنهم من آمن ومنهم من جحد ومنهم من أقرّ ومنهم من بدل»). ﴿ومَنْ يُبَدِّلْ نِعْمَةَ اللَّهِ﴾ آياته التي هي سبب الهدى والنجاة اللّذين هما من أجلّ النعم يجعلها سبب الضلال، أوبالتحريف ﴿مِنْ بَعْدِ ما جاءَتْهُ﴾ من بعد ما عرفها، أوتمكن من معرفتها ﴿فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقابِ﴾ له، أولمن عصاه ﴿زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا الْحَياةُ الدُّنْيا﴾ حسّنها الشيطان في أعينهم، وحبّبها إليهم، فلا يريدون غيرها، أوزينها اللّه بخلق المشتهيات فيها والشهوة فيهم، إذ التكليف إنما يتم بها ﴿ويَسْخَرُونَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ يهزئون بهم لفقرهم، أولزهدهم في الدنيا، و(من) للابتداء ﴿والَّذِينَ اتَّقَوْا﴾ عبّر بهم عن الذين آمنوا ليفيد أنهم متقون، وإن استعلاءهم بالتقوى ﴿فَوْقَهُمْ يَوْمَ الْقِيامَةِ﴾ لأنهم في (عليين) وهم في (سجّين) أولأنهم في كرامة وهم في هوان، أولاستطالتهم عليهم فيسخرون منهم كما سخروا منهم في الدنيا ﴿واللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشاءُ﴾ في الدارين ﴿بِغَيْرِ حِسابٍ﴾ بغير تقدير، فيوسع في الدنيا إستدراجاً تارة وابتلاءً أخرى، ويعطي

---

(١) التقريع: ما يوجه الى شخص من لومٍ عنيف على أمرٍ فَعَله بنية إصلاحه.

أهل الجنة ما لا يحصى﴿ كانَ النَّاسُ ﴾ من بين آدم ونوح، أوأهل السفينة﴿ أُمَّةً واحدَةً﴾ قبل نوح على مذهب واحد، فاختلفوا ﴿ فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ ومُنْذِرِينَ﴾ وعن الصادق (ع): (كان هذا قبل نوح، قيل: أعلى هدىً كانوا أم على ضلالة؟ قال: بل كانوا ضلالاً، لا مؤمنين ولا كافرين ولا مشركين، فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين، ليتخذ عليهم الحجة ـ كما عن الصادق (ع)ـ ﴿ وأنزلَ مَعَهُمُ الْكتابَ﴾ جنسه، أي: مع بعضهم لا مع كل واحد، ولا خلاف بيننا أن عددهم مائة وأربعة وعشرون ألفاً لكلٍ منهم وصي، قيل: الرسل منهم ثلاثمائة وثلاثة عشر، والمسمى[1] في القرآن ثمانية وعشرون ﴿ بالْحَقِّ﴾ متلبساً، به حال من الكتاب﴿ ليَحْكُمَ﴾ الله أوالكتاب ﴿ بَيْنَ النَّاسِ فيمَا اخْتَلَفُوا فيه ومَا اخْتَلَفَ فيه﴾ في الحق، أوالكتاب ﴿ إلاَّ الَّذينَ أُوتُوهُ﴾ أعطوا العلم به، إذ جعلوا المزيل للإختلاف سبباً لحصوله ﴿ منْ بَعْدِ ما جاءَتْهُمُ الْبيِّناتُ بَغْياً﴾ ظلماً، وطلباً للرياسة ﴿ بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللَّهُ الَّذينَ آمَنُوا لمَا اخْتَلَفُوا فيه منَ الْحَقِ﴾ بيان لـ(ما)﴿ بإذْنه﴾ بلطفه وأمره﴿ واللَّهُ يَهْدي مَنْ يَشاءُ إلَى صراطٍ مُسْتَقيمٍ﴾ موصل إلى النجاة ﴿ أمْ حَسِبْتُمْ أنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ ﴾ (أم) منقطعة، وهمزتها للإنكار إستبعاد، لمّا ذكر اختلاف الأمم على أنبيائهم تشجيعاً للنبي (ص)، والمؤمنين على الصبر مع مخالفيهم التفت إليهم بالخطاب ﴿ ولَمَّا يَأْتكُمْ﴾ نفيٌ مع توقع ﴿ مَثَلُ الَّذينَ خَلَوْا منْ قَبْلكُمْ﴾ أي: مثل حالهم في الشدة، فتصبروا كما صبروا﴿ مَسَّتْهُمُ الْبَأْساءُ والضَّرَّاءُ﴾ من القتل، والخروج عن الأهل والمال ﴿ وزُلْزِلُوا ﴾ أُزعجوا بأنواع البلاء﴿ حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ والَّذينَ آمَنُوا مَعَهُ﴾ لاستطالة زمان الشدة،

---

(١) الذين ذكروا بأسمائهم.

وفناء الصبر، ورفع نافع (يقول) حكايةً بحال ماضيه ﴿مَتى نَصْرُ اللهِ﴾ معناه: طلب النصر وتمنيه ﴿ألا إنَّ نَصْرَ اللهِ قَرِيبٌ﴾ إستئناف، أي: فقيل لهم ذلك إجابة لهم إلى طلبهم من عاجل النصر ﴿يَسْئَلُونَكَ ماذا يُنفِقُونَ﴾ روي: كان عمروبن الجموح شيخاً ذا مال، فقال للنبي (ص): بمَ أتصدق؟ وعلى مَن أتصدق؟ فنزلت، وكان المراد: ما ينفقون على الوجه الكامل، فدخل المصرف بقرينة سؤال عمرو ﴿قُلْ ما أنفَقْتُمْ مِنْ خَيْرٍ﴾ أيّ مال، بيان للمنفَق ﴿فَلِلْوالِدَيْنِ والأَقْرَبِينَ والْيَتامى والْمَساكِينِ وابْنِ السَّبِيلِ﴾ بيان للمصرَف ﴿وما تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ﴾ شرط جوابه ﴿فَإِنَّ اللهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾ لا يضيعه، قيل: منسوخة بفرض الزكاة، وقيل: لا نسخ لجواز إعطائها المذكورين لا على وجه النفقة، وقد تحمل على الإنفاق الواجب والمندوب، أوالمندوب فقط.

[سورة البقرة الآيات ٢١٦- ٢١٩]

كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢١٦﴾ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ ۖ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ ۖ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَكُفْرٌۢ بِهِۦ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِۦ مِنْهُ أَكْبَرُ عِندَ ٱللَّهِ ۚ وَٱلْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ ٱلْقَتْلِ ۗ وَلَا يَزَالُونَ يُقَـٰتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ ٱسْتَطَـٰعُوا۟ ۚ وَمَن

يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُوْلَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢١٧﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢١٨﴾ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ ۖ قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَآ أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا ۗ وَيَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ ٱلْعَفْوَ ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١٩﴾

﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتالُ وهُوَ كُرْهٌ لَكُمْ﴾ صعبٌ عليكم، مكروهٌ طبعاً، وصف بالمصدر مبالغةً ﴿وعَسى أنْ تَكْرَهُوا شَيْئاً﴾ طبعاً في الحال ﴿وهُو خَيْرٌ لَكُمْ﴾ في المآل، إذ فيه الظفر والشهادة، وهكذا أكثر ما كلفوا به، فإن الطبع يكرهه وهو سبب صلاحهم ﴿وعَسى أنْ تُحِبُّوا شَيْئاً﴾ في الحال كترك الجهاد حباً للحياة ﴿وهُو شَرٌّ لَكُمْ﴾ إذ فيه الذل وحرمان الأجر وإن أجل الله لآت لا محالة، وهكذا أكثر ما نهوا عنه فإن النفس تحبه وتهواه وهو يفضي إلى الردى،[(١)] وإنما ذكر (عسى) لأن النفس إذا ارتاضت ينعكس الأمر عليها ﴿واللَّهُ يَعْلَمُ﴾ ما هو خير لكم ﴿وأَنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ﴾ ذلك ﴿يَسْئَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرامِ﴾ قيل: بعث (ص) عبد

---

(١) الهلاك.

الرحمن بن جحش على سرية، فغنموا عِيْراً[١] لقريش فيها عمروبن عبد اللّه الحضرمي فقتلوه، وأسروا اثنين وكان ذلك غرّة[٢] رجب وهم يرونه من جمادي، فقالت قريش: إستحل محمد (ص) الشهر الحرام، وكتبوا يسألونه عن ذلك تشنيعاً[٣] وشقّ على أهل السرية وقالوا: ما نبرح حتى تنزل توبتنا، فنزلت، وردّ (ص) العِيْر، وروي أنه أخذها وهي أول غنيمة في الإسلام ﴿قتالٍ فيه﴾ بدل اشتمالٍ من (الشهر) ﴿قُلْ قِتالٌ فيهِ كَبِيرٌ﴾ ذنب عظيم، قيل: نسخه (فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم)[٤] وردّ ببقاء بعض أحكامه، وبرجحان التخصيص على النسخ ﴿وصَدٌّ﴾ منع ﴿عَنْ سَبِيلِ اللّهِ﴾ طاعته، أوالإسلام ﴿وكُفْرٌ بهِ﴾ أي باللّه ﴿والْمَسْجِدِ الْحَرامِ﴾ قيل: عطف على (سبيل اللّه) ويرده عطف (وكفر)على ﴿صد﴾ لفصله بين الموصول والصلة، وقيل: على الهاء في (به) ولعل الكفر به عدم احترامه ﴿وإِخْراجُ أَهْلِه﴾ أهل المسجد وهم: النبي (ص) والمؤمنون ﴿مِنْهُ أَكْبَرُ عِنْدَ اللّهِ﴾ أعظم وزراً مما فعلته السرية خطأً، وهو خبر للأربعة المذكورة ﴿والْفِتْنَةُ﴾ أي: الكفر والإخراج ﴿أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ﴾ أي: قتل عمرو ﴿ولا يَزالُون﴾ أي: الكفار ﴿يُقاتِلُونَكُمْ﴾ لدوام عداوتهم لكم ﴿حَتّى﴾ كي ﴿يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطاعُوا﴾ إستبعادٌ لاستطاعتهم ﴿ومَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَيَمُتْ وهُوَ كافِرٌ فَأُولئِكَ حَبِطَتْ أَعْمالُهُمْ

---

(١) العِيْر(بكسر العين وسكون الياء): القافلة من الجمال التي يحمل عليها الطعام ونحوه.

(٢) غُرّة رجب: أي أوله ، لأن غرة كل شيءٍ أوله.

(٣) إساءة للسمعة وإذاعة للسوء.

(٤) سورة التوبة الآية ٥.

فِي الدُّنيا﴾ لما يفوتهم من ثمرات الإسلام﴿ وَ﴾ في﴿ الآخِرَةِ﴾ لما يفوتهم من الثواب، وهوصريح في ثبوت الاخبار بالردّة مع الموت عليها إذ الموافاة بالإيمان شرط في استحقاق الثواب ﴿ أُولئِكَ أَصْحابُ النَّارِ هُمْ فِيها خالِدُونَ﴾ كسائر الكفار ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هاجَرُوا وَجاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ قيل ظن قوم ان السرية إن سلموا من الإثم فليس لهم أجر، فنزلت ﴿ أُولئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ﴾ أي: هؤلاء الذين يحق لهم الرجاء ﴿ وَاللَّهُ غَفُورٌ﴾ لذنوبهم ﴿ رَحِيمٌ﴾ بهم ﴿ يَسْئَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ ﴾ وهوكل شراب مسكر، وفي حكمه: الفقاع[1] للسنة، هو-في الأصل-مصدر خمره أي: ستره، لأنه يستر العقل﴿ وَالْمَيْسِرِ﴾ مصدر كـ(الموعد) سمي به القمار لأنه أخذُ مالِ الغير ميسراً، أوسلب يساره، أي: يسألونك عن تعاطيهما﴿ إِثْمٌ كَبِيرٌ ﴾ لأنهما مفتاح كل شر، يؤديان إلى ارتكاب سائر المحرمات وترك الواجبات ﴿ وَمَنافِعُ لِلنَّاسِ﴾ من كسب المال واللذة والطرب والقوة﴿ وَإِثْمُهُما﴾ عقابهما الأخروي الدائم، ومفاسدهما الدنيوية﴿ أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِما﴾ الدنيوي القليل الزائل، وعن الصادق (ع): (إن الخمر رأس كل اثم ومفتاح كل شر)، وقال (ع): (ان اللّه جعل للشر أقفالاً، فجعل مفاتيحها الشراب)، وقال الرضا (ع): (ما بعث اللّه نبياً إلا بتحريم الخمر وان يقرّ للّه بالبداء)[2] ﴿ وَيَسْئَلُونَكَ ما ذا يُنْفِقُونَ﴾ قيل: سائله عمروبن الجموح سأل أولاً عن المنفَق والمصرَف، وثانياً عن كيفية الإنفاق ﴿ قُلِ الْعَفْوَ﴾ الوسط بين الإسراف والإقتار، أو ما فضل عن قوت السنة، أو أطيب المال، أو ما سهل إنفاقه ﴿كَذلِكَ﴾ التبيين لأمر النفقة والخمر والميسر، ووحد العلامة والمخاطب جمع على

---

(١) الفقاع: شراب يصنع من الشعير، سمي بذلك لأنه يخمّر حتى تعلوفقاعاته.

(٢) البداء عقيدة تنفرد بها الشيعة الإمامية مفادها ان الله تعالى قد يبدي للخلق شيئاً ثم يظهر لهم خلافه لمصلحة يعلمها سبحانه.

تاويل (القبيل) ومحل الكاف النصب صفة لمصدر محذوف أي: ﴿يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الآياتِ﴾ الحجج تبيناً مثل ذلك التبين ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾ فيؤثرون أبقاهما وأكثرهما نفعاً.

[سورة البقرة الآيات ٢٢٠- ٢٢٤]

فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۗ وَيَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡيَتَٰمَىٰۖ قُلۡ إِصۡلَاحٞ لَّهُمۡ خَيۡرٞۖ وَإِن تُخَالِطُوهُمۡ فَإِخۡوَٰنُكُمۡۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ ٱلۡمُفۡسِدَ مِنَ ٱلۡمُصۡلِحِۚ وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَعۡنَتَكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ﴿٢٢٠﴾ وَلَا تَنكِحُواْ ٱلۡمُشۡرِكَٰتِ حَتَّىٰ يُؤۡمِنَّۚ وَلَأَمَةٞ مُّؤۡمِنَةٌ خَيۡرٞ مِّن مُّشۡرِكَةٖ وَلَوۡ أَعۡجَبَتۡكُمۡۗ وَلَا تُنكِحُواْ ٱلۡمُشۡرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤۡمِنُواْۚ وَلَعَبۡدٞ مُّؤۡمِنٌ خَيۡرٞ مِّن مُّشۡرِكٖ وَلَوۡ أَعۡجَبَكُمۡۗ أُوْلَٰٓئِكَ يَدۡعُونَ إِلَى ٱلنَّارِۖ وَٱللَّهُ يَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱلۡجَنَّةِ وَٱلۡمَغۡفِرَةِ بِإِذۡنِهِۦۖ وَيُبَيِّنُ ءَايَٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمۡ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٢١﴾ وَيَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡمَحِيضِۖ قُلۡ هُوَ أَذٗى فَٱعۡتَزِلُواْ ٱلنِّسَآءَ فِي ٱلۡمَحِيضِ وَلَا تَقۡرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطۡهُرۡنَۖ فَإِذَا تَطَهَّرۡنَ فَأۡتُوهُنَّ مِنۡ حَيۡثُ أَمَرَكُمُ ٱللَّهُۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلۡمُتَطَهِّرِينَ ﴿٢٢٢﴾ نِسَآؤُكُمۡ حَرۡثٞ لَّكُمۡ فَأۡتُواْ حَرۡثَكُمۡ أَنَّىٰ شِئۡتُمۡۖ وَقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُمۡۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّكُم

مُّلَٰقُوهُۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٢٣﴾ وَلَا تَجْعَلُوا۟ ٱللَّهَ عُرْضَةً لِّأَيْمَٰنِكُمْ أَن تَبَرُّوا۟ وَتَتَّقُوا۟ وَتُصْلِحُوا۟ بَيْنَ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٢٤﴾

﴿فِي الدُّنيا والآخرَةِ ويَسئَلُونَكَ عَنِ اليَتامى﴾ عن الصادق (ع): لما نزلت (ان الذين يأكلون اموال اليتامى ظلماً)[1] أخرج كل من كان عنده يتيم، وسألوا رسول الله (ص) في إخراجهم، فنزلت، وعن الباقر (ع): لما نزلت(وآتوا اليتامى أموالهم)[2] كرهوا مخالطة اليتامى، فشق ذلك عليهم، فشكوا إلى رسول اللّه (ص)، فنزلت ﴿قل إِصْلاحٌ لَهُمْ﴾ أي: مداخلتهم لإ صلاحهم ﴿خَيرٌ﴾ من مجانبتهم ﴿وإنْ تُخالِطُوهُمْ﴾ وتعاشروهم ﴿فَإِخْوانُكُمْ﴾ أي: فإنهم إخوانكم ﴿في الدين﴾ ومن حق الأخ أن يخالط أخاه ﴿واللّهُ يَعْلَمُ المُفسدَ مِنَ المُصْلِحِ﴾ لا يخفى عليه من داخَلَهم بإفساد وإصلاح، فيجازيه بفعله ﴿ولَوشاءَ اللّهُ لأَعْنَتَكُمْ﴾ لحملكم على العنت وهو: المشقة، ولم يطلق مداخلتهم ﴿إنّ اللّهَ عَزِيزٌ﴾ غالب قادر على ما يشاء ﴿حَكِيمٌ﴾ يفعل ما توجبه الحكمة، عن الباقر والصادق (ع) قالا: (تخرج من أموالهم قدر ما يكفيهم، وتخرج من مالك قدر ما يكفيك، ثم تنفقه، قيل: أ رأيت إن كانوا يتامى صغاراً وكباراً، وبعضهم أكل من بعض ومالهم جميعاً؟ فقال: اما الكسوة فعلى كل انسان منهم كسوته، واما الطعام فاجعلوه جميعاً، فإن الصغير يوشك أن يأكل مثل الكبير)، وفي رواية: (ولا يرزأنّ[3] من أموالهم شيئاً إنما هي النار) ﴿ولا تَنْكِحُوا

---

(١) سورة النساء الآية ١٠.

(٢) سورة النساء الآية ٢.

(٣) الرزء (بضم الراء وسكون الزاي) هوالمصيبة، والمراد هنا برزء مال اليتيم هوأن يصاب منه شيئاً فينقص.

﴿الْمُشْرِكَاتِ﴾ لا تتزوجوا الكافرات ﴿حَتَّى يُؤْمِنَّ وَلَأَمَةٌ﴾ مملوكة ﴿مُؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكَةٍ﴾ حرّة ﴿وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ﴾ المشركة لجمالها، أو مالها، و(لو) بمعنى إن ﴿وَلَا تُنْكِحُوا الْمُشْرِكِينَ﴾ لا تزوجوهم المؤمنات ﴿حَتَّى يُؤْمِنُوا وَلَعَبْدٌ﴾ مملوك ﴿مُؤْمِنٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكٍ﴾ حرّ ﴿وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ﴾ ماله، أوجماله، وتفسير (الأمة) و(العبد) بما يعم الأحرار، لأن الناس إماء الله وعبيده، خلاف الظاهر مع تفويت المبالغة ﴿أُولَئِكَ﴾ إشارة إلى المشركين والمشركات ﴿يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ﴾ أي: الكفر المؤدي إلى دخولها، فحقهم أن لا يواصَلوا ﴿وَاللَّهُ يَدْعُوا إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ﴾ إلى ما يوجبهما ﴿بِإِذْنِهِ﴾ بأمره وتوفيقه ﴿وَيُبَيِّنُ آيَاتِهِ﴾ حججه، أوأوامره ونواهيه ﴿لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ أي: لكي يعلموا ويتذكروا، في تفسير القمي والنعماني هي منسوخة بقوله تعالى في سورة المائدة (اليوم أحل لكم الطيبات) إلى قوله(والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب)[١] فنسخت هذه الآية (ولا تنكحوا المشركات) وترك قوله (ولا تنكحوا المشركين) على حاله لم ينسخ، لأنه لا يحل للمسلم أن ينكح المشرك، ويحل له أن يتزوج المشركة من اليهود والنصارى ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ﴾ مصدر كـ(المبيت) قيل: كانوا في الجاهلية لم يؤاكلوا الحائض ولم يساكنوها ـ كفعل اليهود ـ فسئل عن ذلك، فنزلت ﴿قُلْ هُوَ﴾ أي: الحيض ﴿أَذًى﴾ قذر مؤذٍ من يَقربه نفرة فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ﴾ اسم زمان، أومكان، أي اجتنبوا مجامعتهن في الفرج زمان الحيض، أوفي مكانه ﴿وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ﴾ بالجماع، تأكيد للحكم ﴿حَتَّى يَطْهُرْنَ﴾ بيان غايته، وشدّده حمزة

(١) سورة المائدة الآية ٥.

والكسائي، أي: يغتسلن فيحرم الوطي قبل الغسل، وخففه الباقون أي: ينقين فلا يحرم قبله، وهوالأصح، وجمع بين القراءتين بحمل (تطهر) على معنى: طهر لوروده لغة كـ(تبين) بمعنى: بان وكذا ﴿فَإِذا تَطَهَّرْنَ﴾ أي: طهرن، أوغسلن الفرج حملاً على المعنى اللغوي ﴿فَأْتُوهُنَّ﴾ للإباحة بالمعنى الأخص، أوالأعم المجامع للاحكام الأربعة ﴿مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ﴾ أي: اطلبوا الولد من حيث أمركم الله ـ كما عن الصادق (ع) ـ أومن قبل الطهر لا الحيض، أومن قبل النكاح لا الفجور، سئل الصادق (ع) ما لصاحب المرأة الحائض منها؟ فقال: كل شيء ما عدا القبل بعينه، وفي رواية: (فليأتها حيث شاء ما اتقى موضع الدم)، وعنه (ع) في المرأة ينقطع عنها دم الحيض في آخر أيامها قال: (إذا أصاب زوجها شبق[1] فلتؤمر فلتغسل فرجها إن شاء قبل أن تغتسل) وفي رواية: (والغسل أحب إليّ) وسئل: إذا تيممت من الحيض هل لزوجها؟ قال: نعم يعني، بعد ما طهرت ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ﴾ من الذنوب، أوالكبائر ﴿وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾ بالماء، أومن الصغائر، عن الصادق (ع): (كان الناس يستنجون بالكرسف[2] والأحجار، ثم أحدث الوضوء وهوخلق كريم، فأمر به رسول الله (ص) وصنعه، فنزلت) ﴿نِساؤُكُمْ حَرْثٌ﴾ مواضع حرث ﴿لَكُمْ﴾ شَبَّه ما يُلْقى في أرحامهن بالبذر ﴿فَأْتُوا حَرْثَكُمْ﴾ أي: فأتوهن كما تأتون المحارث ﴿أَنَّى﴾ متى ﴿شِئْتُمْ﴾ في الفرج، أومن أي جهة شئتم، روي: أن اليهود كانوا يقولون: من جامع امرأته من دبرها في قبلها كان ولدها أحول، فذكر ذلك لرسول الله (ص)، فنزلت، فتدل على المنع من إتيانهن دبراً، وقيل: من أين شئتم، فيدل على الجواز ـ كما ذهب

---

(١) الشبق: هوشدة الشهوة الجنسية.

(٢) الكُرْسُف: أي القطن.

إليه مالك وجملة من الأصحاب ـ ﴿ وَقَدِّمُوا لأَنفُسِكُمْ ﴾ ما يدّخر لكم من الثواب، أوطلب الولد، أوالتسمية على الوطء ﴿ واتَّقُوا اللَّهَ﴾ بترك معاصيه ﴿ واعْلَمُوا أَنَّكُمْ مُلاقُوهُ﴾ أي: ملاقوجزاءه﴿ وبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ بالثواب، أوالجنة، وعن الصادق (ع): في قوله (فأتوا حرثكم أنّى شئتم) فقال: من قدامها، أومن خلفها في القبل، وعن الرضا (ع): (أنّى شئتم) يعني: من خلف وقدام خلافاً لقول اليهود، ولم يعن في أدبارهن، وفي أخرى أي: أيّ ساعة شئتم، وفي آخر: سألت عمّن أتى جاريته في دبرها؟ والمرأة لعبة لا تؤذى وهي حرث[1] ﴿ ولا تَجْعَلُوا اللَّهَ﴾ قيل: نزلت في عبد الله بن رواحة، حلف أن لا يكلم ختنيه[2] ولا يصلح بينه وبين أخيه ﴿عُرْضَةً ﴾ معرضاً ﴿ لأَيْمانِكُمْ﴾ فتبتذلوه بكثرة الحلف به، كما في قوله (ولا تطع كل حلاّف مهين)[3] ﴿ أَنْ تَبَرُّوا وتَتَّقُوا وتُصْلِحُوا﴾ علة للنهي، أي: أنهاكم عنه إرادة بركم وتقواكم وإصلاحكم ﴿بَيْنَ النَّاسِ﴾ فإن الحلاف مجترٍ على الله، فلا يكون براً متقياً، ولا مصلحاً ذات البين[4]، وقيل: المعنى: لا تجعلوا الله حاجزاً لما حلفتم عليه، فيكون الإيمان بمعنى المحلوف عليه، و(ان تبروا) عطف بيان لها، و(اللاّم) متعلق بـ(تجعلوا)، أوبـ(عرضة) فيفيد عدم انعقاد الحلف على المرجوح، والكل مروي، فعن

---

(١) وردت هكذا في النسخة الخطية والذي يبدوانه سقط منها(فقال)فتكون العبارة هكذا :«فقال المرأة ....».

(٢) الخَتَن: كل من كان من جهة الزوجة كأبيها وأخيها.

(٣) سورة القلم الآية ١٠.

(٤) ذات البين: العداوة والخصومة، سميت بذلك لأنها تسبب البين وهوالهجر والفراق، وعلى هذا يكون معنى: اصلاح ذات البين هو: الاصلاح ين المتخاصمين.

الصادق (ع) في الآية قال: (إذا دعيت لصلح بين اثنين، فلا تقل:عليّ يمين أن لا أفعل) وعنه (ع): هو قول الرجل في كل حالة لا والله وبلى والله، وعنه (ع) لا تحلفوا بالله صادقين ولا كاذبين، فإن الله يقول (ولا تجعلوا الله عرضة لإيمانكم)، ونحوه غيره وفي آخر يعني الرجل يحلف أن لا يكلم أخاه، وما أشبه ذلك، ولا يكلم أمه ﴿ والله سميعٌ ﴾ لأيمانكم ﴿ عليمٌ ﴾ بنياتكم.

[سورة البقرة الآيات ٢٢٥- ٢٣٠]

لَّا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ فِيٓ أَيْمَـٰنِكُمْ وَلَـٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿٢٢٥﴾ لِّلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ ۖ فَإِن فَآءُو فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٢٦﴾ وَإِنْ عَزَمُوا۟ ٱلطَّلَـٰقَ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٢٧﴾ وَٱلْمُطَلَّقَـٰتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَـٰثَةَ قُرُوٓءٍ ۚ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَن يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِيٓ أَرْحَامِهِنَّ إِن كُنَّ يُؤْمِنَّ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ ۚ وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِي ذَٰلِكَ إِنْ أَرَادُوٓا۟ إِصْلَـٰحًا ۚ وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٢٨﴾ ٱلطَّلَـٰقُ مَرَّتَانِ ۖ فَإِمْسَاكٌۢ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌۢ بِإِحْسَـٰنٍ ۗ وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَأْخُذُوا۟ مِمَّآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ شَيْـًٔا إِلَّآ أَن

تَخَافَآ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِۖ فَإِنۡ خِفۡتُمۡ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡهِمَا فِيمَا ٱفۡتَدَتۡ بِهِۦۗ تِلۡكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَعۡتَدُوهَاۚ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٢٩﴾ فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُۥ مِنۢ بَعۡدُ حَتَّىٰ تَنكِحَ زَوۡجًا غَيۡرَهُۥۗ فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡهِمَآ أَن يَتَرَاجَعَآ إِن ظَنَّآ أَن يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِۗ وَتِلۡكَ حُدُودُ ٱللَّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ ﴿٢٣٠﴾

﴿لا يُؤاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ﴾ الساقط الذي لا يعتد به الكائن ﴿فِي أَيْمانِكُمْ﴾ أي: لا يؤاخذكم بما لا قصد معه ولا عقد، كالملفوظ لسبق اللسان به، أوللجهل بمعناه كـ(لا والله) و(بلى والله) ـ كما عن الباقر والصادق (ع)ـ ﴿وَلكِنْ يُؤاخِذُكُمْ بِما كَسَبَتْ﴾ قصدت ﴿قُلُوبُكُمْ﴾ من الإيمان، وواطأت فيها ألسنتكم ﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ﴾ للذنوب ﴿حَلِيمٌ﴾ لا يعجل بالعقوبة ﴿لِلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِنْ نِسائِهِمْ﴾ يحلفون أن لا يطئوهن مطلقاً، أو أزيد من أربعة أشهر، وعدّي بـ(من) دون (إلى) لتضمنه معنى البعد ﴿تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ﴾ مبتدأ خبره(للذين) أضيف إلى الظرف إتساعاً أي: للمولى حق الانتظار في هذه المدة، وفي أن ابتداءها حين الإيلاء[1]، أوالحكم قولان

(١) الإيلاء: أن يحلف الزوج على أن لا يطأ زوجته مطلقاً أوأكثر من أربعة أشهر.

﴿ فَإِنْ فاؤُ﴾ رجعوا إلى مناكحتهن بالحنث[1] والكفارة ﴿ فَإِنَّ اللّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ لا يعاقبهم ﴿ وإِنْ عَزَمُوا الطَّلاقَ﴾ صمموا قصده وأوقعوه ﴿ فَإِنَّ اللّهَ سَمِيعٌ﴾ لطلاقهم ﴿ عَليمٌ﴾ بضمائرهم ﴿ والمُطَلَّقاتُ﴾ أي: الحرائر المدخول بهن من ذوات الإقراء۔ لدلالة الآيات والأخبار أن حكمهن خلاف ذلك ـ ﴿ يَتَرَبَّصْنَ﴾ معناه الأمر، والتعبير بالخبر للتأكيد أي: ينتظرن ﴿ بِأَنْفُسِهِنَّ﴾ بعث لهن على الصبر عن التزويج بقمع نفوسهن الطوامح إلى الرجال ﴿ ثَلاثَةَ ﴾ مفعول به، أوظرف ﴿ قُرُوءٍ﴾ جمع (قرء) للطهر والحيض بالإشتراك، أوالحقيقة والمجاز، وعن الباقر (ع): الإقراء هي: الأطهار وعن الصادق (ع): القرء: جمع الدم بين الحيضتين، ونحوه غيره، وذكر (القرء) وهوللكثرة والمقام للقلة وصيغتها (الإقراء) لاتساعهم في ذلك باستعمال كل من البنائين مكان الآخر، أوأوثر لكثرة استعماله ﴿ ولا يَحِلُّ لَهُنَّ أَنْ يَكْتُمْنَ ما خَلَقَ اللّهُ فِي أَرْحامِهِنَّ﴾ من الحبل والحيض ـ كما عن الصادق (ع)ـ استعجالاً في العدّة وإبطالاً لحق الرجعة، ويفيد قبول قولها في ذلك ﴿ إِنْ كُنَّ يُؤْمِنَّ بِاللّهِ والْيَوْمِ الآخِرِ﴾ أي كمال الإيمان يمنع من الكتمان، وليس الفرض اشتراط تحريمه به ﴿ وبُعُولَتُهُنَّ﴾ أي: أزواج المطلقات، جمع (بعل) و(التاء) لتأنيث الجمع كـ(العمومة) و(الخؤولة) أومصدر من قولك (بعل حسن البعولة) نعت به، وأقيم مقام المضاف المحذوف أي: واهل بعولتهن، والضمير للرجعيات، فهوأخص من المرجع، ويمكن تخصيص المرجع به ﴿ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ﴾ إلى النكاح والرجعة إليهن فـ(أفعل) بمعنى الفاعل ﴿ فِي ذلِكَ﴾ في زمان التربص ﴿ إِنْ أَرادُوا﴾ بالرجعة ﴿ إِصْلاحاً ﴾ حث على قصد

---

(١) الحِنْث (بكسر الحاء وسكون النون): هوعدم الوفاء باليمين.

الإصلاح لهن ومنع من الضرر، لا شرط للرجعة لصحتها مع قصد الضرار إجماعاً ـ وإن حرم ـ ﴿ ولَهُنَّ﴾ على الرجال من الحقوق ﴿ مِثْلُ الَّذي﴾ لهم ﴿ عَلَيْهِنَّ﴾ في الوجوب، لا في الجنس ﴿ بِالْمَعْرُوفِ﴾ بالوجه الذي لا ينكر شرعاً وعرفاً ﴿ ولِلرِّجالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ﴾ شرف وفضيلة، إذ يشاركنهم في اللذة ويفضلونهن بالقيام عليهن والرعاية لهن، أو زيادة في الحق، سئل الصادق (ع): عن حق المرأة على زوجها؟ قال: يشبع بطنها، ويكسوجثتها، وإن جهلت غفر لها، وسألت امرأة النبي (ص): ما حق الزوج على المرأة؟ فقال : أن تطيعه ولا تعصيه، ولا تتصدق من بيته بشيء إلاّ بإذنه، ولا تصوم تطوعاً إلاّ بإذنه، ولا تمنعه نفسها وإن كانت على ظهر قتب[1] ولا تخرج عن بيتها إلا بإذنه فإن خرجت بغير إذنه لعنتها ملائكة السماء وملائكة الأرض وملائكة الغضب وملائكة الرحمة حتى ترجع إلى بيتها، قالت: فما لي من الحق عليه مثل ما له؟ قال: لا ولا من كل مائة واحدة ﴿ واللَّهُ عَزِيزٌ﴾ يقدر على الإنتقام ممن خالف الأحكام ﴿ حَكِيمٌ﴾ يشرعها لمصالح وحكم﴿ الطَّلاقُ مَرَّتانِ﴾ أي: التطليق الشرعي: تطليقة بعد تطليقة ـ على التفريق لا الجمع ـ ولم يرد التثنية، أوالتطليق الرجعي إثنتان لما روي أنه (ص) سئل: أين الثالثة؟ فقال (ص): أوتسريح بإحسان ﴿ فَإِمْساكٌ بِمَعْرُوفٍ﴾ أي: بالمراجعة وحسن المعاشرة ﴿ أَوتَسْرِيحٌ بِإِحْسانٍ﴾ بأن يطلقها الثالثة بعد الرجعة ـ كما مرّ في الخبر ـ بأن لا يراجعها حتى تبين منه وتخرج من العدة ـ كما روي عنهم (ع)ـ ﴿ ولا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَأْخُذُوا مِمَّا آتَيْتُمُوهُنَّ ﴾ من المهور﴿ شَيْئاً﴾ قيل: كانت زوجة ثابت بن قيس تبغضه، فقالت

(١) القَتَب ـ هنا ـ بمعنى الرحل الذي يوضع فوق البعير.

للنبي (ص) لا أنا ولا ثابت لا يجمع رأسي ورأسه شيء فنزلت، واختلعت منه بحديقة[١] أصدقها إيّاها، والخطاب للحكام، وأسند الأخذ والإعطاء إليهم لأنهما بأمرهم، أو للأزواج وما بعده للحكام ﴿إلاَّ أنْ يَخافا﴾ أي الزوجان ﴿ألاَّ يُقيما حُدُودَ اللَّه﴾ ترك إقامة أحكامه من لوازم الزوجية، وبنى حمزة (يخافا) للمفعول فإن صلتها بدل اشتمال من الضمير ﴿فَإنْ خِفتُمْ﴾ أيها الحكام أن لا يقيما حدود اللّه ﴿فَلا جُناحَ عَلَيْهِما فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ﴾ نفسها واختلعت منه ـ ولوبأزيد من المهر ـ لعموم (ما) وعليه الأصحاب في الخلع، ومنعوا من الزائد في المباراة للأخبار المخصصة للآية، والمعنى: لا إثم عليه في الأخذ، ولا عليها في الإعطاء ـ وإن أثمت في إظهار الكراهة ـ ﴿تِلْكَ﴾ الأحكام المذكورة ﴿حُدُودُ اللَّه فَلا تَعْتَدُوها﴾ تتجاوزوها بالمخالفة ﴿ومَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّه فَأُولئكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ عقب النهي بالوعيد مبالغةً في التهديد ﴿فَإنْ طَلَّقَها﴾ يعني: التطليقة الثالثة ـ كما عن الباقر والعسكري (ع) ـ ﴿فَلا تَحِلُّ لَهُ مِنْ بَعْدُ﴾ ذلك الطلاق ﴿حَتَّى تَنْكِحَ﴾ تتزوج ﴿زَوْجاً غَيْرَهُ فَإنْ طَلَّقَها﴾ الثاني ﴿فَلا جُناحَ عَلَيْهِما أنْ يَتَراجَعا﴾ أي: يرجع كلٌّ منهما إلى الآخر بالزواج ﴿إنْ ظَنَّا أنْ يُقِيما حُدُودَ اللَّه﴾ ما شرعه من لوازم الزوجية وعبّر بـ(الظن) إذ لا يعلم العواقب إلاّ اللّه، فليس المراد به العلم، لمنافاة (أن) الناصبة له ﴿وتِلْكَ﴾ الأحكام المذكورة ﴿حُدُودُ اللَّه يُبَيِّنُها لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ للعلماء المنتفعين بالبيان، وتدل على عدم إعتبار تزويج المتعة إذ ليس فيها طلاق ـ كما عن الصادق (ع) ـ وعنه (ع) في الرجل يطلق امرأته الطلاق الذي لا تحل له حتى تنكح زوجاً غيره، ثم تزوج رجلاً ولم يدخل بها قال: لا حتى يذوق عسيلتها.

---

(١) الحديقة: كل أرض ذات شجرٍ مثمرٍ ونخل أحاط به حاجز.

[سورة البقرة الآيات ٢٣١ - ٢٣٣]

وَإِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍۚ وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِّتَعْتَدُوا۟ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُۥۚ وَلَا تَتَّخِذُوٓا۟ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ هُزُوًاۚ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَآ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْحِكْمَةِ يَعِظُكُم بِهِۦۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٣١﴾ وَإِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَن يَنكِحْنَ أَزْوَٰجَهُنَّ إِذَا تَرَٰضَوْا۟ بَيْنَهُم بِٱلْمَعْرُوفِۗ ذَٰلِكَ يُوعَظُ بِهِۦ مَن كَانَ مِنكُمْ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِۗ ذَٰلِكُمْ أَزْكَىٰ لَكُمْ وَأَطْهَرُۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢٣٢﴾ وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِۖ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَۚ وَعَلَى ٱلْمَوْلُودِ لَهُۥ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِۚ لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَاۚ لَا تُضَآرَّ وَٰلِدَةٌۢ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَّهُۥ بِوَلَدِهِۦۚ وَعَلَى ٱلْوَارِثِ مِثْلُ ذَٰلِكَۗ فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَن تَرَاضٍ مِّنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَاۗ

وَإِنۡ أَرَدتُّمۡ أَن تَسۡتَرۡضِعُوٓاْ أَوۡلَٰدَكُمۡ فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡكُمۡ إِذَا سَلَّمۡتُم مَّآ ءَاتَيۡتُم بِٱلۡمَعۡرُوفِۗ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ﴿٢٣٣﴾

﴿ وإذا طَلَّقتُمُ النِساءَ فَبَلَغنَ أجَلَهُنَّ ﴾ الأجل يقال: للمدة، ولمنتهاها، والبلوغ للوصول إلى الشيء، وللدنومنه، فإن حمل الأجل على المعنى الأول، فالبلوغ على أصله، وإن حمل على الثاني، فالبلوغ على الاتساع، الدنوليترتب عليه ﴿ فَأمسكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ ﴾ راجعوهن من غير ضرار ﴿ أوسَرِّحُوهُنَّ بمَعْرُوف ﴾ اتركوهن حتى تنقضي عدتهن بلا ضرار، وكرر هذا الحكم للاهتمام ﴿ ولا تُمْسكُوهُنَّ ضِراراً ﴾ لا تراجعوهن طلب الإضرار بهن، أو مضرين، فنصب علّةً، أو حالاً، عن الصادق (ع) في الآية، قال: الرجل يطلق حتى إذا كادت أن يخلوا أجلها راجعها ثم طلقها، يفعل ذلك ثلاث مرات، فنهى الله عن ذلك، قيل: كان المطلق يترك المطلقة حتى تقارب الأجل، ثم يراجعها لتطول العدة عليها، وهو الضرار ﴿ لِتَعْتَدُوا ﴾ لتظلموهن، أوتلجؤهن إلى الإفتداء ﴿ ومَنْ يَفْعَلْ ذلكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ ﴾ بتعريضها للعقاب ﴿ ولا تَتَّخذُوا آيات اللّه هُزُواً ﴾ بالإعراض عنها، والتهاون في العمل بما فيها، وفي النهج: (من قرأ القرآن فمات فدخل النار فهو ممن كان يتخذ آيات اللّه هزواً) ﴿ واذْكُرُوا نِعْمَةَ اللّه عَلَيْكُمْ ﴾ بالإسلام وبمحمد (ص)، أوبما أباحه لكم من الأزواج والأموال، فقابلوها بالشكر ﴿ وما أنْزلَ عَلَيْكُمْ منَ الكتابِ والحكْمَة ﴾ فاعملوا بهما، وأفردهما بالذكر إظهاراً لشرفهما ﴿ يَعظُكُمْ بِهِ ﴾ بما أنزل عليكم ﴿ واتَّقُوا اللّهَ واعْلَمُوا أنَّ اللّهَ بكُلِّ شَيْءٍ عَليمٌ ﴾ تأكيد وتهديد ﴿ وإذا طَلَّقتُمُ النِساءَ فَبَلَغنَ أجَلَهُنَّ ﴾ انقضت عدتهن ﴿ فَلا تَعْضُلُوهُنَّ أنْ يَنْكِحْنَ أزْواجَهُنَّ ﴾ العضل: الحبس والتضييق، والخطاب عام أي: ليس لأحد

ذلك، أوللأزواج الذين يمنعون نساءهم بعد العدة عن التزويج ظلماً للحمية، لقوله (إذا طلقتم)، أو للأولياء لما روي: أن معقل بن يسار عضل أخته أن ترجع إلى زوجها بعقد جديد، وربما يستدل به على ثبوت الولاية على المرأة، إذ لو استقلت لم يكن لعضل الولي معنى، وردّ ـ بعد تسليم السبب ـ بمنع كون الأخ ولياً، ولو سلم لم يستلزم كون الخطاب للأولياء، ولو سلم لم يلزم من استقلالها عدم منع أحد لها ظلماً ﴿ إِذا تَراضَوْا بَيْنَهُمْ﴾ أي: الخطاب والنساء، ظرف لـ(أن ينكحن) أو(تعضلوهن) ﴿ بِالْمَعْرُوفِ﴾ ما يحسن في الدين والمروة من الشرائط، حال عن الواو، أوصفة مصدر محذوف، وتفيد جواز العضل عن غير الكفؤ﴿ ذلكَ﴾ المذكور، والخطاب للجمع على تأويل القبيل، أوكل واحد، أو للنبي (ص) ﴿ يُوعَظُ بِهِ مَنْ كانَ مِنْكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ والْيَوْمِ الآخِرِ﴾ لأنه المنتفع به ﴿ ذلِكُمْ ﴾ أي: عملكم بموجب ما ذكر ﴿ أَزْكى﴾ خير وأنفع ﴿لَكُمْ وأَطْهَرُ ﴾ من دنس الآثام﴿ واللَّهُ يَعْلَمُ ﴾ ما فيه من الصلاح﴿ وأَنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ﴾ ذلك لقصوركم﴿ والْوالِداتُ يُرْضِعْنَ أَوْلادَهُنَّ﴾ أمر عبر عنه بالخبر للمبالغة، ومعناه الندب، أوالوجوب فيخص بما إذا لم يرتضع الصبي إلاّ من أمه، أولم يوجد له ظئر،[1] أوعجز الوالد عن الاستئجار، و(الوالدات) تعم المطلقات وغيرهن، ويمكن أن يكون خبراً معنى، والمقصود بيان أن الوالدات أحق برضاع الولد من غيرهن، وليس للوالد أن يأخذهم فيهن، ويجعل غيرهن مرضعه إذا تبرعن أو رضين بما رضي به غيرهن، وعن الصادق (ع): لا تجبر الحرّة على إرضاع الولد، وتجبر أمّ الولد ﴿ حَوْلَيْنِ كامِلَيْنِ﴾ نعت لرفع احتمال التسامح

---

(١) أي: المرضعة.

﴿ لِمَنْ أَرادَ أَنْ يُتِمَّ الرَّضاعَةَ﴾ أي: هذا الحكم لمن أراد تمام الرضاع، أومتعلق (يرضعن) أي: لأجل أزواجهن، فان نفقة الولد على والده، وفيه تحديد لأقصى مدة الرضاع وتجويز للنقص عنه ﴿ وعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ﴾ أي: الأب إذ الولد يولد له، وعبر به إشارة إلى المعنى الموجب للإرضاع عليه ﴿ رِزْقُهُنَّ وكِسْوَتُهُنَّ ﴾ قيل يفيد: إجرة المثل للأم، وقيل: المراد به نفقة الزوجة، وقد يخص بالمطلقة ﴿ بِالْمَعْرُوفِ﴾ شرعاً وعرفاً بحسب وسعه ـ كما نبه عليه ـ ﴿ لا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إلاّ وُسْعَها﴾ فلا تُكَلَّف ما لا تطيقه ـ كما ثبت امتناعه عقلاً ـ بيان له أي: لا يكلف كل منهما الآخر ما ليس في وسعه﴿ لا تُضَارَّ والِدَةٌ بِوَلَدِها ولا مَوْلُودٌ لَهُ بِوَلَدِه﴾ ورفع ابن كثير وأبوعمرو(تضار) وأصله ـ على القراءتين ـ (تضارر) بالكسر والفتح بناء للفاعل أوالمفعول، أي: لا يضار كل منهما الآخر بالتعدي إلى ما لا يجوز بسبب الولد، وعلى الكسر جاز كونه بمعنى: يضر والباء صلته أي لا يضر الوالدان بالولد، فتنسى الأم تعهده، ويقصّر الأب في حقه، وإضافته إليها تارة وإليه أخرى، استعطاف لهما عليه، وحث على عدم التقصير في حقه، وسئل الصادق (ع) عن هذه الآية فقال: (كانت المراضع مما تدفع إحداهن الرجل إذا أراد الجماع، تقول: لا أدعك إني أخاف أن أحبل فأقتل ولدي، وكان الرجل تدعوه المرأة فيقول: أخاف أن أجامعك فأقتل ولدي، فنهى اللّه عن ذلك بأن يضار الرجل المرأة والمرأة الرجل، وعنه (ع): إذا طلّق الرجل امرأته وهي حبلى أنفق عليها حتى تضع حملها، وإذا رضعته أعطاها أجرها، ولا يضارها إلاّ أن يجد من هو أرخص أجراً منها، فإن هي رضيت بذلك الأمر فهي أحق بابنها حتى تفطمه ﴿ وعَلَى الْوارِثِ﴾ وارث المولود له بعد موته ﴿ مِثْلُ ذلِكَ﴾ الواجب على الأب المولد له، عن الباقر (ع) قال: (هو في النفقة على الوارث مثل ما على الولد) وقيل:

المراد بالوارث وارث الأب وهو الصبي، أي: مؤن[١] المرضعة من ماله إذا مات الأب، وقيل: الوارث الباقي من أبويه، وعليه مثل ذلك أي عدم المضارة بأنه إن كان للمولود مال عنده لا يقتر[٢] عليه وإلاّ أنفق عليه، وعن الصادق (ع): لا ينبغي للوارث أن يضار المرأة، فيقول: (لا أدع ولدها يأتيها) ويضار ولدها إن كان لهم عنده شيء فلا ينبغي أن يقتر عنه، وعنه (ع): أنه نهى أن يضار بالصبي، أويضار أمه في رضاعه، وليس لها أن تأخذ في رضاعه فوق حولين كاملين، وقضى علي (ع) في رجل توفي وترك صبياً واسترضع له إن له أجر رضاع الصبي مما يورث من أبيه وأمه ﴿ فَإِنْ أَرادا﴾ أي: الوالدان ﴿ فِصالاً﴾ فطاماً عن الرضاع قبل الحولين ـ كما عن الصادق (ع) ـ صادراً ﴿ عَنْ تَراضٍ مِنْهُما وتَشاوُرٍ﴾ مشتمل على مصلحة الطفل ﴿ فَلا جُناحَ عَلَيْهِما﴾ فيه، وهذه توسعة بعد التحديد، واشترط رضا الأب لولايته، والأم لأحقيتها بالتربية وهي أعلم بحال الصبي ﴿ وإِنْ أَرَدْتُمْ أَنْ تَسْتَرْضِعُوا﴾ المراضع ﴿ أَوْلادَكُمْ﴾ حذف أحد المفعولين للإستغناء عنه ﴿ فَلا جُناحَ عَلَيْكُمْ ﴾ فيه، يفيد أن للأب استرضاع غير الأم لكنه مقيد بعدم الإضرار بها﴿ إِذا سَلَّمْتُمْ﴾ إلى المراضع ﴿ ما آتَيْتُمْ﴾ ما أردتم إعطاءه، وقرأ ابن كثير (أتيتم) أي: فعلتم ﴿ بِالْمَعْرُوفِ﴾ شرعاً صلة (سلمتم) وجواب الشرط يعلم مما قبله، وليس التسليم شرطاً لجواز الاسترضاع بل أريد الحث على ما هوالأصلح للطفل ﴿ واتَّقُوا اللَّهَ ﴾ بالمحافظة على حدوده ـ سيما في أمر الأطفال والمراضعـ﴿ واعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِما تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ وعد ووعيد.

---

(١) المؤن جمع مؤنة: وهي التكاليف المالية .

(٢) لا يضيّق.

[سورة البقرة الآيات ٢٣٤- ٢٣٧]

وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا ۖ فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِىٓ أَنفُسِهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٣٤﴾ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُم بِهِۦ مِنْ خِطْبَةِ ٱلنِّسَآءِ أَوْ أَكْنَنتُمْ فِىٓ أَنفُسِكُمْ ۚ عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمْ سَتَذْكُرُونَهُنَّ وَلَٰكِن لَّا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا إِلَّآ أَن تَقُولُوا۟ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ۚ وَلَا تَعْزِمُوا۟ عُقْدَةَ ٱلنِّكَاحِ حَتَّىٰ يَبْلُغَ ٱلْكِتَٰبُ أَجَلَهُۥ ۚ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ فَٱحْذَرُوهُ ۚ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿٢٣٥﴾ لَّا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ مَا لَمْ تَمَسُّوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُوا۟ لَهُنَّ فَرِيضَةً ۚ وَمَتِّعُوهُنَّ عَلَى ٱلْمُوسِعِ قَدَرُهُۥ وَعَلَى ٱلْمُقْتِرِ قَدَرُهُۥ مَتَٰعًۢا بِٱلْمَعْرُوفِ ۖ حَقًّا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٢٣٦﴾ وَإِن طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ إِلَّآ أَن يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوَا۟ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ عُقْدَةُ ٱلنِّكَاحِ ۚ وَأَن تَعْفُوٓا۟

أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَلَا تَنسَوُا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٣٧﴾

﴿ والَّذينَ يُتَوَفَّوْنَ منْكُمْ ويَذَرُونَ أزْواجاً يَتَربَّصْنَ بأَنْفُسهِنَّ﴾ بعدهم، أوأزواج الذين يتوفون يتربصن بأنفسهن ﴿ أرْبَعَةَ أشْهُرٍ وعَشْراً﴾ أنث باعتبار الليالي لأنها غرر الشهور والأيام، والحكم يعم الصغيرة والكبيرة، والمدخول بها وغيرها، والمسلمة والكتابية، وأما الحامل فبأبعد الأجلين ـ بإجماعنا ونصوصنا ـ وبالوضع عندهم لآية (وأولات الأحمال)[١] وخصّت عندنا بالطلاق، وفي الباقري[٢] (ع): كل النكاح إذا مات الزوج فعلى المرأة حرّة كانت أوأمة، أوعلى أي وجه كان النكاح منه متعة، أوتزويجاً، أوملك يمين، فالعدة أربعة أشهر وعشراً ﴿ فَإذا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ﴾ إنقضت عدتهن ﴿ فَلا جُناحَ عَلَيْكُمْ﴾ أيها الأولياء، أوالحكام، أوالمسلمون ﴿ فِيما فَعَلْنَ في أَنْفُسهِنَّ﴾ من التعرض للخطاب وسائر ما حرم عليهن العدّة ﴿ بِالْمَعْرُوفِ﴾ الذي لا ينكر شرعاً، ويفهم منه أن عليهم منعهن لوفعلن ما ينكر، فإن قصروا أثموا ﴿ واللَّهُ بما تَعْمَلُونَ خَبيرٌ﴾ ترغيب وترهيب ﴿ ولا جُناحَ عَلَيْكُمْ فِيما عَرَّضْتُمْ بِهِ مِنْ خِطْبَةِ النِّساء﴾ المعتدات غير الرجعيات، والتعريض إيهام المقصود ما لم يوضع له حقيقة ولا مجازاً، كقول السائل: (جئتكَ لأزورك) والكناية الدلالة على الشيء بذكر لوازمه كـ(كثير الرماد) للمضياف، والخِطبة ـ بالكسر ـ طلب المرأة، وتعريض خطبتها

---

(١) سورة الطلاق الآية ٤.

(٢) أي الحديث الوارد عن الامام الباقر(ع)وكذلك يقال الصادقي والسجادي و...

أن يقول لها: أنت جميلة، وربّ راغب فيك، ونحوه ﴿أوأكننتم في أنفسكم﴾ أضمرتم في قلوبكم بلا تصريح ولا تعريض ﴿علم اللّه أنكم ستذكرونهن﴾ لرغبتكم فيهن، فلا تصبرون على الكتمان، وفيه نوع توبيخ وحذف، أي: فاذكروهن ليتجه استدراك ﴿ولكن لا تواعدوهن سراً﴾ أي: خلوة أوجماعاً، أوما يستهجن ﴿إلا أن تقولوا قولاً معروفاً﴾ وهوالتعريض بلا تصريح، والاستثناء من محذوف، أي: لا تواعدوهن مواعدة إلا مواعدة معروفة، أوبقول معروف، وقيل: منقطع من (سراً) ويلزمه كون التعريض موعوداً وليس كذلك، وعن الصادق (ع) - في الآية ـ قال: هو الرجل يقول للمرأة قبل ان تنقضي عدتها: أواعدك بيت آل فلان، ليعرض لها بالخطبة، وفي آخر هوأن يلقاها فيقول: إني فيك لراغب، وإني للنساء لمكرم فلا تسبقيني بنفسك، والسر لا يخلومعها حيث وجدها، وفي آخر يقول الرجل للمرأة - وهي في عدتها:- يا هذه ما أحب الأ ما أسرك ولوقد مضت عدتك لا تفوتيني - ان شاء اللّه تعالى - فلا تسبقيني بنفسك، وهذا كله من غير أن يعزموا عقدة النكاح ﴿ولا تعزموا عقدة النكاح﴾ ذكر العزم مبالغة في النهي عن العقد، أي: لا تعزموا عقد عقدة النكاح ﴿حتى يبلغ الكتاب أجله﴾ ينقضي المكتوب من العدّة ﴿واعلموا أنّ اللّه يعلم ما في أنفسكم﴾ من العزم ﴿فاحذروه﴾ ولا تعزموا ما لا يجوز ﴿واعلموا أنّ اللّه غفور﴾ لمن عزم ولم يفعل خشية للّه ﴿حليم﴾ لا يعاجلكم بالعقوبة ﴿لا جناح﴾ لا تبعة ﴿عليكم﴾ من مهر، أولا إثم رفع لتوهم منع الطلاق قبل المسيس[1] ﴿إن طلّقتم النساء ما لم تمسّوهنّ﴾ تجامعوهن، وقرأ حمزة والكسائي

---

(١) المسيس - في اللغة ـ أي اللمس وهنا بمعنى: الجماع، عبر به كنايةً.

(تماسوهن) ﴿أَوتَفْرِضُوا لَهُنَّ فَرِيضَةً﴾ أي: وتفرضوا، أو إلا ان تفرضوا، أي لا تبعة على المطلق من المهر، إذا لم يمس المطلقة ولم يسم لها مهراً، إذ مع المس عليه المسمى، أو مهر المثل، وبدونه مع التسمية نصف المسمى، فمنطوقها ينفي وجوب المهر في الصورة الاولى، ومفهومها يثبته في الجملة في الأخيرتين، و(متعوهن) عطف على مقدر، أي فطلقوهن ﴿ومَتِّعُوهُنَّ﴾ وتقدير المتعة بحسب حال الزوج لقوله ﴿عَلَى الْمُوسِعِ﴾ من له سعة ﴿قَدَرُهُ﴾ بالسكون أو الفتح - على القراءتين - أي: ما يطيقه ﴿وعَلَى الْمُقْتِرِ﴾ الضيّق الحال ﴿ قَدَرُهُ﴾ والمتوسط داخل في أحدهما، والمُحَكَّم[1] في التقدير العرف ﴿مَتاعاً﴾ تمتيعاً ﴿بِالْمَعْرُوفِ﴾ شرعاً وعرفاً - بحسب المروة - ﴿ حَقًّا﴾ واجباً، أو أحق ذلك حقاً ﴿عَلَى الْمُحْسِنِينَ﴾ إلى أنفسهم بالإمتثال، أو إلى المطلقات بالتمتيع، سمّوا بالمشارفة محسنين ترغيباً، وسئل الكاظم (ع) عن المطلقة ما لها من المتعة؟ قال: على قدر مال زوجها، وعن الصادق (ع): فليمتعها على ما يمتع مثلها من النساء، وروي: الغني يمتع بدار، أوخادم، والوسط يمتع بثوب، والفقير بدرهم أو خاتم، وروي: إن أدناه الخمار وشبهه ﴿وإِنْ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمَسُّوهُنَّ وقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ ما فَرَضْتُمْ﴾ أي: فلهن، أوفعليكم ﴿إِلاَّ أَنْ يَعْفُونَ﴾ أي: المطلقات عن حقهن - كلاً او بعضاً - والصيغة للمؤنث ووزنها (يفعلن) ولا اثر فيها لبنائها، وتأتي للمذكر ووزنها (يفعون) بحذف اللام ﴿أَويَعْفُوَا﴾ عطف على محل (يعفون) ﴿الَّذِي بِيَدِه عُقْدَةُ النِّكاحِ﴾ وهو الولي الذي يلي عقدة نكاحهن، عن الصادق (ع) يعني الأب، والذي توكله المرأة، وتوليه من أمرها من أخٍ

(١) الحَكَم الذي يرجع اليه عند الإختلاف.

أوقرابة أوغيرهما، وعنه (ع): هوالأب والأخ والرجل يوصى إليه، والرجل يجوز أمره في مال المرأة فيبيع لها ويشتري، فإذا عفا فقد جاز، ونحوه آخر، وفيه: فأي هؤلاء عفا فقد جاز، قيل: أرايت ان قالت لا أجيز ما يصنع؟ قال ليس لها ذلك أتجيز بيعه في مالها ولا تجيز هذا؟ وفي آخر: أبوها إذا عفا جاز، وأخوها إذا كان يقيم بها وهوالقائم عليها فهوبمنزلة الأب يجوز له، وإذا كان الأخ لا يقيم بها ولا يقوم عليها لم يجز له عليها أمر، وعنه (ع) الذي بيده عقدة النكاح وهوالولي الذي أنكح يأخذ بعضاً، ويدع بعضاً وليس له ان يدع كله، وفي آخر: هوالولي، وقيل: هوالزوج ـ كما روي عن علي (ع) ـ لأنه المالك كلّه وعقده وعفوه أن يسوق إليها المهر كملاً [1]﴿ وأنْ تَعْفُـوا﴾ أي: عفوكم عن الاسترداد، أومطلقاً ﴿ أقْرَبُ للتَّقْوى ولا تَنْسَوُا الفَضْلَ بَيْنَكُمْ﴾ أن يتفضل بعضكم على بعض، وعن علي(ع): ولا تتناسوا ﴿ إنَّ اللّهَ بما تَعْمَلُونَ بَصيرٌ﴾ عليم، عن علي (ع): سيأتي على الناس زمان عضوض[2] يعض كل امرئ منهم على ما في يديه، وينسون الفضل بينهم، قال اللّه: (ولا تنسوا الفضل بينكم)، ونحوه غيره.

[سورة البقرة الآيات ٢٣٨- ٢٤٥]

حَـٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ وَقُومُواْ لِلَّهِ قَـٰنِتِينَ ﴿٢٣٨﴾ فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالاً أَوْ رُكْبَانًا ۖ فَإِذَآ أَمِنتُمْ فَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُم مَّا لَمْ تَكُونُواْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٣٩﴾ وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ

---

(١) كاملاً.

(٢) أي: زمان يتكالب فيه الناس بعضهم على بعض.

وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا وَصِيَّةً لِّأَزْوَاجِهِم مَّتَاعًا إِلَى الْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ ۚ فَإِنْ خَرَجْنَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي مَا فَعَلْنَ فِي أَنفُسِهِنَّ مِن مَّعْرُوفٍ ۗ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٤٠﴾ وَلِلْمُطَلَّقَاتِ مَتَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ ۖ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ ﴿٢٤١﴾ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢٤٢﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٢٤٣﴾ وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٤٤﴾ مَّن ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً ۚ وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٤٥﴾

﴿ حافظُوا عَلَى الصَّلَوات﴾ بأدائها لأوقاتها بحدودها، ولعل الأمر بها بعد أحكام الأولاد والأزواج لئلا تلهيهم عنها ﴿ والصَّلاة الْوُسْطى﴾ بينها، أوالفضلى وخصت بعد التعميم لفضلها، واختلف في تعيينها، وبكل واحدة من الخمس قائل، والأصح أنها الجمعة يوم الجمعة، والظهر سائر الأيام ـ كما تظافرت به الاخبار ـ وقرأ

زيادة (وصلاة العصر) ﴿وقُومُوا لِلَّهِ قانِتِينَ﴾ داعين، أو طائعين ـ كما عن الصادق (ع)ـ أوذاكرين، أوخاشعين، أوساكتين، واحتج بها على وجوب القنوت في الصلاة والقيام والنية ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ﴾ عدواً، أوغيره، ولم يمكنكم الصلاة بشرائطها ﴿فَرِجالاً﴾ جمع راجل ﴿أَو رُكْباناً﴾ جمع راكب، أي فصلوا راجلين، أو راكبين على أي هيئة يمكنكم، وعن الصادق (ع) ـ في الآية ـ إذا خاف من سبع، أو لص يكبّر ويومئ إيماءً وعنه (ع): إن كنت في أرض مخوفة فخشيت لصاً أوسبعاً، فصلّ الفريضة وأنت على دابتك، ونحوه غيره ﴿فَإِذا أَمِنْتُمْ﴾ من الخوف ﴿فَاذْكُرُوا اللَّهَ﴾ صلوا صلاة الأمن، أو اشكروه على الأمن ﴿كَما﴾ أي: ذكراً مثل ما ﴿عَلَّمَكُمْ﴾ من الشرائع، أو شكراً يوازيه، و(ما) موصولة، أومصدرية ﴿ما لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ﴾ من الشرائع، وكيفية الصلاة ﴿والَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ ويَذَرُونَ أَزْواجاً وَصِيَّةً لأَزْواجِهِمْ﴾ نصبها ابوعمروابن عامر وحمزة وحفص بتقدير: (يوصون وصية) أوالزموا وصية، ورفعها الباقون بتقدير: (وحكم الذين يتوفون وصية)، أو(عليهم وصية) ﴿متاعاً إِلَى الْحَوْلِ﴾ نصب بـ (يوصون) ان قدّر، وإلا فبالوصية ﴿غَيْرَ إِخْراجٍ﴾ بدل منه، أوحال من أزواجهم، أي: غير مخرجات، والمعنى: أنه يجب على المقاربين للوفاة أن يوصوا بأن تمتع أزواجهم بعدهم حولاً بالنفقة والسكنى، وفي المجمع[1]: اتفق العلماء على أن الآية منسوخة، وفي عدة روايات عن الباقر (ع) منسوخة بآية (يتربصن بأنفسهن اربعة أشهر وعشراً) وبآيات الميراث، أي: النفقة بآيات الميراث ﴿فَإِنْ خَرَجْنَ﴾ عن منزل الأزواج ﴿فَلا جُناحَ عَلَيْكُمْ﴾ أيها الحكام، أو الأولياء للميت ﴿فِي ما فَعَلْنَ فِي

---

(١) أي: تفسير(مجمع البيان) للطبرسي.

أَنْفُسِهِنَّ﴾ من ترك الحداد ﴿مِنْ مَعْرُوفٍ﴾ شرعاً، قيل: ويفيد أنها كانت مخيّرة بين ملازمة المنزل والحداد وأخذ النفقة، وبين الخروج وتركها ﴿واللَّهُ عَزِيزٌ﴾ لا يقهر ﴿حَكِيمٌ﴾ يفعل المصلحة ﴿ولِلْمُطَلَّقاتِ مَتاعٌ﴾ متعة ﴿بِالْمَعْرُوفِ﴾ بما يعرفه الشرع ﴿حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ﴾ قيل: عمم وجوب المتعة لكل مطلقة بعد إيجابها لواحدة منهن، وعندنا ان العموم مخصص بالآية السابقة، وقيل: التمتيع يعم الواجب والمندوب، وقيل أريد به نفقة الزوجة، وعن الباقر (ع): متعة النساء واجبة دخل بها أولم يدخل، وتمتع قبل ان يطلق، وسئل الكاظم (ع): عن المطلقة التي يجب لها على زوجها المتعة؟ فكتب: (البائنة)، وفي رواية: لا تمتع المختلعة، وعن الباقر والصادق (ع): انما تجب المتعة التي لم يسم لها صداق خاصة ﴿كَذلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آياتِهِ﴾ دلائله وأحكامه تبييناً، مثل ذلك التبيين للأحكام المذكورة ﴿لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ تفهمونها، وتستعملون عقولكم فيها ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ تقرير لمن سمع بقصتهم، أوالخطاب عام لأنه كالمثل في التعجب ﴿إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيارِهِمْ﴾ هم اهل مدينة من مدائن الشام ﴿وهُمْ أُلُوفٌ﴾ كانوا سبعين ألف بيت ﴿حَذَرَ الْمَوْتِ﴾ مفعول له، إذ وقع فيهم الطاعون ﴿فَقالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا﴾ أي: فأماتهم، وعبر به تنبيهاً على أنهم ماتوا موتة رجل واحد بمشيئته ـ تعالى ـ وفيه تشجيع للمسلمين على الجهاد، إذ الموت لا مفر منه وأفضله الشهادة ﴿ثُمَّ أَحْياهُمْ﴾ بدعوة حزقيل النبي، وعاشوا ما شاء اللّه حتى سكنوا الدور، وأكلوا الطعام، ونكحوا النساء، ثم ماتوا بآجالهم ـ كما عن الباقر (ع) ـ ﴿إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ﴾ حيث يبصرهم ما يعتبرون به ﴿ولكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَشْكُرُونَ﴾ له حق شكره ـ أو لا يعتبرون ﴿وقاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ فان الفرار من الموت غير مخلص عنه ﴿واعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ﴾ لأقوالكم ﴿عَلِيمٌ﴾ بضمائركم

﴿ مَنْ﴾ استفهامية مبتدأ﴿ ذَا ﴾ خبره﴿ الَّذِي﴾ صفته، أوبدله﴿ يُقْرِضُ اللَّهَ﴾ ينفق ماله في سبيله كي يعوضه، أويعمل لوجهه] فإقراضه تمثيل لتقديم ما يطلب به ثوابه ﴿ قَرْضاً حَسَناً﴾ مقروناً بالإخلاص وطيب النفس من حلال طيب ﴿ فَيُضاعِفَهُ﴾ يضاعف جزاءه ﴿لَهُ﴾ وصيغة المفاعلة للمبالغة، ونصبه عاصم جواباً للإستفهام، إذ المعنى: يقرض الله أحد، وشدّده ابن كثير بلا ألف رافعاً، وابن عامر ناصباً﴿ أَضْعافاً﴾ جمع ضِعْف، نصب حالاً من المضمر المنصوب، أومصدراً على أن الضعف اسم للمصدر، وجمع للتنويع، أو مفعولاً ثانياً لتضمن المضاعفة النظير﴿ كَثِيرَةً﴾ لا يحصيها إلا الله﴿ واللَّهُ يَقْبِضُ ويَبْصُطُ﴾ يمنع ويوسع حسب المصلحة، فلا تبخلوا عليه بما وسع عليكم لئلا يقترعليكم، وقرئ بالسين والصاد ﴿ وإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ تأكيداً للجزاء، فيجازيكم على حسب ما قدمتم، عن الصادق (ع): انها نزلت في صلة الإمام.

[سورة البقرة الآيات ٢٤٦ - ٢٤٨]

أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلْمَلَإِ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰٓ إِذْ قَالُوا۟ لِنَبِىٍّ لَّهُمُ ٱبْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُّقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِن كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ أَلَّا تُقَٰتِلُوا۟ ۖ قَالُوا۟ وَمَا لَنَآ أَلَّا نُقَٰتِلَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِن دِيَٰرِنَا وَأَبْنَآئِنَا ۖ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقِتَالُ تَوَلَّوْا۟ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٤٦﴾ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا ۚ قَالُوٓا۟ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ ٱلْمُلْكُ عَلَيْنَا

وَنَحْنُ أَحَقُّ بِٱلْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ ٱلْمَالِۚ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُۥ بَسْطَةً فِى ٱلْعِلْمِ وَٱلْجِسْمِۖ وَٱللَّهُ يُؤْتِى مُلْكَهُۥ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٤٧﴾ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ءَايَةَ مُلْكِهِۦٓ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلتَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ ءَالُ مُوسَىٰ وَءَالُ هَٰرُونَ تَحْمِلُهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٤٨﴾

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَإِ ﴾ جماعة الأشراف ﴿ مِنْ بَنِي إِسْرائيلَ ﴾ (من) للتبعيض ﴿ مِنْ بَعْدِ مُوسى ﴾ من بعد وفاته، و(من) للابتداء ﴿ إِذْ قالُوا لِنَبِيٍّ لَهُمُ ﴾ اشمويل، وهو بالعربية (إسماعيل) ـ كما عن الباقر (ع) ـ أو شمعون، أو يوشع ﴿ ابْعَثْ لَنا مَلِكاً نُقاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ أقم لنا أميراً ننهض معه للقتال، عن الصادق (ع): كان الملك في ذلك الزمان هوالذي يسير بالجنود، والنبي يقيم له أمره ﴿ قالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتالُ ﴾ شرط فصل بين (عسى) و(خبره) وهو ﴿ أَلاَّ تُقاتِلُوا ﴾ وتجبنوا ولا تفوا، استفهم عما هومتوقع عندهم من جبنهم عن القتال تقريراً ﴿ قالُوا وما لَنا أَلاَّ نُقاتِلَ ﴾ وأيّ داعٍ لنا إلى ترك القتال ﴿ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وقَدْ أُخْرِجْنا مِنْ دِيارِنا وأَبْنائِنا ﴾ وذلك أن جالوت والعمالقة كانوا يسكنون ساحل بحر الروم من مصر وفلسطين، فغلبوا على ديار بني إسرائيل وسبوا ذراريهم ﴿ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتالُ تَوَلَّوْا إِلاَّ قَلِيلاً مِنْهُمْ ﴾ عن الصادق (ع): كان القليل منهم ستين ألفاً ﴿ واللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴾ وعيدٌ لهم بترك

الجهاد ﴿ وقالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طالُوتَ مَلِكاً ﴾ قيل: هوعلم عبري كـ(داود) وجعله (فعلوتاً) من الطول يدفعه منع صرفه، نقل ان نبيهم (ع) لما دعا الله أن يملكهم أتى بعصاً يقاس بها من يملك ممن لا يملك، فلم يساوها إلا طالوت ﴿ قالُوا أَنَّى﴾ من أين ﴿ يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنا﴾ وكانت النبوة في وِلْد لاوي بن يعقوب، والمُلْك في وِلْد يوسف وكان طالوت من وِلْد (بنيامين) أخ يوسف لأنه لم يكن من بيت النبوة ولا من بيت المملكة﴿ ونَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْه﴾ وراثة ﴿ ولَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِنَ الْمالِ﴾ إذ لا بد للملك من مال يعتضد به، قيل: كان سقاء، أودباغاً فأنكروا تملكه لسقوط نسبه وفقره فردّ ﴿ وقالَ﴾ نبيهم ﴿ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفاهُ﴾ اختاره ﴿ عَلَيْكُمْ﴾ وهوأعلم بالمصالح منكم﴿ وزادَهُ﴾ ما هوانفع مما ذكرتم ﴿ بَسْطَةً ﴾ سعة ﴿ فِي الْعِلْمِ﴾ ولا يتم أمر السياسة إلا به ﴿ والْجِسْمِ﴾ إذ الجسم أعظم في النفوس وأقوى على مكايدة الحروب، قيل: كان إذا مدّ الرجل القائم يده نال رأسه ﴿ واللَّهُ ﴾ له الملك﴿ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَنْ يَشاءُ واللَّهُ واسِعٌ﴾ الفضل﴿ عَلِيمٌ ﴾ بمن يصلح للملك ﴿ وقالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ ﴾ حين طلبوا منه حجة على تمليك الله طالوت ﴿ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ﴾ هوالذي أنزله الله على موسى فوضعته أمه فيه فألقته في اليمّ، وهوفعلوت من(التوب) لرجوع ما يخرج منه إليه غالباً ﴿ فِيهِ سَكِينَةٌ ﴾ أمن وطمأنينة، وروي: هي ريح في الجنة وجهها كوجه الإنسان ﴿ مِنْ رَبِّكُمْ وبَقِيَّةٌ مِمَّا تَرَكَ آلُ مُوسى وآلُ هارُونَ ﴾ من الألواح، وسائر آيات الأنبياء، و(آلهما) أنفسهما، و(الآل) مفخم، أوأنبياء بني يعقوب لأنهم بنوعمهما ﴿ تَحْمِلُهُ الْمَلائِكَةُ﴾ روي البقية ذرية الأنبياء، وعن الباقر (ع) ـ في الآية ـ قال: رضراض الألواح فيها العلم والحكمة، وزاد في آخر: العلم جاء من السماء، فكتب في الألواح، وجعل في

التابوت، وعن الرضا (ع) قال: كان فيه ألواح موسى التي تكسرت، والطست الذي يغسل فيه قلوب الأنبياء، وعن الكاظم (ع): سعة التابوت ثلاثة أذرع في ذراعين، وفيه عصا موسى والسكينة، وروي: كان التابوت يدور في بني إسرائيل حيثما دار المُلْك، فرفعه الله بعد موسى حين استخفوا به، ثم لما بعث طالوت أنزله إليهم ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ من كلام نبيهم، أوخطاب من الله.

[سورة البقرة الآيات ٢٤٩- ٢٥٢]

فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِٱلْجُنُودِ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ مُبْتَلِيكُم بِنَهَرٍ فَمَن شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُۥ مِنِّيٓ إِلَّا مَنِ ٱغْتَرَفَ غُرْفَةًۢ بِيَدِهِۦ ۚ فَشَرِبُواْ مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۚ فَلَمَّا جَاوَزَهُۥ هُوَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ قَالُواْ لَا طَاقَةَ لَنَا ٱلْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ ۚ قَالَ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ ٱللَّهِ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةًۢ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٢٤٩﴾ وَلَمَّا بَرَزُواْ لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ قَالُواْ رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٥٠﴾ فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُۥدُ جَالُوتَ وَءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُۥ مِمَّا يَشَآءُ ۗ وَلَوْلَا

دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٥١﴾ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّ ۚ وَإِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٢٥٢﴾

﴿ فَلَمَّا فَصَلَ طالُوتُ بِالْجُنُود﴾ انفصل بهم عن بلده لقتل العمالقة، وأصله فصل نفسه عنه، ولما كثر حذف مفعوله صار كاللازم، قيل: انه قال لهم: لا يخرج معي إلا الشاب النشيط الفارغ، فاجتمع عليه من اختاره ثمانون الفاً، وقيل: ستون ألف وثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً، وهوأظهر ـ لما يأتي ـ ﴿ قالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ﴾ معاملكم معاملة المختبر ﴿ بِنَهَرٍ فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي﴾ من جملتي، أوأتباعي ﴿ وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ﴾ لم يذقه ﴿ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلاَّ مَنِ اغْتَرَفَ﴾ إستثناء من (فمن شرب) ﴿ غُرْفَةً بِيَدِه﴾ فيه قراءتان: الضم بمعنى: المعروف، والفتح مصدر والمعنى: الرخصة في القليل دون الكثير ﴿ فَشَرِبُوا مِنْهُ﴾ كرعوا فيه ﴿ إِلاَّ قَلِيلاً مِنْهُمْ ﴾ روي: إن الذين شربوا كانوا ستين الفاً، وعن الصادق (ع): القليل الذين لم يشربوا ولم يغترفوا ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً، وروي ان من اقتصر على الغرفة روي[1]، ومن استكثر غلب عطشه وعجز عن المضي ﴿ فَلَمَّا جاوَزَهُ﴾ أي طالوت النهر إلى جنود جالوت ﴿ هُووالَّذينَ آمَنُوا مَعَهُ﴾ أي: القليل الذين لم يخالفوه ﴿ قالُوا﴾ أي: بعضهم لبعض، أوالذين لم يشربوا منه ﴿ لا طاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بجالُوتَ ﴾ جبّار من العمالقة من ولد عمليق بن عاد ﴿ وجُنُوده﴾ لكثرتهم ﴿ قالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلاقُوا اللَّهِ﴾ أي: الخلّص منهم الذين تيقنوا لقاء

---

(١) اكتفى من الماء.

اللّه وثوابه بالموت، وسمّاه (ظناً) لشبه اليقين بالموت بالظن، والشك، كما في الخبر: ما من يقين لا شك فيه أشبه بشك لا يقين فيه من الموت ﴿كَمْ مِنْ فِئَةٍ﴾ فرقة ﴿قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ بأمره ونصره، (وكم) تحتمل الخبرية والاستفهامية، و(من) مبينة، أومزيدة ﴿وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ بالنّصر والإثابة ﴿وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ﴾ صبّ ﴿عَلَيْنَا صَبْراً وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا﴾ في مداحض[1] الحرب ﴿وَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ فَهَزَمُوهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ بنصره ﴿وَقَتَلَ دَاوُدُ﴾ بن آسى، وكان (آسى) راعياً وكان له عشرة بنين أصغرهم داود، فأوحى اللّه إلى نبيهم أنه الذي يقتل ﴿جَالُوتَ وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ﴾ في الأرض المقدسة، ولم يجتمعوا على ملك قبل داود ﴿وَالْحِكْمَةَ﴾ النبوة ﴿وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ﴾ جعله اللّه نبياً، وانزل عليه الزبور، وعلمه صنعة الحديد ولينه له، ومنطق الطير ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ﴾ يدفع الهلاك بالبر عن الفاجر ـ كما عن علي (ع) ـ أوينصر المسلمين على الكفار، أو يكف فسادهم ﴿لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ﴾ بغلبة المفسدين فيها، أو لعمّ الكفر والهلاك ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ في دينهم ودنياهم ﴿تِلْكَ﴾ القصص المذكورة من خبر الألوف، وتمليك طالوت وابنه، ونصر جنده، وقتل جالوت ﴿آيَاتُ اللَّهِ﴾ دلالاته ﴿نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ﴾ بالصدق الذي لا يشك فيها أحد ﴿وَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾.

---

(١) مداحض جمع (مدحضة) وهي المزلقة، المعنى: المزالق والأخطاء التي من الممكن أن يتعرض لها المقاتل إثناء قيام الحرب.

[سورة البقرة الآيات ٢٥٣ - ٢٥٦]

تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۘ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ ۖ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ ۚ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ ۗ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلَ ٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ وَلَٰكِنِ ٱخْتَلَفُوا۟ فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ وَمِنْهُم مَّن كَفَرَ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلُوا۟ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴿٢٥٣﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنفِقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَٰعَةٌ ۗ وَٱلْكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٥٤﴾ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ۚ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ۚ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ۚ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ ۚ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا ۚ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾ لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ ۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَىِّ ۚ فَمَن يَكْفُرْ

بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَاۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٥٦﴾

﴿ تِلْكَ الرُّسُلُ ﴾ اشارة إلى جماعة الرسل المذكورة في السورة، أوالمعلومة له، أوجماعة الرسل، و(اللام) للإستغراق ﴿ فَضَّلْنا بَعْضَهُمْ عَلى بَعْضٍ ﴾ بمنقبة تخصه دون غيره ﴿ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللّهُ ﴾ تفضيلاً له كموسى في الطور، ومحمد (ص) في المعراج حين كان قاب قوسين أوأدنى ﴿ ورَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجاتٍ ﴾ بأن فضله على غيره من وجوه، حيث أوتي ما لم يؤت أحد من المعاجز، فعن النبي (ص): (ما خلق الله خلقاً أفضل مني، ولا أكرم عليه مني، إن الله فضل أنبياءه على ملائكته المقربين، وفضلني على جميع النبيين والمرسلين، والفضل بعدي لك يا علي، وللائمة من بعدك، وان الملائكة لخدامنا وخدّام محبينا، قيل: والإبهام بالذكر لتعظيم قدره، كأنه العَلَم المتميز بهذا النعت فلا يشتبه ﴿ وآتَيْنا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّناتِ ﴾ كإحياء الموتى، وإبراء الأكمه والأبرص[1]، وخصه وموسى لوضوح معجزاتهما العظيمة التي بها فضّلاً ﴿ وأيَّدْناهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ ﴾ جبرئيل، أوملك أعظم منه، أوالمختصة بالأنبياء التي بها علموا الأشياء ﴿ ولَوشاءَ اللّهُ ﴾ مشية إلجاء ﴿ مَا اقْتَتَلَ الَّذينَ مِنْ بَعْدِهِمْ ﴾ من بعد الرسل ﴿ مِنْ بَعْدِ ما جاءَتْهُمُ الْبَيِّناتُ ﴾ الحجج الواضحة، لاختلافهم في الدين، وتكفير بعضهم بعضاً ﴿ ولكِنِ اخْتَلَفُوا فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ ﴾ بتوفيقه ﴿ ومِنْهُمْ مَنْ كَفَرَ ﴾ لإعراضه، بخذلانه تعالى ﴿ ولَوشاءَ اللّهُ مَا اقْتَتَلُوا ﴾ التكرار للتأكيد ﴿ ولكِنَّ اللّهَ يَفْعَلُ

---

(١) الأكمه: هوالذي يولد وهوأعمى، والأبرص: هوالمصاب بالبرص وهومرض معدٍ مزمن يغطي الجلد بالبثور والقشور ويؤذي الجهاز العصبي.

ما يُرِيدُ﴾ من العصمة والخذلان فضلاً وعدلاً ﴿يا أيُّهَا الَّذينَ آمَنُوا أنفقُوا ممَّا رَزَقْناكُمْ مِنْ قَبْلِ أنْ يَأتِيَ يَوْمٌ لا بَيْعٌ فِيه﴾ حتى يمكنكم تدارك ما فاتكم بابتياع ما تنفقونه، أوتفتدون به من العذاب﴿ ولا خُلَّةٌ﴾ حتى يسامحكم به أخلاّؤكم ﴿ ولا شَفاعَةٌ﴾ الا لمن اذن له الرحمن، حتى تتكلوا على شفيع يشفع لكم في حط ما في ذممكم، وفتح ابن كثير وابو عمروالثلاث، ورفعها الباقون، ويحتمل أن يكون المراد بـ(اليوم) يوم الموت، كما مرّ في قوله: (واتقوا يوماً لا تجزي نفس عن نفس) ﴿ والْكافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ أي: التاركون للزكاة، الذين ظلموا أنفسهم ووضعوا المال في غير موضعه، فصرفوه على غير وجهه، وضع الكافرون تغليظاً وتهديداً، كقوله: (ومن كفر) مكان من لميحج[1] وإيذاناً ان ترك الزكاة من صفات الكفار كقوله: (ويل للمشركين الذين لا يؤتون الزكاة)[2]، وعن الصادق (ع): (من منع قيراطاً من الزكاة فليس بمؤمن ولا مسلم، وهو قوله (حتى إذا جاء أحدهم الموت قال رَب ارجعون)[3] إلخ ﴿ اللّهُ لا إلهَ الاّ هُوَ﴾ مبتدأ وخبر، أي المستحق للعبادة لا غيره ﴿ الْحَيُّ﴾ العليم القدير﴿ الْقَيُّومُ﴾ الدائم القيام بتدبير خلقه وحفظه ﴿لا تَأخُذُهُ سِنَةٌ ولا نَوْمٌ﴾ السِنَة: فتور يتقدم النوم، وهنا سؤال مشهور وهو تقديم السِنَة عليه[4] وقياس المبالغة عكسه، وأجيب بانه على ترتيب الوجود، وأنه على القياس وهو الترقي من

---

(١) اشارة الى الآية الكريمة في سورة آل عمران: «ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلاً ومن كفر فإن الله غني حميد» آل عمران الآية ٩٧.

(٢) سورة فصلت الآيات ٧-٨

(٣) سورة المؤمنون الآية ٩٩.

(٤) أي: على النوم ، وملخص السؤال هوأن القاعدة هنا ان يترقى من الأشد الى الأخف فيقال: (لا يأخذه نوم بل ولا سِنَة) والذي حدث هوالعكس.

الأدنى إلى الأعلى لأن عدم الأخذ من النوم أعلى من عدم أخذ السنة الضعيفة، والجملة نفي للتشبيه، وتأكيد لـ(القيوم) إذ لا تدبير ولا حفظ لمن ينعس أو ينام، ولذا فصلت كالتي بعدها ﴿لَهُ ما فِي السَّماواتِ وما فِي الأَرْضِ﴾ يملكهما ويملك تدبيرهما، وعن الرضا (ع) انه قرأ (له ما في السموات وما في الأرض وما بينهما وما تحت الثرى عالم الغيب والشهادة الرحمن الرحيم من ذا الذي)إلخ ﴿مَنْ ذَا الَّذي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلاّ بِإِذْنِه﴾ بيان لكبريائه، أي: لا أحد يتمالك يوم القيامة أن يشفع لأحد إلا إذا أذن له ﴿ يَعْلَمُ ما بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وما خَلْفَهُمْ﴾ أي: ما كان وما لم يكن بعد ـ كما عن الرضا (ع) ـ أو ما قبلهم وما بعدهم، أوعكسه، أو أمور الدنيا وأمور الآخرة، أو عكسه، والضمير لـ(ما في السموات والأرض) تغليباً للعقلاء، أو لما دل عليه (من ذا) من الملائكة والأنبياء ﴿ ولا يُحيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِه﴾ من معلوماته، بأن يعلموه كما هو﴿ إِلاّ بِما شاءَ﴾ بما يوحى إليهم ﴿ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّماواتِ والأَرْضَ﴾ أي: علمه، أو الجسم المحيط بالسموات الذي تحت العرش، وكلاهما مروي، أو ملكه تسمية باسم محل العالم والعرش ﴿ ولا يَؤُدُهُ﴾ لا يثقله من (الأود)، أي: العوج ﴿ حِفْظُهُما ﴾ حفظه السموات والأرض﴿ وهُوَالْعَلِيُّ﴾ عن الأنداد والأشباه، لا يدركه وهم ﴿ الْعَظِيمُ ﴾ الشأن، المستحقر بالإضافة إليه كل ما سواه، ولا يحيط به فهم، إلى هنا آية الكرسي على الأشهر، وقيل: خالدون ـ وكلاهما مروي ـ ولاشتمال الآية على توحيده تعالى وأصول صفاته الكمالية ونعوته الجلالية، ورد في شأنها ما ورد، كقوله(ص): (من قرأ آية الكرسي في دبر كل صلاة مكتوبة لم يمنعه من دخول الجنة إلا الموت، ولا يواضب عليها إلا صدّيق أوعابد، ومن قرأها إذا أخذ مضجعه آمنه اللّه على نفسه وجاره وجار جاره)، وقول الباقر (ع): من قرأ آية الكرسي مرّة صرف اللّه عنه ألف

مكروه من مكاره الدنيا، وألف مكروه من مكاره الآخرة، أيسر مكروه الدنيا الفقر، وأيسر مكروه الآخرة عذاب القبر﴿ لا إِكْراهَ فِي الدِّينِ﴾ أي: لم يجر الله أمر الإيمان على الإجبار ولكن على الإختيار ﴿قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾ تميّز الإيمان من الكفر، والحق من الباطل بالدلائل الواضحة، وقيل: إخبار معناه النهي، أي: لا تكرهوا في الدين، وهو إما عام نسخ بآية السيف، أو خاص بالذميين، قيل: كان لنصراني إبنان فتنصرا قبل البعثة، ثم قدما المدينة، فقال أبوهما: والله لا أدعكما حتى تسلما فاختصموا للنبي (ص) فنزلت ﴿ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ﴾ (فعلوت) من الطغيان مقدم اللام وهو: الشيطان ـ كما عن الصادق (ع) ـ أوكل ما عُبِد من دون الله وصد عن سبيل الله، والقمي: هم الذين غصبوا آل محمد (ص) حقهم ﴿ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقى﴾ المحكمة ﴿ لاَ انْفِصامَ ﴾ لا انقطاع ﴿لَها ﴾ وفسرت في الاخبار بأنها الإيمان بالله وحده لا شريك له، وبالأئمة، وبحب أهل البيت، وبالنبي، وبأمير المؤمنين (ع)﴿ واللَّهُ سَمِيعٌ﴾ للأقوال ﴿عَلِيمٌ﴾ بالضمائر والنيات.

[سورة البقرة الآيات ٢٥٧- ٢٥٩]

ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَوْلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٥٧﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِـۧمَ فِى رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّىَ

ٱلَّذِى يُحْيِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحْيِۦ وَأُمِيتُ ۖ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٢٥٨﴾ أَوْ كَٱلَّذِى مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْيِۦ هَـٰذِهِ ٱللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ۖ فَأَمَاتَهُ ٱللَّهُ مِاْئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُۥ ۖ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ ۖ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۖ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِاْئَةَ عَامٍ فَٱنظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ ۖ وَٱنظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ ءَايَةً لِّلنَّاسِ ۖ وَٱنظُرْ إِلَى ٱلْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا ۚ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٥٩﴾

﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ يتولى أمورهم، أو أمور الذين أرادوا أن يؤمنوا وناصرهم باللطف ﴿يُخْرِجُهُمْ﴾ بلطفه ﴿مِنَ الظُّلُماتِ إِلَى النُّورِ﴾ من الكفر إلى الإيمان، أو من ظلمات الجهل والذنوب إلى نور الهدى والمغفرة، والجملة خبر ثان، أو استئناف بيان للولاية ﴿والَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِياؤُهُمُ الطَّاغُوتُ﴾ الشياطين ورؤوس الضلالة، والقمي: هم الظالمون آل محمد (ص) حقهم أولياؤهم الطاغوت وهم الذين اتبعوا من غصبهم ﴿يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُماتِ﴾ من الإيمان إلى

الكفر، أو من نور البينات إلى ظلمات الشبهات، وعن الصادق (ع): (النور: آل محمد (ص) والظلمات عدوهم) وعنه (ع): من الظلمات إلى النور يعني: ظلمات الذنوب إلى نور التوبة والمغفرة لولايتهم كل امام عادل من الله، ومن النور إلى الظلمات وإنما عنى بهذا: انهم كانوا على نور الإسلام، فلما أن تولوا كل إمام جائر ليس من الله خرجوا لولايتهم من نور الإسلام إلى ظلمات الكفر﴿ أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ عنه (ع): اعداء علي (ع) هم الخالدون في النار، وان كانوا في أديانهم على غاية الورع والزهد والعبادة، والقمي: فيها خالدون والحمد لله رب العالمين[1] ، كذا نزلت ﴿ أَلَمْ تَرَ﴾ تعجيب﴿ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ﴾ وهو نمرود﴿ وأَنْ آتَاهُ﴾ لان آتاه﴿ اللَّهُ الْمُلْكَ﴾ ما تسلط به من المال والخدم، أو أبطره الإيتاء فحاج لذلك، أو حاج لأجله أي: وضع المحاجة موضع الشكر على إتيانه الملك، في الخبر: ملك الأرض كلها أربعة: مؤمنان وكافران، أما المؤمنان فسليمان بن داود وذوالقرنين، واما الكافران فنمرود وبخت نصّر ﴿ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ﴾ ظرف لـ(حاجّ)، أوبدل من (ان آتاه) إن أريد به الوقت ﴿ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي ويُمِيتُ﴾ بخلق الحياة والموت، وحذف حمزة باء (ربي) ﴿ قَالَ أَنَا أُحْيِي وأُمِيتُ ﴾ بالعفوعن القتل والقتل، عنه (ع): ان ابراهيم قال له: أحيي من قتلته إن كنت صادقاً ﴿ قَالَ إِبْرَاهِيمُ﴾ معرضاً عن معارضته الفاسدة لظهور فسادها، إذ المراد بالإحياء والإماتة خلقهما، لا الإبقاء والقتل، عاد إلى دليل لا يمكنه التمويه فيه﴿ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ﴾ صار مبهوتاً[2] ﴿ واللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ لأنفسهم، بإبائهم قبول الهداية،

---

(١) لاشك ان بعض هذه القراءات تستلزم تحريف القرآن وهي غير معتبرة لا عند الشيعة ولا عند اهل السنة.

(٢) متحيراً.

أولا يهديهم إلى المحاجة، أو إلى الجنة ﴿أَوْ كَالَّذِي مَرَّ﴾ تقديره: (أو أُريت مثل الذي) فحذف لدلالة (ألم تر) عليه، و(الكاف) زائدة وهو: عزير، أو أرميا، وكلاهما مرويان، وقيل: الخضر، وقيل: كافر بالبعث ﴿عَلَى قَرْيَةٍ﴾ هي: بيت المقدس حين خرّبه بخت نصر، أو التي خرج منها الألوف ﴿وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا﴾ خالية ساقطة حيطانها على سقوفها ﴿قَالَ أَنَّى﴾ ظرف، أوحال، أي: متى، أو كيف ﴿يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ إعتراف بالقصور عن معرفة طريق الإحياء، واستعظام لقدرة المحيي، وعلى تقدير كون القابل كافراً هو إستبعاد ﴿فَأَمَاتَهُ اللَّهُ﴾ فلبث ﴿مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ﴾ أحياه ﴿قَالَ﴾ أي: الله، وقيل: ملك، أونبي آخر ﴿كَمْ لَبِثْتَ قَالَ﴾ قول الظان ﴿لَبِثْتُ يَوْماً أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ﴾ قيل: قال قبل النظر إلى الشمس: (يوماً) ثم التفت فرأى بقية منها، فقال: (أو بعض يوم) على الإضراب[1] ﴿قَالَ بَلْ لَبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانْظُرْ إِلَى طَعَامِكَ﴾ قيل: كان تيناً وعنباً ﴿وَشَرَابِكَ﴾ كان عصيراً ولبناً ﴿لَمْ يَتَسَنَّهْ﴾ لم يتغير بمرور الزمان، أخذ من (السنه) ولامها امّا هاء فالهاء اصلية، أو واوفهاء السكت، وقيل: أصله لم (يتستن)[2] من الحمأ المسنون، فابدل النون الثالثة حرف علّة، وإنما أفرد الضمير لان الطعام والشراب كالجنس الواحد ﴿وَانْظُرْ إِلَى حِمَارِكَ﴾ كيف تفرقت عظامه ونخرت وتفتتت، أوإليه سالماً كما ربطتَه، أعشناه بلا ماء وعلف ﴿وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ﴾ فعلنا ذلك، عن علي (ع): إن عزير خلف امرأته حاملاً وله خمسون سنة فرجع ابن خمسين ولابنه مائة وقيل: رجع إلى قومه على حماره، فقال: انا عزير

---

(١) أي: الإعراض عن الكلام الأوّل.

(٢) الظاهر أنها (يتسنن).

فكذبوه، فأملى التوراة عن حفظه، وكان بخت نصّر أحرقها، وكان جدّه دفنها فأخرجها، وعارضوها بما أملى فما خرم حرفاً، فقالوا: هوابن الله ﴿ وانْظُرْ إِلَى الْعظامِ﴾ عظام الحمار، أو أهل القرية، أوعظامه، أحيى الله عينه فنظر ﴿كَيفَ نُنشِزُها﴾ بالمعجمة، أي: نرفع بعضها فوق بعض للتركيب، وبالمهملة أي: نحييها والجملة حال من العظام، أي أنظر إليها محياة ﴿ ثُمَّ نَكْسُوها لَحْماً ﴾ من هاهنا وهاهنا﴿ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ﴾ ما تبين، وروي: فلما استوى قائماً ﴿ قالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَديرٌ﴾ وقرأ حمزة والكسائي(اعلم أمراً) من مخاطبة، أومن نفسه مبكّتاً[١].

[سورة البقرة الآيات ٢٦٠ - ٢٦٤]

وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِى كَيْفَ تُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن ۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَـٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى ۖ قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ ٱلطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ ٱجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ٱدْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا ۚ وَٱعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٦٠﴾ مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّاْئَةُ حَبَّةٍ ۗ وَٱللَّهُ يُضَـٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦١﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَآ أَنفَقُوا۟ مَنًّا وَلَآ أَذًى ۙ لَّهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ

(١) أي: لائماً نفسه وموبخاً لها.

رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٦٢﴾ قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَآ أَذًى ۗ وَٱللَّهُ غَنِىٌّ حَلِيمٌ ﴿٢٦٣﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُبْطِلُوا۟ صَدَقَـٰتِكُم بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ كَٱلَّذِى يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ ۖ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُۥ وَابِلٌ فَتَرَكَهُۥ صَلْدًا ۖ لَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَىْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿٢٦٤﴾

﴿ وإِذْ قالَ إِبْراهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ الْمَوْتى﴾ سأل ذلك ليصير علمه عياناً، لما روي أنه رأى جيفة تأكل منها سباع البر ودواب البحر، فقال: رب قد علمت انك تجمعها من بطون هذه، فأرني كيف تحييها لأعاين ذلك ﴿ قالَ أَ ولَمْ تُؤْمِنْ﴾ بأني قادر على الإحياء بإعادة التركيب والحياة، قال له ذلك وقد علم انه ارسخ الناس إيماناً ليجيب بما أجاب، فيعلم السامعون غرضه ﴿ قالَ بَلى﴾ آمنت ﴿ ولكِنْ﴾ سألت ﴿ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾ وأزداد يقيناً، حتى أرى هذا كما رأيت الأشياء كلها ـ كما عن الصادق (ع) ـ أو على الخِلَّة[1] كما ـ عن الرضا (ع) ـ: ان الله أوحى إليه اني متخذ من عبادي خليلاً، إن سألني إحياء الموتى أجبته، فوقع في نفس ابراهيم إنه ذلك الخليل فقال: رب ... إلخ، أي ولكن ليطمئن قلبي على الخِلَّة ﴿ قالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ﴾

---

(١) الصحبة.

جمع (طائر) كـ(صحب) لصاحب، أومصدر سمي بـه، روي: الطاوس والحمامة والديك والهدهد، وروي: الديك والحمامة والطاوس والغراب، وخص الطير لأنـه أقرب إلى الإنسان، وأجمع لحواس الحيوان ﴿فَصُرْهُنَّ﴾ اضممهن ﴿إِلَيْكَ﴾ لتتأملها، وكسر حمزة الصاد ﴿ثُمَّ اجْعَلْ عَلى كُلِّ جَبَلٍ مِنْهُنَّ جُزْءاً﴾ قطعهن واخلطهن وفرق الاجزاء على الجبال، وكانت عشرة ـ كما عن الصادق (ع) ـ وقيل: سبعة، وقيل: أربعة ﴿ثُمَّ ادْعُهُنَّ﴾ قل لهن: تعالين بإذن الله ﴿يَأْتِينَكَ سَعْياً﴾ ساعيات مسرعات، طيراناً أومشياً، روي: أنه أُمِر أن يذبحها وينتف ريشها ويقطعها ويخلط اجزاءها ويفرقها على الجبال ويمسك رؤسها، ثم يدعوهن، ففعل، فجعلت أجزاء كل واحد تجتمع حتى صارت جثثاً، ثم اقبلن فانضممن إلى رؤسهن ﴿واعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ﴾ لا يعجز عما يريد ﴿حَكِيمٌ﴾ في أفعاله وأقواله ﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ في وجوه البر، أي: مثل نفقتهم ﴿كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنابِلَ﴾ بانشعاب ساقه سبع شعب، في كُلٍ منها سنبلة ﴿فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ﴾ أسند الإنبات إلى الحبة لأنها سبب، كالأرض والماء، والمنبت هوالله تعالى، والتمثيل بذلك لا يقتضي وجوده، وقد يوجد في الدخن ونحوه، وفي البر في أرض قوية ﴿واللَّهُ يُضاعِفُ لِمَنْ يَشاءُ﴾ بفضله، وعلى حسب حاله، وعن الصادق (ع) لمن أنفق ماله ابتغاء مرضاة الله ﴿واللَّهُ واسِعٌ﴾ لا يضيق عليه ما شاء من الزيادة ﴿عَلِيمٌ﴾ بنية المنفق، وقدر إنفاقه ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لا يُتْبِعُونَ ما أَنْفَقُوا مَنّاً﴾ بالإعتداد بالإحسان ﴿ولا أَذىً﴾ بالتطاول بالإنعام، و(ثم) للتفاوت بين الانفاق وترك المن والأذى، ولعلّه لم يدخل الفاء فيه، وقد تضمن ما أسند إليه معنى الشرط إيهاماً بأنهم اهل لذلك وان لم يفعلوا فكيف بهم إذا فعلوا ﴿لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ ولا

خَوْفٌ عَلَيْهِمْ ولا هُمْ يَحْزَنُونَ قَوْلٌ مَعْرُوفٌ﴾ رد جميل ﴿ ومَغْفِرَةٌ﴾ تجاوز عن السائل الحاجة، أو نيل مغفرة من الله بالرد الجميل، أو عفوعن السائل بأن يعذره ﴿خَيْرٌ مِنْ صَدَقَةٍ يَتْبَعُها أذىً﴾ خبر لهما، وصح الابتداء بالنكرة للوصف ﴿ واللَّهُ غَنِيٌّ﴾ عن إنفاقكم ﴿ حَلِيمٌ﴾ لا يعجل بعقوبة من يمن ويؤذي، وغيرهما ﴿ يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ﴾ أجرها﴿ بِالْمَنِّ والأَذى﴾ بكل منهما لمنافاتهما الإخلاص، في النبوي (ص): من أسدى إلى مؤمن معروفاً ثم آذاه بالكلام، أو منّ عليه فقد أبطل الله صدقته، وعن الباقر (ع): نزلت في عثمان، وجرت في معاوية، وأتباعهما، وفي آخر: والأذى لمحمد (ص) وآل محمد (ص) ﴿كَالَّذِي يُنْفِقُ مالَهُ رِئاءَ النَّاسِ﴾ كابطال المنافق المرائي بإنفاقه، أومماثلين للمرائي، و(رياء) مفعول له، أوحال أي: مرائياً، أومصدر أي: إنفاقاً رياءً ﴿ ولا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ والْيَوْمِ الآخِرِ﴾ لا يريد به رضى الله ولا ثوابه في الآخرة﴿ فَمَثَلُهُ﴾ في إنفاقه ﴿ كَمَثَلِ صَفْوانٍ﴾ حجر أملس ﴿ عَلَيْهِ تُرابٌ فَأَصابَهُ وابِلٌ ﴾ مطر عظيم القطر﴿ فَتَرَكَهُ صَلْداً﴾ أجرد لا تراب عليه ﴿ لا يَقْدِرُونَ عَلى شَيْءٍ مِمَّا كَسَبُوا﴾ لا ينتفعون بما عملوه، ولا يجدون ثوابه، والضمير للذي ينفق مراد به الجنس، أو الفريق ﴿ واللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكافِرِينَ﴾ لا يقسرهم[1] على الطاعة، أوالخير والإرشاد، وفيه تعريض بان الرياء والمن والأذى على الإنفاق من صفة الكفار، ولا بد للمؤمن ان يتجنب عنها.

---

(١) لا يكرههم أولا يجبرهم.

[سورة البقرة الآيات ٢٦٥ - ٢٦٩]

وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَـَٔاتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٦٥﴾ أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُۥ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ لَهُۥ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَأَصَابَهُ ٱلْكِبَرُ وَلَهُۥ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَآءُ فَأَصَابَهَآ إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَٱحْتَرَقَتْ ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴿٢٦٦﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنفِقُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّآ أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ ۖ وَلَا تَيَمَّمُوا۟ ٱلْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ وَلَسْتُم بِـَٔاخِذِيهِ إِلَّآ أَن تُغْمِضُوا۟ فِيهِ ۚ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ حَمِيدٌ ﴿٢٦٧﴾ ٱلشَّيْطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِٱلْفَحْشَآءِ ۖ وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ

عَلِيمٌ ﴿٢٦٨﴾ يُؤْتِي ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٦٩﴾

﴿ ومَثَلُ الَّذينَ يُنْفِقُونَ أَمْوالَهُمُ ابْتِغاءَ مَرْضاتِ اللّٰه وتَثْبيتاً مِنْ أَنْفُسِهِمْ﴾ وليثبتوا بعضها على الإيمان، فان المال شقيق الروح، فمن بذل ماله للّٰه تعالى ثبت بعض نفسه، ومن بذل ماله وروحه ثبتها كلها، أوتصديقاً للإسلام وتحقيقاً للجزاء، مبتدءاً من أصل أنفسهم، القمي: تثبيتاً من أنفسهم عن المن والأذى، وعن الباقر (ع) نزلت في علي (ع) ﴿ كَمَثَلِ جَنَّةٍ﴾ أي: مثل نفقتهم كمثل انسان[1] ﴿ بِرَبْوَةٍ﴾ بمكان مرتفع، فان شجره يكون أحسن منظراً وأزكى ثمراً، وفتح عاصم وابن عامر الراء، وضمها الباقون ﴿ أَصابَها وابِلٌ﴾ مطر عظيم القطر ﴿ فَآتَتْ أُكُلَها﴾ ثمرتها، وسكنه ابن كثير ونافع وأبوعمرو﴿ ضِعْفَيْنِ﴾ مثل ما كانت تثمر بسبب الوابل، وقيل أربعة أمثاله ونصب حالاً، أي: مضاعفاً ﴿ فَإِنْ لَمْ يُصِبْها وابِلٌ فَطَلٌّ ﴾ أي: فيصيبها طل، أوفالذي يصيبها طل، أوفطل يكفيها لكرم منبتها وبرودة هوائها لارتفاع مكانها، والطل: ما يقع بالليل على الشجر والنبات، والمعنى: ان نفقة هؤلاء زاكية عند اللّٰه لا تضيع بحال، وان كانت تتفاوت باعتبار ما ينضم إليها من أحوالها ﴿ واللّٰهُ بما تَعْمَلُونَ بَصيرٌ﴾ ترغيب في الإخلاص، وترهيب من الرّياء﴿ أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ﴾ الهمزة للإنكار ﴿أَنْ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِنْ نَخيلٍ وأَعْنابٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهارُ لَهُ فِيها مِنْ كُلِّ الثَّمَراتِ﴾ جعل الجنة منهما[2] ـ مع ما فيها من

---

(١) كذا في الخطية والظاهر انها مصحّف (بستان).

(٢) من النخيل والأعناب.

سائر الأشجار- تغليباً لهما لشرفهما وكثرة منافعهما، ثم ذكر ان فيها من كل الثمرات ليدل على احتوائها على سائر انواع الأشجار، ويجوز أن يكون المراد بالثمرات المنافع ﴿ وأصابَهُ الْكِبَرُ﴾ أي: كبر السّن، فان الفاقة[1] في الشيخوخة أصعب، والواوللحال، أوللعطف حملاً على المعنى أي: أ يود أحدكم لوكانت له جنة ﴿ وأصابَهُ الْكِبَرُ ولَهُ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفاءُ ﴾ لا قدرة لهم على الكسب ﴿ فَأصابَها إعْصارٌ ﴾ ريح مستدبرة من الأرض نحوالسماء كالعمود ﴿ فيهِ نارٌ فَاحْتَرَقَتْ﴾ عطف على (أصابه)، أوتكون باعتبار المعنى ﴿كَذلكَ﴾ أي: مثل هذا التبيين ﴿ يُبَيِّنُ اللّهُ لَكُمُ الآياتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾ فيها، فتعتبرون بها ﴿ يا أيُّهَا الَّذينَ آمَنُوا أنْفِقُوا مِنْ طَيِّباتِ ما كَسَبْتُمْ﴾ من جيده، أوحلاله ﴿ ومِمَّا أخْرَجْنا لَكُمْ مِنَ الأرْضِ﴾ حذف المضاف لسبق ذكره، أي: ومن طيبات ما أخرجنا من الغلات والثمار والمعادن ﴿ ولا تَيَمَّمُوا الْخَبيثَ مِنْهُ﴾ ولا تقصدوا الردي، أوالحرام من المال مطلقاً ﴿ تُنْفِقُونَ﴾ حال من فاعل (تيمموا) ويجوز تعلق (منه) به والضمير للخبيث والجملة حال منه ﴿ ولَسْتُمْ بِآخِذيهِ﴾ والحال انه لا تأخذونه في حقوقكم لخبثه ﴿ إلا أنْ تُغْمِضُوا فيهِ﴾ تتسامحوا في أخذه ﴿ واعْلَمُوا أنَّ اللّهَ غَنِيٌّ﴾ عن إنفاقكمة ﴿ حَميدٌ﴾ بقبوله، عن علي (ع): نزلت في قوم كانوا يأتون بالحشف[2] فيدخلونه في تمر الصدقة، وفي النبوي: ان اللّه يقبل الصدقات، ولا يقبل منها إلا الطيب ﴿ الشَّيْطانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ﴾ في الإنفاق ووجوه البر، و(الوعد) يستعمل في الخير

---

(١) الفقر.

(٢) الحَشَفُ: هوالتمر الرديء الذي يجف ويصلب قبل نضجه.

والشر ﴿ وَيَأْمُرُكُمْ بِالْفَحْشاءِ ﴾ ويغويكم على البخل ومنع الزكاة، إغواء الآمر للمأمور، والعرب تسمي البخيل (فاحشاً) ﴿ واللَّهُ يَعِدُكُم ﴾ في الإنفاق ﴿ مَغْفِرَةً مِنْهُ ﴾ لذنوبكم وكفارة لها ﴿ وفَضْلاً ﴾ وخلفاً أفضل مما أنفقتم في الدنيا، أو في الآخرة، أو في كلتيهما ﴿ واللَّهُ واسِعٌ ﴾ الفضل لمن أنفق ﴿ عَلِيمٌ ﴾ بإنفاقه ﴿ يُؤْتِي الْحِكْمَةَ ﴾ تحقيق العلم وإتقان العمل، وعن الصادق (ع): طاعة الله، ومعرفة الإمام، واجتناب الكبائر التي أوجب الله عليها النار، وفي آخر: المعرفة، والفقه في الدين ﴿ مَنْ يَشاءُ ﴾ قدم ثاني المفعولين اهتماماً به ﴿ ومَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ ﴾ وكسر يعقوب التّاء، أي: يؤته الله ﴿ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْراً كَثِيراً ﴾ تنكيرُ تعظيمٍ أي: أيُّ خيرٍ كثير ﴿ وما يَذَّكَّرُ إلاّ أُولوا الألْبابِ ﴾.

[سورة البقرة الآيات ٢٧٠- ٢٧٤]

وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن نَّفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُم مِّن نَّذْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُهُۥ ۗ وَمَا لِلظَّـٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿٢٧٠﴾ إِن تُبْدُوا۟ ٱلصَّدَقَـٰتِ فَنِعِمَّا هِىَ ۖ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا ٱلْفُقَرَآءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّـَٔاتِكُمْ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٧١﴾ لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَىٰهُمْ وَلَـٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ۗ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنفُسِكُمْ ۚ وَمَا تُنفِقُونَ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ ٱللَّهِ ۚ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴿٢٧٢﴾ لِلْفُقَرَآءِ ٱلَّذِينَ أُحْصِرُوا۟ فِى

سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي ٱلْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ ٱلْجَاهِلُ أَغْنِيَآءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم بِسِيمَٰهُمْ لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلْحَافًا ۗ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴿٢٧٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٧٤﴾

﴿ وَما أَنْفَقْتُمْ مِنْ نَفَقَةٍ﴾ قليلة أو كثيرة سراً أوعلانية، في حقٍ أوباطل ﴿أونَذَرْتُمْ مِنْ نَذْرٍ﴾ في طاعة أومعصية ﴿ فَإِنَّ اللّهَ يَعْلَمُهُ﴾ فيجازيكم عليه﴿ وما لِلظّالمينَ﴾ الذين ينفقون في المعاصي وينذرون فيها، أويمنعون الصدقات، ولا يوفون بالنذر ﴿ مِنْ أنصارٍ﴾ تمنعهم من عذاب الله ﴿ إِنْ تُبْدُوا الصَّدَقاتِ فَنِعِمَّا هِيَ﴾ فنعم شيئاً إبداؤها ﴿ وإِنْ تُخْفُوها وتُؤْتُوهَا﴾ وتعطوها مع الإخفاء﴿ الْفُقَراءَ فَهُوَخَيْرٌلَكُمْ﴾ عن الصادق (ع): هي سوى الزكاة، إن الزكاة علانية غير سرّ، وعنه (ع): كل ما فرض الله عليك فإعلانه أفضل من إسراره، وكل ما كان تطوّعاً فإسراره أفضل من إعلانه، ولوأن رجلاً حمل زكاة ماله على عاتقه فقسمها علانية كان ذلك حسناً جميلاً ﴿ ويُكَفِّرُ﴾ الله، أوالإخفاء ﴿ عَنْكُمْ مِنْ سَيِّئاتِكُمْ واللّهُ بِما تَعْمَلُونَ خَبيرٌ﴾ ترغيب في الإسرار، ومجانبة الرّياء ﴿لَيْسَ عَلَيْكَ هُداهُمْ﴾ لا يجب عليك ان تجعلهم مهديين، وإنما عليك تبليغهم الأوامر والنواهي ﴿ ولكِنَّ اللّهَ يَهْدِي مَنْ يَشاءُ﴾ يلطف

ممن[١] يعلم أن اللطف ينفع فيه فينتهي عما نهى عنه ﴿ وما تُنفقُوا مِنْ خَيْرٍ﴾ مال ﴿ فلأنفُسكُم﴾ ثوابه لا لغيركم، فلا تمنّوا عليه، ولا تنفقوا الخبيث ﴿ وما تُنفقُونَ إلاّ ابْتغاءَ وَجْهِ اللَّهِ﴾ أي: حال كونكم غير منفقين إلا لإبتغاء مرضاته، وقيل: نفي في معنى النهي ﴿ وما تُنفقُوا مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إلَيْكُمْ﴾ ثوابه أضعافاً مضاعفة، فلا عذر لكم في الترك، وهوتأكيد للشرطية السابقة ﴿ وأنتُمْ لا تُظلَمُونَ﴾ ولا تنقصون ثواب نفقتكم﴿ لِلفُقَراء﴾ أي: أعمدوا، أوصدقاتكم﴿ الَّذينَ أُحصِرُوا﴾ أحصرهم الجهاد ﴿ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لا يَستَطيعُونَ﴾ لاشتغالهم به ﴿ ضَرْباً فِي الأرْضِ﴾ ذهاباً فيها للكسب، عن الباقر (ع) انها نزلت في أصحاب الصّفة[٢] قيل هم نحومن اربعمائة من فقراء المهاجرين كانوا في صفة المسجد، دأبهم التعلم والعبادة والخروج في كل سريّة يبعثها النبي (ص) ﴿ يَحْسَبُهُمُ الجاهِلُ﴾ بحالهم ﴿ أغْنِياءَ مِنَ التَّعَفُّفِ﴾ عن المسألة ﴿ تَعْرِفُهُمْ بِسيماهُمْ﴾ من صفرة الوجه، ورثاثة الحال، والخطاب له (ص)، أوعام ﴿ لا يَسْئَلُونَ النَّاسَ إلْحافاً﴾ إلحاحاً، نصب مصدراً لأنه سؤال خاص، وهوأن يلازم حتى يُعطَى أوحالاً والمعنى: لا يسألون وإن سألوا للضرورة لم يلحفوا، أونفي الأمرين﴿ وما تُنفقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾ ترغيب في الإنفاق ﴿ الَّذينَ يُنفقُونَ أمْوالَهُمْ بِاللَّيْلِ والنَّهارِ سِرّاً وعَلانيَةً﴾ يعمون الأوقات والأحوال وأموالهم بالصدقة، روى العامة والخاصة: انها نزلت في علي (ع) كانت معه اربعة دراهم لم يملك غيرها، فتصدق بدرهم ليلاً، وبدرهم نهاراً، وبدرهم سراً، وبدرهم علانية، وهي

---

(١) بمن.

(٢) الصُفّة: مكان مظلّل في مسجد المدينة كان يأوي اليه فقراء المهاجرين ويرعاهم الرسول(ص)فسموا (أصحاب الصُفّة).

جارية في الأمة ﴿ فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ ﴾ بالإستحقاق ﴿ عِنْدَ رَبِّهِمْ ولا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ ﴾ من أهوال القيامة ﴿ ولا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ فيها.

[سورة البقرة الآيات ٢٧٥-٢٨١]

ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَـٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْبَيْعُ مِثْلُ ٱلرِّبَوٰاْ ۗ وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْ ۚ فَمَن جَآءَهُۥ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ فَٱنتَهَىٰ فَلَهُۥ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَمَنْ عَادَ فَأُوْلَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ ﴿٢٧٥﴾ يَمْحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰاْ وَيُرْبِى ٱلصَّدَقَـٰتِ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ ﴿٢٧٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٧٧﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِىَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٧٨﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ فَأْذَنُواْ بِحَرْبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۖ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَٰلِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ ﴿٢٧٩﴾ وَإِن كَانَ ذُو

عُسۡرَةٖ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيۡسَرَةٖۚ وَأَن تَصَدَّقُواْ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿٢٨٠﴾ وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا تُرۡجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِۖ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفۡسٖ مَّا كَسَبَتۡ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ ﴿٢٨١﴾

﴿الَّذينَ يَـأكُلُونَ الرِّبـا﴾ يأخذونـه، وذكـر الاكـل لأنـه أغلـب منـافع المـال، والربا: الزيادة في المعاملة أجلاً وعوضاً، وكتب كالـصلاة ـ علـى لغـة ـ تفخيمـاً، وألحقَ الفاً تشبيهاً بواوالجمع ﴿لا يَقُومُونَ﴾ إذا بعثوا من قبورهم ﴿إلاّ كَما يَقُـومُ الَّذي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطانُ﴾ إلا قياماً كقيام المصروع، بنـاء علـى زعمهـم أن الـشيطان يخبطه فيصرع، والخبط: ضرب على غير استواء ﴿مِنَ الْمَسِّ﴾ الجنون، وهو ـ على زعمهم ـ أن الجني يمسه فيختلط عقله، يعني: انهم ينهضون ويسقطون كالمصروعين، في النبوي (ص): لما أسري بي إلى السماء رأيت قوماً يريد أحدهم أن يقوم فلا يقدر ان يقوم من عِظَم بطنه، فقلت: من هؤلاء يا جبرئيل؟ قال: هؤلاء الذين يأكلون الربا لا يقومون إلخ، وروي: آكل الربا لا يخرج من الدنيا حتى يتخبطه الشيطان ﴿ذلِكَ﴾ العقاب ﴿بِأَنَّهُمْ قالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبا﴾ قاسوه عليه، فكما جاز بيع ما يساوي درهماً بدرهمين جاز بيع درهم بدرهمين، وكان الأصل انما الربا مثل البيع، ولعل العكس لأنهم جعلوا الربا أصلاً وقاسوا به البيع، أوللمبالغة ﴿وأَحَلَّ اللّهُ الْبَيْعَ وحَرَّمَ الرِّبا﴾ رد لقياسهم، إذ الاحكام تبع للحكمة، فجاز اختلاف حكم المتماثلين لحكمة يعلمها الله، وعن الصادق (ع): انما حرم الله الربا لئلا يمتنع الناس من اصطناع المعـروف، يعني: القرض الحسن ﴿فَمَنْ جاءَهُ﴾ بلغه ﴿مَوْعِظَةٌ﴾ ونهي ﴿مِنْ رَبِّهِ فَانْتَهى﴾ فاتعظ

﴿ فَلَهُ ما سَلَفَ﴾ أخذه قبل النهي لا يلزمه ردّه، عن الباقر (ع): الموعظة التوبة، وعن الصادق (ع): كل ربا أكله الناس بجهالة ثم تابوا فإنه يقبل منهم إذا عرف منهم التوبة ﴿ وأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ﴾ يحكم في شأنه ولا اعتراض لكم عليه، أويجازيه على انتهائه ان اتعظ للّه تعالى﴿ ومَنْ عادَ﴾ إلى الربا ﴿ فَأُولئِكَ أَصْحابُ النَّارِ هُمْ فِيها خالِدُونَ﴾ لكفرهم بتحليل ما حرم اللّه، أوأريد: المكث الطويل، سئل الصادق (ع) عن الرجل يأكل الربا وهويرى أنه حلال؟ قال: لا يضره حتى يصيبه متعمداً، فهوبالمنزلة التي قال اللّه، وعن الرضا (ع): هوكبيرة بعد البيان، والإستخفاف بذلك دخول في الكفر ﴿ يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبا﴾ يذهب بركته، ويهلك المال الذي يدخل فيه، قيل للصادق (ع): نرى من يأكل الربا يربوماله؟ قال: فأي محق أمحق من درهم ربا يمحق الذي يدخل فيه، وفي آخر: يمحق الدين وإن تاب منه ذهب ماله وافتقر ﴿ ويُرْبِي الصَّدَقاتِ﴾ ينميها بزيادة الثواب والمال، في النبوي (ص): يربيها اللّه لعباده كما يربي أحدكم مهره[1] أوفصيله[2]، حتى ان اللقمة لتصير مثل جبل أحد، ونحوه أخبار أخر، وفيه: ما نقص مال من صدقة ﴿ واللَّهُ لا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ﴾ مصر على تحليل الحرام﴿ أَثِيمٍ﴾ منهمك في ارتكابه ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ باللّه ورسله ﴿ وعَمِلُوا الصَّالِحاتِ﴾ عطف على (آمنوا) ولا يدل على خروج العمل عن الإيمان كما لا يدل عطف﴿ وأَقامُوا الصَّلاةَ وآتَوُا الزَّكاةَ﴾ عليه على خروجه عنه ﴿لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ ولا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾ على آت ﴿ ولا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ على فائت ﴿ يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وذَرُوا ما بَقِيَ مِنَ الرِّبا﴾ واتركوا بقايا ما شرطتم على الناس من الربا ﴿ إِنْ كُنْتُمْ

---

(١) المُهْرُ: أول ما تنتجه الخيل من الولادات.

(٢) الفَصيل: ولَدُ الناقة أوالبقرة بعد فطامه ، سمي (فصيلاً) لأنه فُصِلَ عن أمه.

مُؤْمِنِينَ﴾ بقلوبكم، عن الباقر (ع): إن الوليد بن المغيرة كان يربي في الجاهلية وقد بقي له بقايا على ثقيف، فأراد خالد بن الوليد المطالبة بها بعد أن أسلم، فنزلت ﴿فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ أي: فأعملوا بها من أذن به، أي: علم، وقرأ حمزة وعاصم في رواية (فآذنوا) أي: فأعلموا بها غيركم، من الأذن أي: الاستماع، وتنكير (حرب) للتعظيم وحرب الله وحرب رسوله (ص)[1]، عن الصادق (ع): درهم ربا أشد عند الله من سبعين زنية كلها بذات محرم مثل خالة وعمة في بيت الله الحرام، وعن علي (ع): لعن رسول الله (ص) الربا وآكله وبايعه ومشتريه وكاتبه وشاهديه ﴿وَإِنْ تُبْتُمْ﴾ من الإرتباء[2] ﴿فَلَكُمْ رُؤُسُ أَمْوَالِكُمْ لا تَظْلِمُونَ﴾ بأخذ الزيادة ﴿وَلا تُظْلَمُونَ﴾ بالنقصان ﴿وَإِنْ كَانَ﴾ وقع غريم ﴿ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ﴾ أي: فالحكم نظرة، أوفعليكم نظرة، أوفليكن نظرة، وهي: الإنظار ﴿إِلَى مَيْسَرَةٍ﴾ يسار، وقرأ نافع وحمزة بضم السين، وقرأ بهما مضافين بحذف التاء عند الإضافة، عن الصادق (ع): إن حد الإعسار أن لا يقدر على ما يفضل عن قوته وقوت عياله على الإقتصاد ﴿وَأَنْ تَصَدَّقُوا﴾ بالابراء ﴿خَيْرٌ لَكُمْ﴾ أكثر ثواباً من الأنظار، أوخير مما تأخذون لبقاء ثوابه ﴿إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ إنه معسر فتصدقوا عليه بما لكم عليه فهوخير ـ لكم كما عن الصادق (ع) ـ وقال (ع): خلّوا سبيل المعسر كما خلاّه الله أوتعلمون الخير والشر ﴿وَاتَّقُوا يَوْماً تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ﴾ يوم القيامة، أويوم الموت، أوالأعم فتأهّبوا[3]

---

(١) الظاهر أن (الواو) زائدة، والجملة (وحرب الله حرب حرب رسوله).

(٢) الإرتباء: التعامل بالربا.

(٣) إستعدوا.

لمصيركم إليه ﴿ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ﴾ جزاء ما عملت من خير أوشر ﴿وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ بنقص ثواب وزيادة عقاب، وروي: أنها آخر آية نزلت.

[سورة البقرة آية ٢٨٢]

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَٱكْتُبُوهُ ۚ وَلْيَكْتُب بَّيْنَكُمْ كَاتِبٌۢ بِٱلْعَدْلِ ۚ وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَن يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ ٱللَّهُ ۚ فَلْيَكْتُبْ وَلْيُمْلِلِ ٱلَّذِى عَلَيْهِ ٱلْحَقُّ وَلْيَتَّقِ ٱللَّهَ رَبَّهُۥ وَلَا يَبْخَسْ مِنْهُ شَيْـًٔا ۚ فَإِن كَانَ ٱلَّذِى عَلَيْهِ ٱلْحَقُّ سَفِيهًا أَوْ ضَعِيفًا أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ أَن يُمِلَّ هُوَ فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُۥ بِٱلْعَدْلِ ۚ وَٱسْتَشْهِدُواْ شَهِيدَيْنِ مِن رِّجَالِكُمْ ۖ فَإِن لَّمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَٱمْرَأَتَانِ مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ ٱلشُّهَدَآءِ أَن تَضِلَّ إِحْدَىٰهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَىٰهُمَا ٱلْأُخْرَىٰ ۚ وَلَا يَأْبَ ٱلشُّهَدَآءُ إِذَا مَا دُعُواْ ۚ وَلَا تَسْـَٔمُوٓاْ أَن تَكْتُبُوهُ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا إِلَىٰٓ أَجَلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِ وَأَقْوَمُ لِلشَّهَٰدَةِ وَأَدْنَىٰٓ أَلَّا تَرْتَابُوٓاْ ۖ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلَّا تَكْتُبُوهَا ۗ وَأَشْهِدُوٓاْ إِذَا تَبَايَعْتُمْ ۚ وَلَا يُضَآرَّ كَاتِبٌ

وَلَا شَهِيدٌۚ وَإِن تَفۡعَلُواْ فَإِنَّهُۥ فُسُوقُۢ بِكُمۡۗ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ﴿٢٨٢﴾

﴿يا أَيُّهَا الَّذينَ آمَنُوا إِذا تَدايَنْتُمْ بِدَيْنٍ﴾إذا داين بعضكم بعضاً، والتداين والمداينة: المعاملة نسية ـ معطياً أوآخذاً ـ وذكر (الدّين) مع (تداينتم) تأكيداً، أولرفع توهمه بمعنى تجازيتم من أول الأمر، وعن ابن عباس: أنها في السّلم[1] خاصة ﴿ إِلى أَجَلٍ مُسَمًّى﴾ موقت بالأيام والشهور، لا بالحصاد ونحوه ﴿ فَاكْتُبُوهُ﴾ لأنه أوثق، والأمر للإستحباب، أوالإرشاد ﴿ وَلْيَكْتُبْ بَيْنَكُمْ كاتِبٌ بِالْعَدْلِ ﴾ بالسوية لا يزيد ولا ينقص﴿ وَلا يَأْبَ كاتِبٌ أَنْ يَكْتُبَ﴾ لا يمتنع أحد من الكتابة ﴿كَما عَلَّمَهُ اللَّهُ﴾ مثل ما علمه من الكتابة بالعدل، فقيل: النهي للتحريم، والكتابة فرض كفائي، وقيل: نسخ وجوبها بـ(ولا يضار كاتب) ﴿ فَلْيَكْتُبْ﴾ الكتابة المعلمة، عقب النهي عن الامتناع منها بالأمر بها تأكيداً ﴿ وَلْيُمْلِلِ الَّذي عَلَيْهِ الْحَقُّ﴾ أي: المديون، لأنه المشهود عليه، و(الإملال) الإملاء ﴿ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ﴾ في الإملال ﴿ وَلا يَبْخَسْ مِنْهُ﴾ ولا ينقص من الحق ﴿ شَيْئاً﴾ ـ قدراً أووصفاً ـ ﴿ فَإِنْ كانَ الَّذي عَلَيْهِ الْحَقُّ سَفيهاً﴾ ناقص العقل مُبَذّراً ﴿ أَوْضَعيفاً﴾ صبياً، أوشيخاً مختلاً ﴿ أَوْلا يَسْتَطيعُ﴾ أوغير مستطيع ﴿ أَنْ يُمِلَّ هُوَ﴾ بخرس، أو جهل اللغة ﴿ فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُ بِالْعَدْلِ﴾ أي: من يلي أمره، كالأب والجد والوصي والحاكم والوكيل، وعن الصادق (ع): السفيه: الذي يشتري الدراهم بأضعافه، والضعيف: الأبله، وعنه (ع): السفيه: شارب

(١) السَلَم: هوبيع الشيء المؤجل بثمن عاجل ، فيأخذ البائع الثمن قبل ان يُسلِم الشيء المبيوع.

الخمر، والضعيف: الذي يأخذ واحداً باثنين ﴿ واسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجالِكُمْ﴾ المؤمنين، ويفيد اشتراط بلوغ الشاهد وإيمانه، وروي: من المسلمين الأحرار ﴿ فَإنْ لَمْ يَكُونا﴾ الشهيدان ﴿ رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ﴾ فليشهد رجل ﴿ وامْرَأتانِ﴾ وخص بالأموال في السّنة ﴿ مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَداءِ﴾ في تفسير الإمام: يعني ممن ترضون دينه وأمانته وصلاحه وعفته، وتيقظه فيما يشهد به، وتحصيله وتمييزه ﴿ أنْ تَضِلَّ إحْداهُما﴾ الشهادة بأن تنساها ﴿ فَتُذَكِّرَ إحْداهُمَا الأُخْرى﴾ وإنما اعتبر التعدد في المرأة لإرادة أن تذكر إحداهما الأخرى إن ضلّت ونسيت الشهادة، وذلك لنقصان عقولهن وقلة ضبطهن[1] والعلة ـ في الحقيقة ـ التذكير وضع سببه مقامه، وقرأ حمزة (إن تضل) على الشرط، ورفع (فتذكر) وابن كثير وأبوعمرو(فتذكر) من الإذكار ﴿ ولا يَأْبَ الشُّهَداء إذا ما دُعُوا﴾ لإقامة الشهادة، أوتحملها، وسمّوا (شهداء) لمجاز المشارفة، و(ما) زائدة، وظاهر النهي التحريم، وعن الصادق (ع) ـ في الآية ـ قال: لا ينبغي لأحد إذا دعي للشهادة يشهد عليها أن يقول: لا أشهد لكم، وعنه (ع): فذلك قبل الكتاب، وفي آخر: قبل الشهادة، وفي آخر حين يدعى قبل الكتاب، وقوله: ومن يكتمها بعد الشهادة ﴿ ولا تَسْئَمُوا﴾ لا تملّوا ﴿ أنْ تَكْتُبُوهُ﴾ أي: الدّين، أو الحق ﴿ صَغيراً﴾ كان ﴿ أوكَبيراً إلى أجَلِه﴾ المسمّى ﴿ ذلكُمْ﴾ الكتب ﴿ أقْسَطُ ﴾ أعدل ﴿ عِنْدَ اللّه وأقْوَمُ﴾ وأثبت ﴿ للشَّهادَة وأدْنى ألاّ تَرْتابُوا﴾ وأقرب إلى أن لا تشكوا في قدر الدّين وأجله ﴿ إلاّ أنْ تَكُونَ تجارَةً﴾ استثناء عن مفعول (فاكتبوه) الراجع إلى (دين) بإعتبار تعلق الكتابة به وتعلقه بالتداين، وما بينهما اعتراض، أي: اكتبوا

(١) بعض هذه الأحكام تراعي البنية التكوينية للمرأة فهي ـ بلاشك ـ مخلوق أضعف من الرجل وإلاّ فأن حقوق المرأة محفوظة بإعتبارها نصف المجتمع.

الدين المتداين به إلاّ أن يكون تجارة، ونصبها عاصم خبراً، أي: إلاّ أن تكون التجارة تجارة ﴿ حاضِرَةً﴾ حالّة، وتعم المبايعة بعين، أودين غير مؤجل، ولا يبعد تخصيصها بالأول﴿ تُديرُونَها﴾ أي: تتعاطونها ﴿بَيْنَكُمْ﴾ يداً بيد﴿ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُناحٌ أَلاَّ تَكْتُبُوها﴾ لبعدها عن الشك والتنازع﴿ وأَشْهِدُوا إِذا تَبايَعْتُمْ﴾ مطلقاً للإحتياط، والأمر للإستحباب، أو الإرشاد ﴿ ولا يُضارَّ كاتِبٌ ولا شَهِيدٌ﴾ نهاهما عن ترك الإجابة، والتحريف في الكتابة والشهادة ـ إن بني للفاعل ـ ونهي عن الضرار بهما باستعجالهما عن أمر مهم، أو تكليف الكاتب قرطاساً، أو نحوه، أو الشهيد مؤنة مجيئه من بلد إلى بلد إن بني للمفعول ﴿ وإِنْ تَفْعَلُوا﴾ المضارة ﴿ فَإِنَّهُ فُسُوقٌ﴾ خروج عن الطاعة لا حق ﴿ بِكُمْ واتَّقُوا اللَّهَ﴾ في أوامره ونواهيه ﴿ ويُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ﴾ ما فيه مصالحكم ﴿ واللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ ولعل تكرار لفظ (اللّه) في الجمل الثلاث لكونه أدخل في التعظيم من الضمير.

[سورة البقرة الآيات ٢٨٣ - ٢٨٦]

وَإِن كُنتُمْ عَلَىٰ سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا كَاتِبًا فَرِهَٰنٌ مَّقْبُوضَةٌ ۖ فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ ٱلَّذِى ٱؤْتُمِنَ أَمَٰنَتَهُۥ وَلْيَتَّقِ ٱللَّهَ رَبَّهُۥ ۗ وَلَا تَكْتُمُوا ٱلشَّهَٰدَةَ ۚ وَمَن يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُۥٓ ءَاثِمٌ قَلْبُهُۥ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٢٨٣﴾ لِّلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَإِن تُبْدُوا مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُ ۖ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ

شَيۡءٖ قَدِيرٌ ﴿٢٨٤﴾ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَاۚ لَهَا مَا كَسَبَتۡ وَعَلَيۡهَا مَا ٱكۡتَسَبَتۡۗ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذۡنَآ إِن نَّسِينَآ أَوۡ أَخۡطَأۡنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تَحۡمِلۡ عَلَيۡنَآ إِصۡرٗا كَمَا حَمَلۡتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلۡنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦۖ وَٱعۡفُ عَنَّا وَٱغۡفِرۡ لَنَا وَٱرۡحَمۡنَآۚ أَنتَ مَوۡلَىٰنَا فَٱنصُرۡنَا عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٢٨٦﴾

﴿ وإِنْ كُنْتُمْ عَلى سَفَرٍ﴾ مسافرين ﴿ ولَمْ تَجِدُوا كاتِباً فَرِهانٌ مَقْبُوضَةٌ ﴾ تقوم مقام الوثيقة، أو فالوثيقة رهان، ويقيد الارتهان بالسفر وعدم وجدان الكاتب خرج مخرج الغالب، واعتبر الجمهور ـ سوى مالك ـ فيه القبض، وعليه أكثر الأصحاب، وادعى الطبرسي عليه الإجماع، وعن الصادق (ع): لا رهن إلاّ مقبوضاً، وقرأ ابن كثير وابن عامر (فرهن) كـ(سُقُف)، وكلاهما جمع (رهن) بمعنى: المرهون ﴿ فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُمْ بَعْضاً ﴾ بأن وثق الدائن بالمديون ولم يرتهن منه ﴿ فَلْيُؤَدِّ الَّذي اؤْتُمِنَ أَمانَتَهُ﴾ أي: دينه الذي ائتمنه عليه، سمّي (أمانة) لائتمانه عليه ﴿ ولْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ﴾ في الخيانة وإنكار الحق، وفي ذكر (الرب) والإضافة إلى المؤتمن بعد ذكر الاسم الدال على الذات الجامع لصفات الكمال، المقتضية للإتقاء الإعطاف والإفضال، وإظهار الملاطفة ﴿ ولا تَكْتُمُوا الشَّهادَةَ﴾ أيها الشهود، ومن﴿ يَكْتُمْها﴾ مع تمكنه من أدائها ﴿ فَإِنَّهُ آثِمٌ﴾ خبر (إن)

﴿ قَلْبُهُ﴾ فاعله، أومبتدأ و(آثم) خبره، والجملة خبر (إنّ) وأسند الإثم إلى القلب لأن الكتمان فعله لأنه رئيس الأعضاء، كأنه قيل تمكّن الإثم في نفسه وملك أشرف أعضائه، وعن الباقر (ع): كافر قلبه ﴿ واللّهُ بِما تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ لِلّهِ ما فِي السَّماواتِ وما فِي الأَرْضِ﴾ خلقاً وملكاً﴿ وإِنْ تُبْدُوا ما فِي أَنْفُسِكُمْ ﴾ من خير أوشر﴿ أَوتُخْفُوهُ يُحاسِبْكُمْ بِهِ اللّهُ﴾ في القيامة ﴿ فَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشاءُ﴾ فضلاً ﴿ ويُعَذِّبُ مَنْ يَشاءُ﴾ عدلاً ﴿واللّهُ عَلى كُلِّ شَيْءٍ﴾ من المحاسبة والمغفرة والعذاب وغيرها ﴿ قَدِيرٌ آمَنَ الرَّسُولُ بِما أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ﴾ شهادة وتنصيص من اللّه على الاعتداد بإيمانه﴿والْمُؤْمِنُونَ﴾ عطف على (الرسول)، وما بعده إستئناف﴿كُلٌّ آمَنَ بِاللّهِ ومَلائِكَتِهِ وكُتُبِهِ ورُسُلِهِ﴾ مبتدأ وخبر، أي: كل واحد منهم، فالضمير المنوي للـ(لرسول) و(المؤمنين) أومبتدأ والضمير للـ(لمؤمنين) والخبر جملة (كل آمن باللّه وملائكته وكتبه ورسله) وقرأ حمزة والكسائي (وكتابه) أي: القرآن، أوالجنس﴿ لا نُفَرِّقُ﴾ أي: يقولون لا نفرق﴿بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ﴾ وقرأ يعقوب بالياء، و(أحد) في معنى الجمع لوقوعه في سياق النفي، ولذلك دخل عليه (بين) والمراد نفي التفريق في التصديق ﴿ وقالُوا سَمِعْنا﴾ أجبنا ﴿ وأَطَعْنا﴾ أمرك ﴿ غُفْرانَكَ﴾ أي: نطلب، أواغفر غفرانك﴿ رَبَّنا وإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾ المرجع بعد الموت، وهوإقرار بالبعث﴿ لا يُكَلِّفُ اللّهُ نَفْساً إِلاَّ وُسْعَها﴾ أي: ما تتسع فيه طاقتها فضلاً ورحمة، قال الصادق (ع): ما أمر العباد إلاّ بدون سعتهم، وكل شيء أمر الناس بأخذه فهم متسعون له، وما لايتسعون له فهوموضوع عنهم، ولكن الناس لا خير فيهم ﴿لَها ما كَسَبَتْ﴾ من خير﴿ وعَلَيْها مَا اكْتَسَبَتْ﴾ من شر، لا يثاب بطاعتها ولا يؤاخذ بذنبها غيرها، وخص الكسب بالخير، والاكتساب بالشر، لأن في الاكتساب أعمالاً، والشر تشهية النفس الأمّارة فهي أعمل في تحصيله بخلاف الخير، وفي إشارة أخرى وهوأن

الخير القليل ينفعها ولا يضرها إلاّ الشر الكثير تفضلاً، ولذا ان ترك الكبائر مكفرة للصغائر، لأن كثرة المباني تدل على كثرة المعاني[١] و(اكتسبت) أكثر حروفاً من (كسبت) ﴿ رَبَّنا لا تُؤاخِذْنا إنْ نَسِينا أوأخْطَأنا﴾ إن تعرضنا لما يؤدي بنا إلى نسيان أوخطأ من تفريط أو اغفال، أو إن تركنا أوأذنبنا، أويكون الدعاء به لاستدامة فضله تعالى كـ(اهدنا الصراط المستقيم)، أو على ظاهره إذ لا يمتنع المؤاخذة بهما عقلاً فإن الذنوب كالسموم تناولها يؤدي إلى الهلاك، وإن لم يكن عزيمة لكنه تعالى وعد العفو، أو أن العفوعنها مختص بهذه الأمة دون الأمم السالفة، كما يشعر به النبوي (ص): رفع عن أمتي تسع: الخطأ، والنسيان، وما لا يعلمون، وما لا يطيقون، وما اضطروا إليه، وما استكرهوا عليه، والطيرة[٢]، والوسوسة في التفكير في الخلق، والحسد ـ ما لم يظهر بلسان أو يد ـ ﴿ رَبَّنا ولا تَحْمِلْ عَلَيْنا إصْراً ﴾ حملاً ثقيلاً يأصر صاحبه أي: يحبسه في مكانه، يعني به: التكاليف الشاقة ﴿كَما حَمَلْتَهُ ﴾ أي: حملاً مثل حملكه ﴿ عَلَى الَّذينَ مِنْ قَبْلِنا﴾ كتكليف بني إسرائيل بقتل أنفسهم، وقطع موضع النجاسة من لحومهم، وغير ذلك ﴿ ولا تُحَمِّلْنا ما لا طاقَةَ لَنا بِهِ﴾ من البلاء والعقوبة، أومن التكاليف التي لا تفي بها القوة البشرية ﴿ واعْفُ﴾ وامح ﴿ عَنَّا﴾ ذنوبنا﴿واغْفِرْ لَنا﴾ واسترها ولا تفضحنا بها ﴿ وارْحَمْنا﴾ وأنعم علينا ﴿ أنْتَ مَوْلانا﴾ الأولى بنا من أنفسنا ﴿ فَانْصُرْنا عَلَى الْقَوْمِ الْكافِرِينَ﴾ فمن حق المولى أن ينصر عبيده على أعدائهم.

تمّت ـ ولله الحمد ـ سورة البقرة وتفسيرها.

---

(١) لم تثبت هذه القاعدة في اللغة العربية، وهي مخرومة بكثير من الموارد منها كلمتي (حَذِر)و(حاذر) فمع أن الثانية أكثر حروفاً من الأولى إلاّ أن معنى الأولى أشمل وأوسع من الثانية.

(٢) الطيَرة: هي التشاؤم من بعض الأشياء، يقال: فلان تطيّربكذا أي: تشائم منه ورآه فالاً رديئاً.

سورة آل عمران

(مائتا آية مدنية)

[الآيات ١ – ٩]

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الٓمٓ ﴿١﴾ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ﴿٢﴾ نَزَّلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ﴿٣﴾ مِن قَبْلُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَأَنزَلَ ٱلْفُرْقَانَ ۗ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ ﴿٤﴾ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَىْءٌ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴿٥﴾ هُوَ ٱلَّذِى يُصَوِّرُكُمْ فِى ٱلْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَآءُ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٦﴾ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ ۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٧﴾ رَبَّنَا لَا

تُزِغۡ قُلُوبَنَا بَعۡدَ إِذۡ هَدَيۡتَنَا وَهَبۡ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحۡمَةًۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡوَهَّابُ ﴿٨﴾ رَبَّنَآ إِنَّكَ جَامِعُ ٱلنَّاسِ لِيَوۡمٖ لَّا رَيۡبَ فِيهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخۡلِفُ ٱلۡمِيعَادَ ﴿٩﴾

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ الم﴾ مرّ الكلام فيه، وعن الصادق (ع): (الم) في أول آل عمران معناه انا اللّه المجيد ﴿اللَّهُ لا إِلهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ مرّ تفسيره ﴿نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتابَ﴾ أي: القرآن جملة ﴿بِالْحَقِّ﴾ بالعدل، أوبالصدق في إخباره، أوبالحجج المحققة أنه من عند اللّه وهوفي موضع الحال عن المفعول ﴿مُصَدِّقاً لِما بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ من الكتب ﴿وأَنْزَلَ التَّوْراةَ والإِنْجِيلَ﴾ جملة على موسى وعيسى وهما أعجميان، وقيل: مشتقان من (الورى) و(النجل) و وزنهما (تفعلة) و(افعيل) ﴿مِنْ قَبْلُ﴾ تنزيل القرآن ﴿هُدىً لِلنَّاسِ﴾ عامة، ولقومهما خاصة ﴿وأَنْزَلَ الْفُرْقانَ﴾ جنس الكتب السماوية، فإنها تفرق بين الحق والباطل ـ من عطف العام على الخاص ـ أوالقرآن، وكرر ذكره بوصفه المادح تعظيماً لشأنه ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآياتِ اللَّهِ﴾ من الكتب المنزلة وغيرها ﴿لَهُمْ عَذابٌ شَدِيدٌ﴾ بكفرهم ﴿واللَّهُ عَزِيزٌ﴾ غالب، لا يمنع من التغليب ﴿ذُوانْتِقامٍ﴾ تنكيره للتعظيم، أي: انتقام لا يقدر مثله أحد ولا يعرف كنهه، والنقمة: عقوبة المجرم ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يَخْفى عَلَيْهِ شَيْءٌ﴾ كلياً أوجزئياً، إيماناً أو كفراً ﴿فِي الأَرْضِ ولا فِي السَّماءِ﴾ أي: في العالم، وعبّر عنه بهما إذ الحس لا يتجاوزهما، وقدّم الأرض ترقياً من الأدنى إلى الأعلى، ولأن المقصود ما اقترف فيها ﴿هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الأَرْحامِ كَيْفَ يَشاءُ﴾ من الصور

المختلفة، تقرير للقيمومية واثبات لعلمه تعالى بإتقان فعله في تصوير الجنين كما ان ما قبله تقرير للحياة ﴿ لا إِلهَ إِلاَّ هُوَ﴾ لا يعلم غيره علمه، ولا يقدر قدرته ﴿ الْعَزِيزُ﴾ في سلطانه ﴿ الْحَكِيمُ﴾ في أفعاله، قيل: هذا حجاج على من زعم ان عيسى (ع) كان رباً، كوفد نجران حاجوا الرسول (ص) فيه، فنزلت أوائل السورة إلى نيف[1] وثمانين آية، تقريراً لحجاجه عليهم ﴿ هُوالَّذي أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكتابَ منْهُ آياتٌ مُحْكَماتٌ﴾ أحكمت عبارتها بأن حفظت من الإجمال والاشتباه ﴿ هُنَّ أُمُّ الْكتابِ﴾ أصله يرد إليها غيرها، والقياس (أمهات) فأفرد على إرادة كل واحدة، أوعلى ان الكل بمنزلة واحدة ﴿ وأُخَرُ مُتَشابِهاتٌ﴾ محتملات لا يعلم المراد منها الا بالرجوع إلى الراسخين في العلم، سئل الصادق (ع) عن المحكم والمتشابه، فقال: المحكم: ما يعمل به، والمتشابه: ما اشتبه على جاهله ﴿ فَأَمَّا الَّذينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ﴾ ميل عن الحق إلى البدع ﴿ فَيَتَّبِعُونَ ما تَشابَهَ منْهُ﴾ يتعلقون بظاهره، أوبتأويل باطل ﴿ ابْتغاءَ الْفِتْنَة﴾ طلب ان يفتنوا الناس عن دينهم بالتشكيك والتلبيس، وعن الصادق (ع): الفتنة الكفر ﴿وابْتغاءَ تَأْوِيله﴾ ان يؤولوه على مرادهم ﴿ وما يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ﴾ الحق، وعن الباقر (ع): يعني تأويل القرآن كله ﴿ إِلاَّ اللَّهُ والرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾ الذين ثبتوا فيه وتمكنوا، عن الصادق (ع): نحن الراسخون في العلم، ونحن نعلم تأويله، وفي رواية فرسول اللّه (ص) أفضل الراسخين في العلم، قد علّمه اللّه جميع ما أنزل عليه في التنزيل والتأويل، وما كان اللّه لينزل عليه شيئاً لم يعلمه تأويله، وأوصياؤه بعده يعلمونه كله، وعن الباقر (ع): إن الراسخين في العلم من لا يختلف في علمه ومن وقف على اللّه، فسّر المتشابه بما

---

(١) نيف : الزيادة، ثمانين ونيف، أي: أكثر من ثمانين.

استأثر تعالى بعلمه كوقت قيام الساعة ونحوه، وأصحابنا على الأول﴿ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ﴾ حال من (الراسخين) وخبر له - إن جعل مبتدأ - ﴿ كُلٌّ﴾ أي: من المتشابه والمحكم ﴿ مِنْ عِنْدِ رَبِّنا﴾ الحكيم الذي لا يتناقض كلامه ﴿ وما يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُولُوا الأَلْبابِ﴾ مدح للراسخين، أولمن يتذكر ان العلم بالمتشابه مختص بالراسخين، قال الرضا (ع): من ردّ متشابه القرآن إلى محكمه هدي إلى صراط مستقيم، ثم قال: إن في أخبارنا متشابهاً كمتشابه القرآن، ومحكماً كمحكمه، فردّوا متشابهها إلى محكمها، إلا تتبعوا متشابهها دون محكمها فتضلّوا ﴿ رَبَّنا لا تُزِغْ قُلُوبَنا﴾ من قول الراسخين، أو استئناف، أي: لا تزغها عن نهج الحق وهومن الراسخين خضوع في مقام العبودية، وقيل: لا تبلنا ببلايا تزيغ فيها قلوبنا، وأضيف (الزيغ) إلى اللّه لأنه مسبّب عن امتحانه وخذلانه ﴿ بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنا﴾ إلى الحق ﴿ وهَبْ لَنا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً﴾ بالتوفيق والمعونة ﴿ إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ﴾ للنعم، ولكل سؤال ﴿ رَبَّنا إِنَّكَ جامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ﴾ لحساب يوم وجزائه ﴿ لا رَيْبَ فِيهِ﴾ في وقوعه ﴿ إِنَّ اللَّهَ لا يُخْلِفُ الْمِيعادَ﴾ والموعد لأن الإلهية تنافيه.

[سورة آل‌عمران لآيات ١٠ - ١٥]

إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَن تُغۡنِيَ عَنۡهُمۡ أَمۡوَٰلُهُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيۡـٔٗاۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ وَقُودُ ٱلنَّارِ ﴿١٠﴾ كَدَأۡبِ ءَالِ فِرۡعَوۡنَ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۚ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمۡۗ وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ﴿١١﴾ قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ سَتُغۡلَبُونَ وَتُحۡشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَۚ

وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿١٢﴾ قَدْ كَانَ لَكُمْ ءَايَةٌ فِى فِئَتَيْنِ ٱلْتَقَتَا ۖ فِئَةٌ تُقَٰتِلُ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ رَأْىَ ٱلْعَيْنِ ۚ وَٱللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِۦ مَن يَشَآءُ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُو۟لِى ٱلْأَبْصَٰرِ ﴿١٣﴾ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِ ۗ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ ﴿١٤﴾ قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَٰلِكُمْ ۚ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿١٥﴾

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوالُهُمْ ولا أَوْلادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً﴾ أي: بدل رحمته، أو طاعته، أو من عذابه ﴿وأُولئِكَ هُمْ وَقُودُ النَّارِ﴾ حطبها وقريء بالضم، أي: أهل وقودها حطباً ﴿كَدَأْبِ﴾ مصدر دأب في العمل أي: كدح فيه، فنقل إلى المعنى الشاق، ومحل الكاف الرفع أي دأب هؤلاء كدأب ﴿آلِ فِرْعَوْنَ﴾ في الكفر، أوالنصب بـ(تغني) أو وقود، أي: لن تغني عنهم كما لم تغن عن أولئك، أو توقد بهم كما توقد بأولئك ﴿والَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ عطف على (آل فرعون)

﴿كَذَّبُوا بِآياتنا﴾ تفسير لدأبهم، أو بيان لسببه ﴿فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ﴾ أهلكهم ﴿بِذُنُوبِهِمْ واللَّهُ شَدِيدُ الْعِقابِ﴾ ترهيب للكفرة ﴿قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ مشركي مكة ﴿سَتُغْلَبُونَ﴾ أي: يوم بدر ﴿وتُحْشَرُونَ إِلى جَهَنَّمَ﴾ أولليهود حين حذرهم بعد بدر ان ينزل بهم ما نزل بقريش، فقالوا لا يغرنك انك أصبت أغماراً[1] لا علم لهم بالحرب لئن قاتلتنا لعلمت انا نحن الناس، فنزلت، وصدق الوعد بقتل قريظة، وإجلاء النظير، وضرب الجزية على من بقي، وهو من آيات النبوة، وقرأ حمزة والكسائي بالياء فيهما على الأمر، بأن يحكي لهم ما أخبره بهم من وعيدهم بلفظه ﴿وبِئْسَ الْمِهادُ﴾ جهنم، وما مهدوا لأنفسهم ﴿قَدْ كانَ لَكُمْ آيَةٌ﴾ دلالة معجزة على صدق محمد (ص)، خطاب للمشركين، أواليهود، أوالمؤمنين ﴿فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتا﴾ يوم بدر ﴿فِئَةٌ تُقاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ في دينه وطاعته، وهم الرسول وأصحابه ﴿وَ﴾ فرقة ﴿أُخْرى كافِرَةٌ﴾ وهم مشركومكة ﴿يَرَوْنَهُمْ مِثْلَيْهِمْ﴾ يرى المشركون المسلمين مثلي عدد المشركين وكانوا قريب ألف، أو مثلي عدد المسلمين وكانوا ثلاثمائة وبضعة عشر، قللوا أو لا في أعينهم حتى اجترءوا عليهم كما قال: (ويقللكم في أعينهم)[2] فلمّا لاقوهم كثروا في أعينهم حتى غلبوا، أويرى المؤمنون المشركين مثلي المؤمنين وكانوا ثلاثة أمثالهم، ليثبتوا لهم بالنصر الذي وعدهم اللّه به في قوله: (فإن يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين)[3] ويؤيده قراءة نافع بالتاء -إذا كان الخطاب للمؤمنين- ﴿رَأْيَ الْعَيْنِ﴾ رؤية مكشوفة معاينة ﴿واللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِ مَنْ يَشاءُ﴾ كما أيد أهل بدر ﴿إِنَّ فِي ذلِكَ﴾

---

(١) أغمار: جمع (غَمَر): وهوالرجل الذي لم يجرب الأمور.

(٢) سورة الأنفال الآية ٤٤.

(٣) سورة الأنفال الآية ٦٦.

التقليل والتكثير، ونصر القليل على الكثير ﴿ لَعِبْرَةً لأُولِي الأَبْصارِ﴾ لعظة لذوي البصائر ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَواتِ﴾ أي: المشتهيات، سماها (شهوات) مبالغة وإيماء إلى إنهم انهمكوا في محبتها حتى أحبّوا شهوتها، كما في (وأحببت حب الخير)[1] ﴿ مِنَ النِّساءِ والْبَنِينَ والْقَناطِيرِ﴾ جمع (قنطار) وهو: المال الكثير، وقيل: ملء مسك[2] ثور ذهباً ـ كما في الخبر ـ وقيل: مائة ألف ﴿ الْمُقَنْطَرَةِ﴾ للتأكيد كـ(ألف مؤلّف) ﴿ مِنَ الذَّهَبِ والْفِضَّةِ والْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ﴾ المعلّمة من السّومة وهي العلامة أوالمرعية ﴿ والأَنْعامِ﴾ الإبل والبقر والغنم ﴿ والْحَرْثِ ذلِكَ﴾ المذكور ﴿ مَتاعُ الْحَياةِ الدُّنْيا واللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ﴾ أي: المرجع إشارة إلى الحث على إستبدال ما عنده من اللذات الحقيقية الابدية بالشهوات الباقية ﴿ قُلْ أَ أُنَبِّئُكُمْ بِخَيْرٍ مِنْ ذلِكُمْ﴾ المتاع الفاني ﴿ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهارُ خالِدِينَ فِيها﴾ استئناف لبيان ما هوعنده، أويتعلق (اللام) بـ(خير) ويرتفع (جنات) بتقدير: هوجنات، ويؤيده قراءة من جرها بدلاً من (خير) ﴿ وأَزْواجٌ مُطَهَّرَةٌ﴾ من الأدناس خَلْقاً وخُلُقاً ﴿ ورِضْوانٌ مِنَ اللَّهِ﴾ وضم عاصم الراء ﴿ واللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبادِ﴾ أي: بأعمالهم، فيجازيهم بها.

---

(١) كذا وردت وفي القرآن الكريم: (فقال اني أحببت حب الخير).سورة ص الآية ٣٢.

(٢) المَسْك: هوالجِلْد.

[سورة آل عمران الآيات ١٦-٢٢]

ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ إِنَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغۡفِرۡ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٦﴾ ٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلۡقَٰنِتِينَ وَٱلۡمُنفِقِينَ وَٱلۡمُسۡتَغۡفِرِينَ بِٱلۡأَسۡحَارِ ﴿١٧﴾ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلۡعِلۡمِ قَآئِمَۢا بِٱلۡقِسۡطِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿١٨﴾ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلۡإِسۡلَٰمُۗ وَمَا ٱخۡتَلَفَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلۡعِلۡمُ بَغۡيَۢا بَيۡنَهُمۡۗ وَمَن يَكۡفُرۡ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ ﴿١٩﴾ فَإِنۡ حَآجُّوكَ فَقُلۡ أَسۡلَمۡتُ وَجۡهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِۗ وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡأُمِّيِّـۧنَ ءَأَسۡلَمۡتُمۡۚ فَإِنۡ أَسۡلَمُواْ فَقَدِ ٱهۡتَدَواْۖ وَّإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنَّمَا عَلَيۡكَ ٱلۡبَلَٰغُۗ وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِٱلۡعِبَادِ ﴿٢٠﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقۡتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيۡرِ حَقّٖ وَيَقۡتُلُونَ ٱلَّذِينَ يَأۡمُرُونَ بِٱلۡقِسۡطِ مِنَ ٱلنَّاسِ فَبَشِّرۡهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢١﴾

أُولَٰئِكَ ٱلَّذِينَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٢٢﴾

﴿الَّذينَ يَقُولُونَ رَبَّنا إِنَّنا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنا ذُنُوبَنا وقِنا عَذابَ النَّار﴾ صفة للمتقين، أو للعباد، أومدح منصوب، أو مرفوع ويحتمل الاستئناف، رتب المغفرة والوقاية من النار على الإيمان بـ(الفاء) إشعاراً بأنه يستلزمهما لأن المراد منه الإيمان بالله ورسوله وجميع ما جاء به ﴿الصَّابِرِينَ﴾ في البأساء والضراء أو عن المعاصي وعلى الطاعات والمصائب ﴿والصَّادِقِينَ﴾ في الأقوال والأعمالوالأحوال ﴿والْقانِتِينَ﴾ الخاشعين، أوالمطيعين ﴿والْمُنْفِقِينَ﴾ أموالهم في سبيل الله ﴿والْمُسْتَغْفِرِينَ بِالأَسْحارِ﴾ المصلين وقت السحر ـ كما عن الصادق (ع) ـ وعنه (ع): من استغفر سبعين مرّة في وقت السحر فهو من أهل هذه الآية، قيل: تخصيص الدعاء فيها أقرب إلى الإجابة لأن العبادة حينئذ أشق، والنفس أصفى، والرّوع أجمع ـ سيّما للمجتهدين ـ وفي الآية حصر مقدمات السالك على أحسن ترتيب، فان معاملته مع الله إما توسل، وأما طلب والتوسل اما بالنفس وهومنعها عن الرذائل، وحبسها على الفضائل والصبر يشملها، وأما البدن وهواما قولي وهوالصدق، واما فعلي وهوالقنوت الذي هوملازمة الطاعة، واما بالمال وهو: الإنفاق في سبيل الخير، واما الطلب وهو الإستغفار لأن المغفرة أعظم المطالب بل الجامعة لها، وتوسيط (الواو) بينها للدلالة على إستقلال كل واحدة منها وكمالهم فيها، أولتغاير الموصوفين بها ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لا إِلهَ إِلاَّ هُوَ﴾ بيّن تعالى وحدانيته لقوم بظهوره، ولآخرين بنصب الدلائل الدالة عليها، ولقوم بانزال الآيات الناطقة بها ﴿والْمَلائِكَةُ﴾ بالإقرار ذاتاً لقوم، وفعلاً لقوم، وقولاً لآخرين ﴿وأُولُوا

﴿الْعِلْمِ﴾ وهم الأنبياء والأوصياء ـ كما عن الباقر (ع) ـ وأولوالعلم به وبالاحتجاج عليها قيل: شبه الظهور والإظهار في الانكشاف والكشف بشهادة الشاهد﴿ قائماً بِالْقِسْطِ﴾ مقيماً للعدل في أمور خلقه، نصب حالاً من(اللّه) وجاز افراده دون (جاء زيد وعمرووراكباً) لعدم اللبس، أو من (هو) فتكون حالاً مؤكدة وعاملها معنى الجملة، أي: تفرّد قائماً، أو على المدح ويندرج في المشهود به على الآخرين﴿ لا إِلهَ إِلاَّ هُوَ﴾ كرر للتأكيد ومزيد الاعتناء ليبنى عليه ﴿الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ تقرير للوحدانية والعدل، ورفعا بدلاً من (هو) أوخبراً لمحذوف ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الإِسْلامُ﴾ جملة مستأنفة يؤكد الاولى أي: لا دين مرضي عند اللّه غير الإسلام وهوالتوحيد والتمسك بشريعة النبي (ص)، وفتح الكسائي (أنّ) بدلاً من (انه) وعن الصادق (ع): أن الإسلام قبل الإيمان وعليه يتوارثون ويتناكحون، والإيمان عليه يثابون ﴿ ومَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتابَ﴾ اليهود والنصارى وأهل الكتب السالفة في دين الإسلام فأثبته، قوم وخصه قوم بالعرب، ونفاه قوم، أوفي التوحيد فثلّث النصارى، وقالت اليهود عزير بن اللّه، وقيل: هم اليهود واختلفوا بعد موسى، وقيل: النصارى اختلفوا في أمر عيسى ﴿ إلاَّ مِنْ بَعْدِ ما جاءَهُمُ الْعِلْمُ﴾ بالحق وتمكنوا منه بالدلائل ﴿بَغْياً ﴾ حسداً وطلباً للرئاسة ﴿بَيْنَهُمْ ومَنْ يَكْفُرْ بِآياتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسابِ﴾ وعيد لهم، وفسّر في البقرة﴿ فَإِنْ حَاجُّوكَ﴾ في الدين ﴿ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ﴾ أخلصت نفسي ﴿ لِلَّهِ﴾ وحده عبّر بالوجه عن النفس لأنه أشرف الأعضاء الظاهرة ومظهر القوى المدركة﴿ وَمَنِ اتَّبَعَنِ﴾ عطف على (التاء) وحسن للفصل، أومفعول معه، وحذف عاصم وحمزة والكسائي (الياء) اجتزاء بالكسر﴿ وقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتابَ والأُمِّيِّينَ﴾ الذين لا كتاب لهم كمشركي العرب ﴿ أَ أَسْلَمْتُمْ﴾ بعد وضوح

الحجج، أم أنتم على كفركم، مثل (فهل أنتم منتهون)[١] وفيه توبيخ لهم بالمعاندة ﴿ فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوْا﴾ نفعوا أنفسهم بإخراجها من الضلال ﴿ وإِنْ تَوَلَّوْا﴾ لم يضرّوك ﴿ فَإِنَّما عَلَيْكَ الْبَلاغُ﴾ وقد بلّغت ﴿ واللّهُ بَصيرٌ بِالْعِبادِ﴾ وعد للنبي والمؤمنين، ووعيد للمتولين ﴿ إِنَّ الّذينَ يَكْفُرُونَ بِآياتِ اللّهِ ويَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ ويَقْتُلُونَ الَّذينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النّاسِ﴾ قيل: هم أهل الكتاب الذين في عصره، قَتَل أوائلهم الأنبياء ومتابعيهم من عبّاد بني إسرائيل وهم رضوا به، وقصدوا قتل النبي (ص) والمؤمنين ولكن اللّه عصمهم، وقرأ حمزة (ويقاتلون الذين) ﴿ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذابٍ أَليمٍ﴾ خبر المبتدأ، ودخول (الفاء) لتضمن المبتدأ معنى الشرط، ومنع سيبويه دخول (الفاء) في خبر (إن) كـ(ليت) و(لعل) ولذلك قيل الخبر ﴿ أُولئِكَ الَّذينَ حَبِطَتْ أَعْمالُهُمْ في الدُّنْيا والآخِرَةِ﴾ إذ لم ينالوا بها المدح والثناء، وحقن الأموال والدماء في الدنيا والأجر والثواب في الآخرة ﴿ وما لَهُمْ مِنْ ناصِرينَ﴾ في الدنيا والآخرة.

[سورة آل‌عمران الآيات ٢٣ - ٣٧]

أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يُدْعَوْنَ إِلَىٰ كِتَٰبِ ٱللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ وَهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٢٣﴾ ذَٰلِكَ

---

(١) سورة المائدة الآية ٩١.

بِأَنَّهُمْ قَالُوا۟ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَٰتٍ ۖ وَغَرَّهُمْ فِى دِينِهِم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿٢٤﴾ فَكَيْفَ إِذَا جَمَعْنَٰهُمْ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٥﴾ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ ۖ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٦﴾ تُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَتُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ ۖ وَتُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ ۖ وَتَرْزُقُ مَن تَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٢٧﴾ لَّا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ ٱللَّهِ فِى شَىْءٍ إِلَّآ أَن تَتَّقُوا۟ مِنْهُمْ تُقَىٰةً ۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿٢٨﴾ قُلْ إِن تُخْفُوا۟ مَا فِى صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ ۗ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٩﴾ يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوٓءٍ

تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُۥٓ أَمَدًۢا بَعِيدًا ۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٣٠﴾ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾ قُلْ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿٣٢﴾ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٣٣﴾ ذُرِّيَّةًۢ بَعْضُهَا مِنۢ بَعْضٍ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾ إِذْ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ عِمْرَٰنَ رَبِّ إِنِّى نَذَرْتُ لَكَ مَا فِى بَطْنِى مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّىٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٥﴾ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّى وَضَعْتُهَآ أُنثَىٰ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلْأُنثَىٰ ۖ وَإِنِّى سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّىٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيْطَـٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٣٦﴾ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا ۖ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا ٱلْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا ۖ قَالَ يَـٰمَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَـٰذَا ۖ قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٧﴾

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيباً﴾ أي: حظاً وافراً، والتنكير للتعظيم، أو التحقير﴿ مِنَ الْكِتابِ ﴾ أي: التوراة، أوجنس الكتب السماوية، و(من) للتبعيض أو التبيين ﴿ يُدْعَوْنَ إِلى كِتابِ اللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُم﴾ أي: يدعوهم محمد (ص) إلى القرآن، أوالتوراة لما روي أنّ رسول اللّه (ص) دخل مدارسهم فدعاهم فقال نعيم : على أي: دينٍ أنت؟ فقال: على دين إبراهيم، فقال له نعيم: إن ابراهيم كان يهودياً فقال (ص): هلموا إلى التوراة ليحكم بيننا، وقيل: نزلت في أمر الرجم ﴿ ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِنْهُم﴾ إستبعاد لتوليهم مع علمهم بإن الرجوع إليه واجب ﴿ وهُمْ مُعْرِضُون﴾ حال من (فريق) لتخصصه بالصفة، أي: وهم قوم عادتهم الإعراض عن الحق، وهونهاية التقريع ﴿ ذلِكَ﴾ التولي والإعراض ﴿ بِأَنَّهُمْ قالُوا﴾ بسبب تسهيلهم على أنفسهم بأمر العقاب بقولهم ﴿لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلاَّ أَيَّاماً مَعْدُوداتٍ﴾ قلائل﴿ وغَرَّهُمْ فِي دِينِهِمْ ما كانُوا يَفْتَرُون﴾ من إن آباءهم الأنبياء يشفعون لهم، أوانه تعالى وعد يعقوب أن لا يعذب أولاده الا نحلة القسم، يعني: قوله: (لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين)[1] (وان منكم إلا واردها)[2] ﴿ فَكَيْفَ إِذا جَمَعْناهُمْ لِيَوْمٍ لا رَيْبَ فِيهِ﴾ استعظام لما يحيق بهم في الآخرة، وتكذيب لقولهم (لن تمسنا النار إلاّ أياما). وروي أن رايةً تُرفَع يوم القيامة من رايات الكفّار، راية اليهود فيفضحهم اللّه على رؤوس الاشهاد، ثم يأمر بهم إلى النار﴿ ووُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ ما كَسَبَتْ ﴾ أي: جزاءه، أونفسه بناء على تجسيم الأعمال ﴿ وهُمْ لا يُظْلَمُون﴾ الضمير

---

(١) سورة السجدة الآية ١٣.

(٢) سورة مريم الآية ٧١.

لكل نفس على المعنى لأنه في معنى: كل انسان ﴿ قُلِ اللَّهُمَّ﴾ الميم عوض عن (ياء) ولذا لا يجتمعان، وهومن خصائص هذا الاسم لدخول ياء عليه مع لام التعريف[1]، وتاء القسم، وقطع همزته ﴿ مالِكَ الْمُلْكِ﴾ كله على الحقيقة تتصرف تصرف الملاك، وهوصفة لله، وعند سيبويه نداء ثان فان الميم عنده تمنع الوصفية ﴿ تُؤْتِي الْمُلْكَ﴾ أي: ما تشاء منه ﴿ مَنْ تَشاءُ و﴾ كذا ﴿ تَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشاءُ﴾ فالمُلْك الاول عام، والآخران خاصان، وقيل: الملك هنا النبوة ونزعه نقلها من قوم إلى قوم ﴿ وتُعِزُّ مَنْ تَشاءُ وتُذِلُّ مَنْ تَشاءُ﴾ في الدنيا والدين، بالنصر والإدبار، والتوفيق والخذلان ﴿ بِيَدِكَ الْخَيْرُ﴾ والشر ليس منك لأن أفعاله تعالى خير والشر يرجع إلينا، والمضار الظاهرة من الأوجاع والابتلاء لمصالح فهي خير ﴿ إِنَّكَ عَلى كُلِّ شَيْءٍ ﴾ حتى الشرور ﴿ قَدِيرٌ﴾ لا يصدر عنك إلا الخير ﴿ تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهارِ وتُولِجُ النَّهارَ فِي اللَّيْلِ﴾ تدخل كُلاً منهما في الآخر بالزيادة والنقص، أوتعقب أحدهما الآخر ﴿ وتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ﴾ تنشيء الحيوانات من موادها وتميتها، أوتخرج الحيوان من النطفة والنطفة منه، أوتخرج المؤمن من الكافر وبالعكس، والأخير مروي، وخفف (الميت) ابن كثير وابوعمروابن عامر وابوبكر ﴿ وتَرْزُقُ مَنْ تَشاءُ بِغَيْرِ حِسابٍ﴾ بلا تقتير ولا مخافة نقصان، وفي ذكر قدرته على معاقبة الليل والنهار، وإخراج الحي من الميت وعكسه، ورزقه الواسع دلالة على أن القادر على ذلك قادر على إيتاء الملك ونزعه والإعزاز والإذلال ﴿ لا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ

---

(١) لا تدخل (يا) النداء على الاسم المعرف بـ(أل) فلا يصح ان تقول: (ياالرجل)ولكن يختص لفظ الجلالة بذلك فتقول: (يا الله) بدون أي ثقل في اللسان.

الْكافِرِينَ أَوْلِياءَ﴾ نهي عن موالاتهم والاستعانة بهم﴿ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ في موضع الصفة لأولياء، أوالحال ان جوزت عن النكرة، أي: لا يتخذوهم اولياء بدل المؤمنين إذ هم أحق بالموالاة، وفي موالاتهم مندوحة عن موالاة الكفرة فان الله ولي الذين آمنوا ﴿ ومَنْ يَفْعَلْ ذلك﴾ ويوالهم ﴿ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ﴾ من الولاية، لأنه ترك موالاة المؤمنين الذين وليهم الله، ووالى عدوالله ﴿ إلاَّ أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقاةً﴾ أي: لا يجوز موالاتهم في حال من الأحوال إلا حال التقية والخوف منهم، و(تقاة) مصدر أما بمعنى ما يجب اتقاؤه فيكون مفعولا به، أوبمعناه[1] فيكون مفعولاً مطلقاً وعدي الفعل بـ(من) لتضمنه معنى تخافوا وتحذروا، وقرأ يعقوب (تقية)، والأخبار في رجحان التقية متواترة ﴿ ويُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ﴾ في موالاة الكفار بلا ضرورة، وترك التقية في الضرورة﴿ وإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ﴾ تأكيد للتهديد، ووضع الظاهر موضع الضمير للمبالغة ﴿ قُلْ إِنْ تُخْفُوا ما فِي صُدُورِكُمْ﴾ من ولاية الكفار وغيرها﴿ أَوتُبْدُوهُ يَعْلَمْهُ اللَّهُ﴾ ولا يخفى عليه ﴿ ويَعْلَمُ ما فِي السَّماواتِ وما فِي الأَرْضِ﴾ فيعلم ما تضمرونه وما تخفونه ﴿ واللَّهُ عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ فيقدر على تعذيبكم وخزيكم ان لم تنتهوا عما نهيتم عنه، قيل: وهذا بيان لقوله (ويحذركم الله نفسه) لأن نفسه متصفة بعلم وقدرة ذاتيين، يحيطان بجميع المعلومات والمقدورات، فلا يجسر على معصيته لإطلاعه عليها وقدرته على العقوبة بها ﴿ يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ ما عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَراً وما عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوأَنَّ بَيْنَها وبَيْنَهُ أَمَداً بَعِيداً ﴾ يوم ظرف لـ(تود) أي: تتمنى كل نفس يوم تجد جزاء أعمالها من خير وشر حاضراً، لوأن بينها وبين ذلك

---

(١) بمعنى المصدر.

اليوم وهوله مسافة بعيدة، أوبـ(اذكر) مضمرا و(تود) حال من ضمير (عملت) أوخبر (ما عملت من سوء) ويقصر (تجد) على (ما عملت) من خير، وليست (ما) شرطية لارتفاع (تود) ﴿ويُحَذِّرُكُمُ اللّهُ نَفْسَهُ﴾ كرر للتأكيد، والتذكير، والحث على عمل الخير، وترك السوء، أوالأول للمنع من موالاة الكفرة﴿ واللّهُ رَؤُفٌ بِالْعِبادِ ﴾ إشارة إلى أن النهي والتحذير رأفة بهم، ورعاية لمصلحتهم، وانه لذومغفرة، وذوعقاب، يرجى ثوابه، ويخشى عقابه﴿ قل إنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللّهَ﴾ وتريدون طاعته ﴿ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللّهُ ﴾ جواب الأمر، أي: يرضى عنكم﴿ ويَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ﴾ بالتجاوز عنها ﴿ واللّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ لمن أطاعه، واتبع نبيّه، روي: انها نزلت لما قال اليهود(نحن أبناء اللّه واحباؤه)[١] وقيل: نزلت في وفد نجران انا نعبد المسيح حباً للّه وقيل: في قوم زعموا أنهم يحبون اللّه، فأمروا ان يجعلوا لقولهم تصديقاً ﴿ قُلْ أَطِيعُوا اللّهَ والرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا ﴾ يحتمل المضي، والمضارع أي: (تتولوا) ﴿ فَإِنَّ اللّهَ لا يُحِبُّ الْكافِرِينَ﴾ لا يرضى عنهم، ولا يغفر لهم ووضع المظهر موضع المضمر إشارة إلى العلّ وللدلالة على العموم، وعلى ان التولي كفر واختصاص محبته بالمؤمنين ﴿ إِنَّ اللّهَ اصْطَفى آدَمَ ونُوحاً وآلَ إِبْراهِيمَ﴾ إسماعيل وإسحاق وأولادهما، ودخل فيهم النبي (ص) وآله (ع) ﴿ وآلَ عِمْرانَ﴾ موسى وهارون ابنا عمران بن يصهر بن قاهث بن لاوي بن يعقوب، أوعيسى ومريم بنت عمران بن ماثان، من ولد سليمان بن داود بن أيشا، من ولد يهود بن يعقوب، وكان بين العمرانين ألف وثمانمائة سنة ﴿ عَلَى الْعالَمِينَ﴾ بالنبوة والامامة والعصمة، وفيه دلالة على تفضيلهم على الملائكة،

(١) حكى القرآن الكريم عنهم وعن النصارى قولهم هذا في سورة المائدة الآية ١٨.

وفي قراءة اهل البيت وآل محمد (ص)، وفيها روايات، وعن الباقر (ع) لما تلا الآية قال: نحن منهم ونحن بقية تلك العترة﴿ ذُرِّيَّةً ﴾ بدل، أوحال من الأولين تقع على الواحد والجمع، أي: ذرية واحدة متسلسلة ﴿ بَعْضُهَا ﴾ متشعب ﴿ مِنْ بَعْضٍ ﴾ وعن الصادق (ع): بعضهم من نسل بعض ﴿ واللَّهُ سَمِيعٌ ﴾ للأقوال ﴿ عَلِيمٌ ﴾ بالأعمال، أولقول امرأة عمران وبنتها فينصب به، أو بـ(اذكر) مضمرا﴿ إِذْ قالَتِ امْرَأَتُ عِمْرانَ ﴾ بن ماثان وجدة عيسى، لا أم موسى، والمشهور ان اسمها (حنّة) كما عن الصادق (ع)، وقيل مرثاد، وهووهيبة بالعربية- كما عن الكاظم (ع)- ﴿ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ ما فِي بَطْنِي ﴾ قيل: رأت طائراً يطعم فرخه فحنّت للولد، فقالت: اللهم ان لك عليّ نذراً ان رزقتني ولداً ان أتصدق به على بيت المقدس، فيكون من خدمه، فحملت بمريم وهلك عمران، وكان هذا النذر مشروعاً عندهم ﴿ مُحَرَّراً ﴾ معتقاً لخدمة بيت المقدس لا أشغله بشيء، وهوحال ﴿ فَتَقَبَّلْ مِنِّي ﴾ ما نذرته ﴿ إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ ﴾ لقولي ﴿ الْعَلِيمُ ﴾ بنيّتي ﴿ فَلَمَّا وَضَعَتْها ﴾ الضمير لـ(ما في بطني) وأنّث لأنه كان أنثى، أولتأويله بالنفس، أوالنسمة ﴿ قالَتْ ﴾ تحسراً إلى ربها، إذ كانت ترجوان تلد ذكراً ولذا نذرت تحريره ﴿ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُها أُنْثى ﴾ حال﴿ واللَّهُ أَعْلَمُ بِما وَضَعَتْ ﴾ استئناف من اللّه تعظيماً لموضوعها وتجهيلاً لها بقدره، وقرأ ابن عامر وابوبكر (وضعت) بتاء المتكلم تسلية لنفسها، أي: ولعلّ للّه فيه حكمة، أوهذه الأنثى خير ﴿ ولَيْسَ الذَّكَرُ ﴾ الذي طلبت ﴿كَالأُنْثى﴾ التي وهبت، فـ(اللام) للعهد، وان كان من قولها فللجنس، أي: وليس الذكر كالأنثى فيما نذرت ﴿ وإِنِّي سَمَّيْتُها مَرْيَمَ ﴾ تقرباً إلى اللّه وطلب ان يعصمها ويصلحها، حتى يكون فعلها مطابقا لاسمها، لأن مريم في لغتهم بمعنى العابدة، والجملة عطف على (اني وضعتها) وما بينهما اعتراض

﴿ وإِنّي أُعيذُها﴾ أجيرها ﴿ بِكَ وذُرِّيَّتَها مِنَ الشَّيْطانِ الرَّجيم﴾ المطرود، وعن النبي (ص): ما من مولود يولد إلا والشيطان يمسّه حين يولد فيستعمل[1] صارخاً من مسه إلا مريم وابنها ﴿ فَتَقَبَّلَها رَبُّها﴾ فرضي بها في النذر مكان الذكر ﴿ بِقَبُولٍ حَسَنٍ ﴾ القبول: ما يقبل به الشيء وهواختصاصها بإقامتها مقام الذكر، أومصدر على حذف المضاف، أي: بذي قبول حسن ﴿ وأَنْبَتَها نَباتاً حَسَناً﴾ مجاز عن تربيتها بما يصلحها ﴿ وكَفَّلَها زَكَرِيًّا ﴾ شدد الفاء حمزة والكسائي وعاصم وقصروا (زكريا) غير عاصم في رواية- على أنه مفعول والفاعل هو(اللّه) أي: جعله كافلاً لها وضامناً لمصالحها، وخفف الباقون ومدّوا (زكريا) مرفوعاً، روي: أن حنّة حين ولدتها لفتّها في خرقة وأتت بها إلى المسجد، وقالت للأحبار: دونكم النذيرة، فتنافسوا فيها لأنها كانت بنت إمامهم وصاحب قربانهم، وكان بنو ماثان رؤوس بني إسرائيل وملوكهم، فقال زكريا: انا أحق بها، عندي خالتها، فأبوا إلا القرعة فانطلقوا ـ وهم سبعة وعشرون ـ إلى نهر والقوا فيه أقلامهم، فطفا قلم زكريا، ورسبت أقلامهم فتكفلها زكريا، وفي رواية الأصحاب: زوجة زكريا أختها ﴿ كُلَّما دَخَلَ عَلَيْها زَكَرِيَّا الْمِحْرابَ﴾ أي: الغرفة التي بناها لها، أو المسجد، أوأشرف مواضعه سمي به لأنه محل محاربة الشيطان ﴿ وَجَدَ عِنْدَها رِزْقاً﴾ جواب(كلّما) روي: أنه كان لا يدخل عليها غيره، وإذا خرج اغلق عليها سبعة أبواب، وكان يجد عندها فاكهة الشتاء في الصيف وبالعكس ﴿ قالَ يا مَرْيَمُ أَنّى﴾ من اين ﴿لَكِ هذا﴾ الرزق الآتي في غير حينه والأبواب مغلقة ﴿ قالَتْ هُومِنْ عِنْدِ اللّهِ﴾ فلا تستبعد، قيل: تكلمت صغيرة كعيسى وما رضعت قط، وكان

---

(١) الظاهر ان الصحيح (فيستهل)

رزقها يأتيها من الجنة كرامة لها﴿ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشاءُ بِغَيْرِ حِسابٍ﴾ بغير تقدير لكثرته، أوبغير استحقاق تفضلاً،وهو من كلامها، أوكلامه تعالى، وروي للزهراء (ع) مثل هذه الكرامة.

[سورة آل‌عمران الآيات ٣٨ - ٥٢]

هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُۥ ۖ قَالَ رَبِّ هَبْ لِى مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً ۖ إِنَّكَ سَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴿٣٨﴾ فَنَادَتْهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُوَ قَآئِمٌ يُصَلِّى فِى ٱلْمِحْرَابِ أَنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ مُصَدِّقًۢا بِكَلِمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٣٩﴾ قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى غُلَٰمٌ وَقَدْ بَلَغَنِىَ ٱلْكِبَرُ وَٱمْرَأَتِى عَاقِرٌ ۖ قَالَ كَذَٰلِكَ ٱللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ ﴿٤٠﴾ قَالَ رَبِّ ٱجْعَل لِّىٓ ءَايَةً ۖ قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا ۗ وَٱذْكُر رَّبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِٱلْعَشِىِّ وَٱلْإِبْكَٰرِ ﴿٤١﴾ وَإِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰكِ وَطَهَّرَكِ وَٱصْطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٢﴾ يَٰمَرْيَمُ ٱقْنُتِى لِرَبِّكِ وَٱسْجُدِى وَٱرْكَعِى

مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴿٤٣﴾ ذَٰلِكَ مِنۡ أَنۢبَآءِ ٱلۡغَيۡبِ نُوحِيهِ إِلَيۡكَۚ وَمَا كُنتَ لَدَيۡهِمۡ إِذۡ يُلۡقُونَ أَقۡلَٰمَهُمۡ أَيُّهُمۡ يَكۡفُلُ مَرۡيَمَ وَمَا كُنتَ لَدَيۡهِمۡ إِذۡ يَخۡتَصِمُونَ ﴿٤٤﴾ إِذۡ قَالَتِ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرۡيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٖ مِّنۡهُ ٱسۡمُهُ ٱلۡمَسِيحُ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ وَجِيهٗا فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ وَمِنَ ٱلۡمُقَرَّبِينَ ﴿٤٥﴾ وَيُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِي ٱلۡمَهۡدِ وَكَهۡلٗا وَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٤٦﴾ قَالَتۡ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي وَلَدٞ وَلَمۡ يَمۡسَسۡنِي بَشَرٞۖ قَالَ كَذَٰلِكِ ٱللَّهُ يَخۡلُقُ مَا يَشَآءُۚ إِذَا قَضَىٰٓ أَمۡرٗا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٤٧﴾ وَيُعَلِّمُهُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَٱلتَّوۡرَىٰةَ وَٱلۡإِنجِيلَ ﴿٤٨﴾ وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ أَنِّي قَدۡ جِئۡتُكُم بِـَٔايَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡۖ أَنِّيٓ أَخۡلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيۡـَٔةِ ٱلطَّيۡرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيۡرَۢا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۖ وَأُبۡرِئُ ٱلۡأَكۡمَهَ وَٱلۡأَبۡرَصَ وَأُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۖ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأۡكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمۡۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لَّكُمۡ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴿٤٩﴾ وَمُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيَّ مِنَ ٱلتَّوۡرَىٰةِ

وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِى حُرِّمَ عَلَيْكُمْۚ وَجِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿٥٠﴾ إِنَّ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُۗ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٥١﴾ فَلَمَّآ أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ ٱلْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِۖ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَٱشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٥٢﴾

﴿هُنالكَ﴾ في ذلك المكان، أو الوقت ـ إذ يستعار للزمان ـ ﴿دَعا زكَرِيَّا ربَّهُ﴾ لمّا رأى كرامة مريم ومنزلتها ﴿قالَ رَبِّ هَبْ لي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً﴾ كما وهبتها لحنّه العاقر العجوز، وقيل: لمّا رأى الفاكهة في غير وقتها طمع في ولادة العاقر، فسأل الولد ﴿إِنَّكَ سَميعُ الدُّعاءِ﴾ مجيبه ﴿فَنادَتْهُ الْمَلائكَةُ﴾ أي: جنسهم، فان المنادي ملك، وقيل: جبرئيل، وقرأ حمزة والكسائي (فناداه) بالتذكيروالإمالة ﴿وهُوقائمٌ﴾ حال عن (الهاء) ﴿يُصَلّي فِي الْمِحْرابِ﴾ حال من الضمير في (قائم) ﴿أنّ اللّهَ يُبَشِّرُكَ﴾ أي: بأن اللّه، وكسرها حمزة وابن عامر على إضمار القول، أو لأن النداء منه، وخفف حمزة (يبشرك) فاتحاً ياءه ﴿بِيَحْيى﴾ علم أعجمي وان كان عربياً فمنع صرفه للعلمية ووزن الفعل ﴿مُصَدِّقاً بكَلِمَةٍ مِنَ اللّهِ﴾ أي: بعيسى لأنه وجد بأمره تعالى بدون أب، أو بكتاب اللّه تسمية للكل بالجزء ﴿وسَيِّداً﴾ يسود قومه، وقد فاق الناس في أنه ما ركب سيئة من صغره ﴿وحَصُوراً﴾ لا يأتي النساء ـ كما عن الصادق (ع) ـ أو مبالغاً في حبس النفس عن الشهوات والملاهي ﴿ونَبِيًّا﴾ ناشئاً ﴿مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ أو كائناً من

جملة الأنبياء، روي انه مرّ في صباه بصبيان فدعوه إلى اللعب فقال: ما للّعب خلقت ﴿ قالَ رَبِّ أَنّى يَكُونُ لِي غُلامٌ﴾ استبعاد عادي ﴿ وقَدْ بَلَغَنِيَ الْكِبَرُ﴾ أي: أدركني كبر السن واضعفني، قيل: كان له تسع وتسعون سنة، ولامرأته ثماني وتسعون ﴿ وامْرَأَتِي عاقِرٌ ﴾ لا تلد﴿ قالَ كَذلِكَ﴾ مثل خلق الولد من الشيخ الفاني والعجوز العاقر ﴿ اللَّهُ يَفْعَلُ ما يَشاءُ قالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً ﴾ علامة لوقت الحمل لأتلقّاه بالشكر ﴿ قالَ آيَتُكَ أَلا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلاثَةَ أَيَّامٍ ﴾ لا تقدر على تكليمهم فيها، قيل: وإنما خص المنع فيها بتكليمهم لتخلص المدة لذكر اللّه وشكره على النعمة، وكأنّه قيل: آيتك ان تحبس لسانك إلا عن الشكر﴿ إِلاَّ رَمْزاً﴾ اشارة بيد أوغيرها، والاستثناء منقطع، أومتصل ان أريد بالكلام ما دلّ على الضمير﴿ واذْكُرْ رَبَّكَ كَثِيراً ﴾ أي: في أيام السكوت، وهومؤكد لما قبله مبين للغرض ﴿ وسَبِّحْ بِالْعَشِيِّ ﴾ من الزوال إلى الغروب، وقيل: من العصر أوالغروب إلى ذهاب صدر الليل﴿ والإِبْكارِ ﴾ من طلوع الفجر إلى الضحى ﴿ وإِذْ قالَتِ الْمَلائِكَةُ يا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفاكِ ﴾ أولاً حين تقبلك من أمك وربّاك، وأكرمك برزق الجنة ﴿ وطَهَّرَكِ ﴾ ممّا يستقذر من النساء ﴿ واصْطَفاكِ﴾ آخراً بالهداية، وتكليم الملائكة، والولد بلا أب ﴿ عَلى نِساءِ الْعالَمِينَ﴾ عالمي زمانك، وفاطمة سيّدة نساء العالمين مطلقاً ﴿ يا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ واسْجُدِي وارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ ﴾ أمرت بالصلاة بذكر أركانها مع الراكعين، أي: في الجماعة، أومع من يركع في صلاته لا مع من لا يركع، لأن صلاة اليهود ليس فيها ركوع ﴿ ذلِكَ ﴾ أي: ما ذكر من قصص زكريا ويحيى ومريم ﴿ مِنْ أَنْباءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ ﴾ من الغيوب التي لم تعرفها إلا بالوحي ﴿ وما كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلامَهُمْ﴾ التي كانوا يكتبون بها التوراة تبركاً أوقداحهم، قيل: والمراد تقرير كونه

وحياً على سبيل التهكم بمنكريه، فان طريق معرفة الوقائع المشاهدة والسماع، وعدم السماع معلوم لا شبهة فيه عندهم، فلم يبق إلا المشاهدة ولم يتوهمها عاقل، ﴿ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وما كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُون﴾ تشاحاً فيها، عن الباقر (ع): أول من سوهم عليه مريم، وهوقول اللّه: وما كنت لديهم ... إلخ ﴿ إِذْ قالَتِ الْمَلائِكَةُ﴾ بدل من (إذ قالت) أو من (إذ يختصمون) بناءً على أن الاختصام والبشارة وقعا في زمان واسع كقولك: (لقيتك في سنة كذا) ﴿ يا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ﴾ ذكّر الضمير نظراً إلى المعنى ﴿ الْمَسِيحُ﴾ من الألقاب الشريفة، أصله في لغتهم (المسيحا) ومعناه: المبارك ﴿ عِيسَى﴾ معرب أيشوع بن مريم صفة جعلت من الأسماء لأنها تميز تمييزها، أوالمراد أنّ اسمه المميّز له عن غير هذه الثلاثة، إذ الاسم علامة المسمى، وانما قيل (ابن مريم) والخطاب لها، ليعلم انه يولد من غير أب، إذ لا ينسب إلى الأم إلا إذا عدم الأب ﴿ وَجِيهاً ﴾ حال مقدرة من (بكلمة) الموصوفة بقوله (منه) والتذكير للمعنى ﴿ فِي الدُّنيا﴾ بالنبوة﴿ والآخِرَةِ﴾ بالشفاعة ﴿ ومِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾ إلى اللّه، أواشارة إلى علودرجته في الجنة، أوإلى رفعه إلى السماء، وصحبته الملائكة ﴿ ويُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وكَهْلاً ﴾ أي: حال كونه طفلاً وكهلاً، كلام الأنبياء من غير تفاوت، و(المهد): مصدر سمي به ما يمهّد مضجعاً للصبي، وذكر تقلب أحواله المتنافية إشارة إلى أنه ممكن ليس بإله ﴿ ومِنَ الصَّالِحِينَ﴾ حال ثالثة من (كلمة) أوضميرها الذي في (يكلم) ﴿ قالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ ولَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ ﴾ تعجب، أواستبعاد عادي، أو استفهام عن انه يكون بزوج أوبدونه ﴿ قال﴾ جبرئيل، أواللّه وجبرئيل المبلغ ﴿كَذلِكِ اللَّهُ يَخْلُقُ ما يَشاءُ إِذا قَضى أَمْراً فَإِنَّما يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ أي: كما انه يقدر ان يخلق الأشياء

بأسباب ومواد تدريجاً، يقدر أن يخلقها دفعة من غير ذلك ﴿ وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ﴾ أما كلام مبتدأ ذكر تطيباً لقلبها، وازاحة لهمها، انها تلد من غير زوج، أو عطف على (يبشرك) أو(وجيها) و(الكتاب): الكتبة: أوجنس الكتب المنزلة، وتخصيص الكتابين لفضلهما، وقرأ عاصم ونافع بالياء ﴿ وَرَسُولاً إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ نصب بمضمر على ارادة القول، أي: ويقول: أرسلت رسولاً باني قد جئتكم ﴿ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ﴾ في محل نصب بدل من (اني) أوجر بدل من آية، أورفع على: هي اني، وكسرها نافع على الاستئناف، أي: اقدر لكم شيئاً مثل صورة الطير ﴿ فَأَنْفُخُ فِيهِ ﴾ الضمير للكاف ﴿ فَيَكُونُ طَيْراً ﴾ فيصير حياً طياراً، وقرأ نافع (طائراً) ﴿ بِإِذْنِ اللَّهِ ﴾ بأمره، فإحياؤه من الله تعالى لا منه ﴿ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ ﴾ الذي ولد أعمى والممسوح العين ﴿ وَالْأَبْرَصَ ﴾[1] نقل انه ربما اجتمع عليه ألوف من المرضى، من أطاق منهم أتاه، ومن لم يطق أتاه عيسى (ع)، وما يداوي إلا بالدعاء ﴿ وَأُحْيِ الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللَّهِ ﴾ كرر لدفع توهم الألوهية، فإن الإحياء ليس من جنس الأفعال البشرية ﴿ وَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ ﴾ بالمغيبات من أحوالكم التي لا تشكّون فيها، كان يقول للرجل: أكلت كذا وخبّئ لك كذا ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ موفقين للإيمان فان غيرهم لا ينتفع بالمعجزات، أومصدقين بالحق غير معاندين ﴿ وَمُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ﴾ عطف على (رسولاً) على الوجهين، أومنصوب بإضمار فعل دل عليه (قد جئتكم مصدقا) ﴿ وَلِأُحِلَّ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ﴾

---

(١) الأبرص: هوالمصاب بالبرص: وهومرض يصيب الجلد فيقع فيه بياض يغطيه.

في شريعة موسى كلحم الإبل والشحوم، وبعض الطير، والسمك، والسبت ﴿ وَجِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ ﴾ أي: جئتكم بآية من إلهام ربكم، وهي قولي ان الله ربي وربكم، فانه القول الذي أجمع الرسل عليه، وقوله: (فاتقوا اللّه وأطيعون) اعتراض، أوتكرير لقوله: (قد جئتكم بآية من ربكم) أي: جئتكم بآية بعد اخرى، ممّا ذكرت لكم من الخلق والإبراء والأحياء والأنباء وغيره، فاتقوا اللّه في مخالفتي، واطيعوني في دعوتي، ثم ابتدأ بالدعوة فقال ان اللّه ربي وربكم، اشارة إلى استكمال العلم باعتقاد الحق الذي غايته التوحيد ﴿ فَاعْبُدُوهُ ﴾ اشارة إلى استكمال العمل بملازمة الطاعة، التي هي الإتيان بالأوامر والانتهاء عن النواهي﴿ هذا ﴾ أي: الجمع بين الأمرين ﴿ صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ﴾ موصل إلى النجاة ﴿ فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمُ الْكُفْرَ ﴾ لما سمع ورأى أنهم يكفرون ـ كما عن الصادق (ع) ـ أولمّا علمه علم ما يدرك بالحواس ﴿ قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ ﴾ ذاهباً إليه، أوالجار متعلق بـ(انصاري) مضمنا معنى الاضافة، أي: من الذين يضيفون أنفسهم إلى اللّه في نصري ﴿ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ ﴾ سئل الرضا (ع): لمَ سمي الحواريون حواريين؟ قال: أما عند الناس فإنهم سموا حواريين لأنهم كانوا قصارين[1] يخلصون الثياب من الوسخ بالغسل، وهواسم مشتق من الخبز الحوار، وأما عندنا فيسمى حواريين لأنهم كانوا مخلصين هي أنفسهم، ومخلِّصين غيرهم من أوساخ الذنوب بالوعظ والتذكير، وعنه (ع) أنهم كانوا اثنى عشر رجلاً، وكان أفضلهم وأعلمهم (ألوقا)، وقيل: حوار الرجل خالصته من الحور وهو: البياض الخالص، سمي به أصحاب عيسى (ع) لنقاء

---

(١) أي: غاسلين لثيابهم دائماً.

قلوبهم وخلوص نيتهم وقيل: كانوا ملوكاً يلبسون البياض ﴿نَحْنُ أَنصارُ اللَّهِ﴾ في دينه ﴿آمَنَّا بِاللَّهِ﴾ الذي دعوت إليه ﴿واشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ لتشهد يوم القيامة حين يشهد الرسل لقومهم وعليهم.

[سورة آل‌عمران الآيات ٥٣ - ٧٠]

رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلْتَ وَٱتَّبَعْنَا ٱلرَّسُولَ فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٥٣﴾ وَمَكَرُوا۟ وَمَكَرَ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴿٥٤﴾ إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّى مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَىَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَجَاعِلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ فَوْقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ۖ ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٥٥﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَأُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٥٦﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٧﴾ ذَٰلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ ٱلْءَايَٰتِ وَٱلذِّكْرِ ٱلْحَكِيمِ ﴿٥٨﴾ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ ۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٥٩﴾ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ

فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿٦٠﴾ فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا۟ نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٦١﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْقَصَصُ ٱلْحَقُّ ۚ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٦٢﴾ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٦٣﴾ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تُحَآجُّونَ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمَآ أُنزِلَتِ ٱلتَّوْرَىٰةُ وَٱلْإِنجِيلُ إِلَّا مِنۢ بَعْدِهِۦٓ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٥﴾ هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ حَٰجَجْتُمْ فِيمَا لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَآجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٦﴾ مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٦٧﴾ إِنَّ أَوْلَى ٱلنَّاسِ

بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا ٱلنَّبِيُّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٨﴾ وَدَّت طَّآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يُضِلُّونَكُمْ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٦٩﴾ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ ﴿٧٠﴾

﴿ ربَّنا آمنَّا بما أنزلت﴾ في كتبك ﴿ واتَّبعْنا الرَّسُولَ﴾ أي: عيسى ﴿ فَاكْتُبْنا مَعَ الشَّاهِدِينَ﴾ بوحدانيتك، أومع الأنبياء الشاهدين، أومع أمة محمد (ص) فإنهم شهداء على الناس ﴿ ومَكَرُوا﴾ اي الذين أحس منهم الكفر من اليهود بأن وكلوا عليه من يقتله غيلة ﴿ ومَكَرَ اللَّهُ﴾ برفعه عيسى، وإلقاء شبهه على غيره حتى قتل، واسناد المكر إليه تعالى للمقابلة، أوبمعنى المجازاة ـ كما عن الرضا (ع) ـ ﴿ واللَّهُ خَيْرُ الْماكِرِينَ﴾ أقواهم مكراً وأنفذهم كيداً ﴿إِذْ قالَ اللَّهُ﴾ ظرف لخير الماكرين، أومكر الله ﴿ يا عِيسى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ ﴾ مستوفٍ أجلك، عاصماً ايّاك من قتلهم، أوقابضك من الأرض، أومميتك من الشهوات العائقة عن العروج إلى عالم الملكوت، أومتوفيك نائماً، قيل: أماته الله سبع ساعات ثم رفعه ﴿ وَرافِعُكَ إِلَيَّ﴾ إلى محل كبريائي ومقربي ملائكتي ﴿ومُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ من سوء جوارهم وقصدهم﴿ وجاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلى يَوْمِ الْقِيامَةِ﴾ يعلونهم بالحجة وبالسيف، ومتبعوه من آمن بنبوته من المسلمين والنصارى، وإلى الآن لم تسمع غلبة اليهود عليهم، ولا يتفق لهم ملك ولا دولة ﴿ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ ﴾ فيه تغليب للمخاطبين على غيرهم ﴿ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيما كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ من أمر الدين ﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ من

اليهود وغيرهم ﴿ فَأُعَذِّبُهُمْ عَذاباً شَدِيداً فِي الدُّنْيا ﴾ بضرب الجزية والهوان ﴿ وَ﴾ في﴿ الآخِرَةِ﴾ بالنار﴿ وما لَهُمْ مِنْ ناصِرِينَ﴾ يسعون في استخلاصهم ﴿ وأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وعَمِلُوا الصَّالحات فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ﴾ في الدنيا والآخرة تفصيل للحكم، وبيان له وقرأ حفص بالياء ﴿ واللَّهُ لا يُحِبُّ الظَّالمِينَ ﴾ لا يرضى عنهم ﴿ ذلِكَ﴾ أي: ما ذكر من نبأ عيسى وغيره، وهومبتدأ ﴿ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ الآيات﴾ حال من الهاء، أوخبر آخر، أولمحذوف﴿ والذِّكْرِ﴾ أي: القرآن وقيل اللوح ﴿ الحَكِيمِ﴾ المشتمل على الحكم، أوالمحكم من تطرق الخلل إليه ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ ﴾ أي: شأنه الغريب كشأن آدم﴿ خَلَقَهُ مِنْ تُرابٍ ﴾ جملة مفسرة لوجه الشبه وهوانه خلق بلا أب، كما خلق آدم بلا أب بل بلا أمٍ أيضاً، شبّه حاله بما هوأغرب إفحاماً للخصم بطريق المبالغة﴿ ثُمَّ قالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾ أي: فكان ﴿ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ﴾ خبر، أي: هو الحق ﴿ فَلا تَكُنْ مِنَ الْمُمْتَرِينَ﴾ نهيه (ص) من باب التهييج لزيادة اليقين ﴿ فَمَنْ حَاجَّكَ ﴾ من النصارى﴿ فيه﴾ أي: في عيسى ﴿ مِنْ بَعْدِ ما جاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ﴾ من الدلائل الموجبة للعلم﴿ فَقُلْ تَعالَوْا﴾ هلمّوا بالعزم﴿ نَدْعُ أَبْناءَنا وأَبْناءَكُمْ ونساءَنا ونِساءَكُمْ وأَنْفُسَنا وأَنْفُسَكُمْ ﴾ أي يدع كل مني ومنكم أبناءه ونساءه ومن هو كنفسه إلى المباهلة ﴿ ثُمَّ نَبْتَهِلْ﴾ نتباهل، بأن نلعن الكاذب منا، والبهلة بالفتح والضم: اللعنة﴿ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكاذِبِينَ ﴾ عطف مفسر، روي انهم حين دعوا إلى المباهلة قالوا: حتى ننظر، فلما تخالوا قالوا للعاقب- وكان ذا رأيهم-: ما ترى؟ فقال: واللّه لقد عرفتم نبوته، ولقد جاءكم بالفصل في أمر صاحبكم، واللّه ما باهل قوم نبياً الا هلكوا، فان أبيتم إلا إلف دينكم فوادعوا الرجل وانصرفوا، فأتوا رسول اللّه (ص) وقد غدا محتضناً الحسين، آخذاً بيد الحسن، وفاطمة تمشي خلفه، وعلي خلفه، وهو

يقول: إذا انا دعوت فامّنوا، فقال أسقفهم: يا معشر النصارى اني لأرى وجوها لوسألوا الله ان يزيل جبلاً من مكانه لأزاله فلا تباهلوا، فأبوا المباهلة، وصالحوا على ألفي حلة وعارية ثلاثين درعا في كل عام، فقال (ص): والذي نفسي بيده لوباهلوا لمسخوا قردة وخنازير، ولاضطرم الوادي عليهم ناراً، ولاستأصل الله نجران وأهله حتى الطير على الشجر، كذا روته العامة، وهودليل على نبوته (ص)، وفضل من أتى بهم من أهل بيته وشرفهم شرفاً لا يسبقهم إليه خلق إذ جعل نفس علي نفسه ﴿إِنَّ هذا﴾ الذي قص من نبإ عيسى (ع) ﴿لَهُوَ﴾ فصل، أومبتدأ خبره ﴿الْقَصَصُ الْحَقُّ وما مِنْ إِلهٍ إِلاَّ اللَّهُ﴾ زيادة (من) لزيادة الاستغراق، لتأكيد الرد على النصارى في تثليثهم ﴿وإِنَّ اللَّهَ لَهُوالْعَزِيزُ﴾ لا يساويه أحد في القدرة التامة ﴿الْحَكِيمُ﴾ ولا في الحكمة البالغة لا يشاركه في الإلهية ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا﴾ عن التوحيد ﴿فَإِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِالْمُفْسدين﴾ إيراد المظهر ليدل على أن التولي إفساد للدين والإعتقاد ﴿قُلْ يا أَهْلَ الْكِتاب﴾ قيل: تعمّ أهل الكتابين، وقيل: يريد وفد نجران، أويهود المدينة ﴿تعالَوْا إِلى كَلِمَةٍ سَواء﴾ مستوية ﴿بَيْنَنا وبَيْنَكُمْ﴾ لا يختلف فيها الرسل والكتب، وهي: ﴿أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللَّهَ﴾ أن نوحده بالعبادة مخلصين ﴿ولا نُشْرِكَ به شَيْئاً﴾ ولا نجعل أحداً شريكاً له في إستحقاق العبادة ﴿ولا يَتَّخِذَ بَعْضُنا بَعْضاً أَرْباباً مِنْ دُونِ اللَّه﴾ فلا نقول عزير بن الله، ولا المسيح بن الله، ولا نطيع الأحبار فيما أحدثوا من التحليل والتحريم، لأن كلاً منهم بعضنا وبشر مثلنا، روي أنه لما نزلت (اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله)[1] قال عدي بن حاتم: ما كنا نعبدهم يا رسول الله، قال: أ ليس كانوا يحلّون لكم

---

(١) سورة التوبة الآية ٣١.

ويحرمون فتأخذون بقولهم؟ قال: نعم قال: هو ذاك﴿ فَإِنْ تَوَلَّوْا ﴾عن التوحيد ﴿ فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ أي: لزمتكم الحجة فاعترفوا بانا مسلمون دونكم، أو بأنكم كافرون حيث توليتم عن الحق الجلي﴿ يا أَهْلَ الْكتاب لِمَ تُحَاجُّونَ في إِبْراهِيمَ وما أُنزلَتِ التَّوْراةُ والإِنجِيلُ إلا مِنْ بَعْدِه ﴾ قيل: زعم كل فريق من اليهود والنصارى إن إبراهيم منهم، فتنازعوا عند النبي (ص) فقيل لهم: ان اليهودية والنصرانية حدثا بعد نزول التوراة والإنجيل على موسى وعيسى وكان ابراهيم قبل موسى بألف سنة وقبل عيسى بألفين فكيف يكون عليهما؟﴿ أ فَلا تَعْقِلُونَ﴾ استحالة دعواكم ﴿ ها ﴾ للتنبيه﴿ أَنْتمْ﴾ مبتدأ ﴿ هؤُلاء﴾ خبره﴿ حاجَجْتُمْ﴾ جملة مبيّنة للأحوال، أي: أنتم هؤلاء الحمقاء، وبيان حماقتكم أنكم جادلتم﴿ فيما لَكُمْ به عِلْمٌ﴾ ما في التوراة والإنجيل ﴿ فَلِمَ تُحَاجُّونَ فِيما لَيسَ لَكُمْ به عِلْمٌ ﴾ ولا ذكر في كتابكم من دين ابراهيم﴿ واللَّهُ يَعْلَمُ ﴾ ما حاججتم فيه، أوله العلم ﴿ وَأَنْتمْ لا تَعْلَمُونَ ﴾ أي: لا تعلمونه، أو لستم من أهل العلم ﴿ ما كانَ إِبْراهِيمُ يَهُودِيًا ولا نَصْرانيًّا ﴾ بعد ما قرر ان ابراهيم لم يكن على دين اليهودية والنصرانية التي هم عليها الآن، نفى عنه أصل اليهودية والنصرانية مطلقاً، ولما كان يوهم ذلك كونه على غير الحق، لأن أصل اليهودية والنصرانية لم يكن غير حق، نفى ذلك الوهم بقوله ﴿ ولكِنْ كانَ حَنِيفاً ﴾ مائلا عن العقائد الزائغة[1]﴿ مُسْلِماً ﴾ منقاداً للّه تعالى، وعن الصادق (ع) خالصاً مخلصاً ليس فيه شيء من عبادة الأوثان، وعن علي (ع): لا يهودياً يصلي إلى المغرب، ولا نصرانياً يصلي إلى المشرق، ولكن كان حنيفاً مسلماً على دين محمد (ص)

---

(١) الزائغة: أي: المنحرفة عن جادة الحق.

﴿ وما كانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ تعريض بأنهم مشركون لاشراكهم به عزيراً والمسيح، وردٌ لادعاء المشركين أنهم على ملة ابراهيم ﴿ إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْراهِيمَ ﴾ أخصهم به وأقربهم منه، من (الولا) أي: القرب ﴿ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ ﴾ من أمته ﴿ وهذَا النَّبِيُّ والَّذِينَ آمَنُوا معه ﴾ لموافقتهم له في أكثر ما شرع لهم، وعن الصادق (ع): هم الأئمة واتباعهم ﴿ واللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ ناصرهم ﴿ وَدَّتْ طائفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتابِ لَوْيُضِلُّونَكُمْ ﴾ قيل: نزلت في اليهود لما دعوا حذيفة وعماراً ومعاذاً إلى اليهودية، ولوبمعنى (أن) ﴿ وما يُضِلُّونَ إِلاَّ أَنْفُسَهُمْ ﴾ وما يلحق وبال إضلالهم الا بهم، إذ يضاعف به عذابهم ﴿ وما يَشْعُرُون ﴾ وزره واختصاص ضرره بهم ﴿ يا أَهْلَ الْكِتابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بآياتِ اللَّه ﴾ الدالة على نبوة محمد (ص) ممّا نطقت به التوراة والإنجيل ﴿ وأَنْتُمْ تَشْهَدُون ﴾ انها آيات اللّه، أوبالقرآن وأنتم تشهدون نعته في الكتابين، أوتعلمون بالمعجزات انه حق.

[سورة آل‌عمران الآيات ٧١ - ٨٣]

يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لِمَ تَلۡبِسُونَ ٱلۡحَقَّ بِٱلۡبَٰطِلِ وَتَكۡتُمُونَ ٱلۡحَقَّ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿٧١﴾ وَقَالَت طَّآئِفَةٞ مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ ءَامِنُواْ بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَجۡهَ ٱلنَّهَارِ وَٱكۡفُرُوٓاْ ءَاخِرَهُۥ لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ ﴿٧٢﴾ وَلَا تُؤۡمِنُوٓاْ إِلَّا لِمَن تَبِعَ دِينَكُمۡ قُلۡ إِنَّ ٱلۡهُدَىٰ هُدَى ٱللَّهِ أَن يُؤۡتَىٰٓ أَحَدٞ مِّثۡلَ مَآ أُوتِيتُمۡ أَوۡ يُحَآجُّوكُمۡ عِندَ رَبِّكُمۡۗ قُلۡ إِنَّ ٱلۡفَضۡلَ

بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ يَخۡتَصُّ بِرَحۡمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ﴿٧٤﴾ وَمِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ مَنۡ إِن تَأۡمَنۡهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيۡكَ وَمِنۡهُم مَّنۡ إِن تَأۡمَنۡهُ بِدِينَارٍ لَّا يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيۡكَ إِلَّا مَا دُمۡتَ عَلَيۡهِ قَآئِمًا ۗ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ قَالُواْ لَيۡسَ عَلَيۡنَا فِي ٱلۡأُمِّيِّـۧنَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ﴿٧٥﴾ بَلَىٰ مَنۡ أَوۡفَىٰ بِعَهۡدِهِۦ وَٱتَّقَىٰ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُتَّقِينَ ﴿٧٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشۡتَرُونَ بِعَهۡدِ ٱللَّهِ وَأَيۡمَٰنِهِمۡ ثَمَنًا قَلِيلًا أُوْلَٰٓئِكَ لَا خَلَٰقَ لَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ وَلَا يَنظُرُ إِلَيۡهِمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمۡ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٧﴾ وَإِنَّ مِنۡهُمۡ لَفَرِيقًا يَلۡوُۥنَ أَلۡسِنَتَهُم بِٱلۡكِتَٰبِ لِتَحۡسَبُوهُ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَمَا هُوَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ وَمَا هُوَ مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ﴿٧٨﴾ مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤۡتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحُكۡمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُواْ عِبَادًا لِّي مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن كُونُواْ رَبَّٰنِيِّـۧنَ بِمَا

كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾ وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ أَرْبَابًا ۗ أَيَأْمُرُكُم بِٱلْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿٨٠﴾ وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ ۚ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى ۖ قَالُوٓا۟ أَقْرَرْنَا ۚ قَالَ فَٱشْهَدُوا۟ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٨١﴾ فَمَن تَوَلَّىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٨٢﴾ أَفَغَيْرَ دِينِ ٱللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾

﴿يا أَهْلَ الْكِتابِ لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْباطِلِ﴾ بالتحريف وإبراز الباطل في صورة الحق، أو بالتقصير في التمييز بينهما، وقرئ (تلبسون) بالتشديد ﴿وتَكْتُمُونَ الْحَقَّ من نبوة محمد (ص)﴾ ﴿وأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ عالمين بما تكتمونه، أو أنتم من أهل العلم ﴿وقالَتْ طائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتابِ آمِنُوا﴾ أظهروا الإيمان بالقرآن ﴿بِالَّذي أُنْزِلَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَجْهَ النَّهارِ﴾ أوّله ﴿واكْفُرُوا آخِرَهُ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ أي: يشكون في دينهم ظناً بأنكم رجعتم بخلل ظهر لكم، القمي: نزلت في قوم من اليهود قالوا آمنا

بالذي جاء محمد (ص) بالغداة وكفروا به بالعشي، وعن الباقر (ع): أن رسول الله (ص) لما قدم المدينة وهو يصلي نحو بيت المقدس أعجب ذلك اليهود، فلما صرفه الله عن بيت المقدس إلى بيت الله الحرام وجدت[1] اليهود من ذلك، وكان صرف القبلة صلاة الظهر، فقالوا: صلى محمد (ص) الغداة واستقبل قبلتنا فآمنوا بالذي انزل على محمد (ص) وجه النهار، وكفروا آخره يعني: القبلة لعلهم يرجعون إلى قبلتنا ﴿ ولا تُؤْمِنُوا إِلاَّ لِمَنْ تَبِعَ دِينَكُمْ ﴾ أي: لا تصدقوا الا لأهل دينكم، أولا تظهروا إيمانكم وجه النهار إلا لمن كان على دينكم، فإنهم أرجى رجوعاً ﴿ قُلْ إِنَّ الْهُدَى هُدَى اللَّهِ ﴾ يهدي من يشاء إلى الإيمان ويثبته عليه﴿ أَنْ يُؤْتَى أَحَدٌ مِثْلَ ما أُوتِيتُمْ ﴾ تعليل لمحذوف، أي: دبرتم وقلتم ذلك لأجل ان يؤتى أي: الحسد حملكم على ذلك، أولئلا تؤمنوا على المعنى الثاني أي: لا تظهروا إيمانكم للمسلمين لئلا يزيد ثباتهم، أوللمشركين فيدعوهم إلى الإسلام وعلى هذا قوله: ان الهدى إلخ اعتراض يدل على أن كيدهم لا يجدي، ويحتمل أن يكون خبر (ان) و(هدى الله) بدلاً من (الهدى) وقرأ ابن كثير (ان يؤتى) على الاستفهام للتوبيخ ﴿ أَوْيُحاجُّوكُمْ عِنْدَ رَبِّكُمْ ﴾ عطف على (ان يؤتى) على الأولين، وعلى الثالث معناه: حتى يحاجوكم عند ربكم فيقطعوكم، و(الواو) ضمير لـ(أحد) لأنه في معنى الجمع ﴿ قُلْ إِنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشاءُ ﴾ لا ينفع في جلبه أمثال هذه التدابير﴿ واللَّهُ واسِعٌ﴾ الفضل ﴿ عَلِيمٌ﴾ بمن يصلح له الفضل﴿ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشاءُ﴾ من غير استيجاب سابق منه ﴿ واللَّهُ ذُوالْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴾ فلا هداية ولا توفيق إلا من لطفه تعالى ﴿ ومِنْ أَهْلِ

---

(١) تألمت.

الْكتابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنْهُ بِقِنْطارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ ﴾ نقل أن عبد الله بن سلام استودعه قرشي ألفا ومائتين أوقية ذهباً فادّاها إليه ﴿ ومِنْهُمْ مَنْ إِنْ تَأْمَنْهُ بِدِينارٍ لا يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ﴾ نقل أن فنحاص بن عازورا استودعه قرشي آخر ديناراً فجحد، وقيل: المأمونون على الكثير النصارى إذ الغالب فيهم الامانة، والخائنون في القليل اليهود إذ الغالب عليهم الخيانة، وقرأ حمزة وابوبكر وابوعمرو(يؤده) بإسكان الهاء، وقالوا باختلاس الهاء، والباقون بإشباع الكسرة﴿ إِلاَّ ما دُمْتَ عَلَيْهِ قائماً ﴾ أي: إلا ان تأخذه قبل المفارقة بالعنف ﴿ ذلِكَ ﴾ أي: ترك الأداء ﴿ بِأَنَّهُمْ قالُوا﴾ بسبب قولهم﴿ لَيْسَ عَلَيْنا فِي الأُمِّيِّينَ﴾ أي: في شأن من ليسوا من أهل ديننا ﴿ سَبِيلٌ﴾ بعقاب، استحلوا ظلم من خالفهم وقالوا: لم يُجعَل لهم في كتابنا حرمة، وقيل: بايع اليهود رجالاً من قريش فأسلموا فتقاضّوهم فقالوا: لا حق لكم لترككم دينكم وذلك في كتابنا ﴿ ويَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ﴾ بما ادعوا ﴿ وهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ أنهم كاذبون ﴿ بَلى﴾ إثبات لما نفوه، أي: عليهم سبيل ﴿ مَنْ أَوْفى بِعَهْدِهِ واتَّقى فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾ استئناف مقرر للجملة التي سدت (بلى) مسدها، والضمير مجرور بإضافة العهد، من الاضافة إلى الفاعل لورجع إلى (من)، ومن الاضافة إلى المفعول لورجع إلى (اللّه) وعموم (المتقين) ناب العائد من الجزاء إلى (من) وأشعر بأن التقوى ملاك الأمر، وهويعم الوفاء وغيره من أداء الواجبات وترك المحرمات﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ﴾ يستبدلون ﴿ بِعَهْدِ اللَّهِ﴾ بما عاهدوه عليه من الإيمان لمحمد(ص)، أوالأعم ﴿ وأَيْمانِهِمْ﴾ وبما حلفوا به من قولهم: (والله لتؤمنن به ولتنصرنه) وفي النبوي (ص) من حلف على يمين كاذبة ليقطع بها مال أخيه المسلم لقي الله وهوعليه غضبان وتلا هذه الآية، ﴿ ثَمَناً قَلِيلاً ﴾ من حطام الدنيا ﴿ أُولئِكَ لا خَلاقَ ﴾ لا نصيب ﴿لَهُمْ فِي الآخِرَةِ ولا

﴿يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ﴾ بما يسرهم، أوبشيء أصلا، وإنما تحاسبهم الملائكة، أوكناية عن سخطه عليهم مثل﴿ ولا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيامَةِ ﴾ فان من سخط على غيره اعرض عن التكلم معه والنظر إليه ﴿ولا يُزَكِّيهِمْ﴾ من ذنوبهم ـ كما روي ـ أولا يثني عليهم ﴿ ولَهُمْ عَذابٌ أَلِيمٌ﴾ مؤلم على فعلهم، قيل: نزلت في أحبار كتموا أمر محمد (ص)، وحرّفوا التوراة للرشوة، أوفي رجل حلف كاذباً في انفاق سلعته، وعن الرضا (ع) في تعداد الكبائر قال: واليمين الغموس[1] لأن الله يقول: ان الذين... إلخ وعن الباقر (ع): انها نزلت في العهد ﴿ وإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقاً يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُمْ بِالْكِتابِ﴾ يفتلونها بتلاوته، فيميلونها عن المُنزَل إلى المحرّف ﴿ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتابِ وما هُومِنَ الْكِتابِ ﴾ الضمير لـ(المحرف) الدال عليه (يلوون) ﴿ ويَقُولُونَ هُومِنْ عِنْدِ اللَّهِ وما هُومِنْ عِنْدِ اللَّهِ ﴾ تأكيد لقوله: وما هومن الكتاب، وتشنيع عليهم بالكذب لادعائهم ذلك تصريحاً لا تعريضاً ﴿ ويَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ تسجيل عليهم بالكذب على الله والتعمد فيه، القمي : كان اليهود يقرءون شيئاً ليس في التوراة ويقولون: هوفي التوراة، فكذبهم الله، وعن ابن عباس: هم اليهود الذين قدموا على كعب بن الأشرف، وغيّروا التوراة وكتبوا كتاباً بدلوا فيه صفة النبي (ص)، ثم أخذت قريظة ما كتبوه، فخلطوه بالكتاب الذي عندهم ﴿ ما كانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتابَ والْحُكْمَ والنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِباداً لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ ﴾ القمي: ان عيسى لم يقل للناس: اني خلقتكم فكونوا عباداً لي من دون الله ﴿ ولكِنْ﴾ قال لهم ﴿ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ﴾ الرباني: منسوب إلى الرب ـ بزيادة الالف والنون ـ وهو: الكامل علماً وعملاً

---

(١) المقصود بـ(اليمين الغموس) هو: اليمين الكاذبة ، قيل: سميت بذلك لأنها تغمس صاحبها في الإثم.

﴿بِما كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتابَ وبِما كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ﴾ بسبب كونكم معلمين الكتاب، وبسبب كونكم دارسين له، إذ ثمرة التعليم والتعلم كسب العلم والعمل، وقرأ نافع وابن كثير وأبوعمرو(تعلمون) أي: عالمين عن النبي (ص) قال: لا ترفعوني فوق حقي فان اللّه اتخذني عبداً قبل أن يتخذني نبياً قال اللّه: ما كان لبشر الخ ﴿ولا يَأْمُرَكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلائِكَةَ والنَّبِيِّينَ أَرْباباً﴾ نصبه ابن عام وحمزة وعاصم عطفاً على (ثم يقول) و(لا) زيدت تأكيداً لمعنى النفي في (ما كان) أي: ما كان لبشر أن يستنبئه ثم يأمر الناس بعبادته، ويأمركم باتخاذ المربوبين أرباباً، ورفعه الباقون إستئنافاً، والقمي: كان قوم يعبدون الملائكة، وقوم من النصارى زعموا أن عيسى رب، واليهود قالوا عزير بن اللّه فقال اللّه: أ يأمركم ان تتخذوا الملائكة .. إلخ ﴿أَ يَأْمُرُكُمْ بِالْكُفْرِ﴾ إنكار، والمستتر للبشر، أو اللّه ﴿بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ وإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثاقَ النَّبِيِّينَ﴾ قيل: هوعلى ظاهره، وإذا كان هذا حكم النبيين كان الأمم به أولى، وعن علي (ع) ان اللّه أخذ الميثاق على الأنبياء قبل نبينا أن يخبروا أممهم بمبعثه ونعته، ويبشروهم به، ويأمروهم بتصديقه، وقيل: معناه أنه تعالى أخذ الميثاق من النبيين وأممهم، واستغنى بذكرهم عن ذكر الأمم، وقيل: إضافة الميثاق إلى النبيين اضافة إلى الفاعل، أي: الميثاق الذي واثقه الأنبياء على أممهم، وعن الباقر (ع): انه طرح عنها لفظ الأمم، وعن الصادق (ع): تقديره: وإذ أخذ اللّه ميثاق أمم النبيين بتصديق نبينا، والعمل بما جاء به، وأنهم خالفوهم فيما بعد ﴿لَما آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتابٍ وحِكْمَةٍ﴾ (اللام) موطئة للقسم، لأن أخذ الميثاق بمعنى الاستخلاف، و(ما) يحتمل الشرطية والخبرية، وقرأ حمزة (لِما) بالكسر على ان (ما) مصدرية أي: لأجل ايتائي إياكم بعض الكتاب والحكمة، ثم لمجيء رسول مصدق له أخذ اللّه الميثاق، وقرأ

(لما) أي: حين أتيتكم، أولمن أجل ما آتيتكم على أن أصله (لمن ما) بالإدغام فحذفت إحدى الميمات الثلاثة إستثقالاً، وقرأ نافع (أتيناكم) بصيغة المتكلم مع الغير، فان كان أخذ الميثاق على النبيين فايتاء الكتاب والحكمة إليهم أنفسهم، وان كان على الأمم فاتيانهما إلى أنبيائهم وهو الإيتاء إليهم ﴿ ثُمَّ جاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لما مَعَكُمْ﴾ وهومحمد (ص) المصدق للأنبياء والكتب السالفة ﴿ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ﴾ جواب القسم وسادّ مسد الشرط علىتقدير، واحدهما على تقدير آخر، أي: أخذ الميثاق على النبيين، أوعلى أممهم، أوعليهم وعلى أممهم، لتؤمنن بذلك الرسول ولتنصرنه، ونصرته من الأنبياء السابقة ان يخبروا أممهم بان يؤمنوا به وبأوصيائه ـ كما في الاخبار ـ ﴿ قالَ أَ أَقْرَرْتُمْ وأَخَذْتُمْ عَلى ذلِكُمْ إِصْرِي﴾ أي: عهدي، سمي به لأنه يُصَر أي: يُشَد﴿ قالُوا أَقْرَرْنا قالَ فَاشْهَدُوا﴾ فليشهد بعضكم لبعض، أوالخطاب للملائكة، أو الأنبياء، والأخيران مرويان ﴿ وأَنا مَعَكُمْ مِنَ الشّاهِدِينَ﴾ عليكم وعلى أممكم وهوتحذير بليغ، عن الصادق (ع): ما بعث اللّه نبياً من لدن آدم فهلم جرا إلا ويرجع إلى الدنيا، وينصر امير المؤمنين (ع) وهوقوله: (لتؤمننّ به) يعني رسول اللّه (ص) (ولتنصرنّه) يعني: امير المؤمنين (ع) ثم قال لهم في الدنيا: (أ أقررتم وأخذتم على ذلكم إصري) أي: عهدي قالوا: (أقررنا) قال اللّه للملائكة: (فاشهدوا وأنا معكم إلخ) وفي آخر: ثم قال لهم في الذر: أ أقررتم إلخ ﴿ فَمَنْ تَوَلّى بَعْدَ ذلِكَ ﴾ الميثاق والإقرار والشهادة ﴿ فَأُولئِكَ هُمُ الْفاسِقُونَ﴾ المتمردون من الكفّار﴿ أَفَغَيْرَ دِينِ اللّهِ يَبْغُونَ﴾ عطف على الجملة المتقدمة، وتوسطت بينهما همزة الإنكار، أوعلى محذوف أي: أيتولون فغير دين اللّه يبغون؟ وقدم المفعول لتوجه الإنكار إليه، وقرأ أبوعمرو وحفص بلفظ الغيبة، والباقون بالتاء بتقدير: (وقل لهم)

﴿ ولَهُ أسْلَمَ مَنْ فِي السَّماواتِ والأرْضِ طَوْعاً وكَرْهاً ﴾ طائعين بالنظر إلى الحجج، وكارهين بالسيف، أومعاينة ما يلجئ إلى الإسلام كشق الجبل وإدراك الغرق وعن الصادق(ع) هوتوحيدهم لله، وعنه (ع) معناه أكره أقوامٌ على الإسلام وجاء أقوام طائعين، قال (كرهاً) أي: فرقاً[1] من السيف ﴿ وإلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴾ قرأ حفص بالياء والضمير لـ(من).

[سورة آل‌عمران الآيات ٨٤ - ١٠٠]

قُلْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿٨٤﴾ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾ كَيْفَ يَهْدِى ٱللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا۟ بَعْدَ إِيمَٰنِهِمْ وَشَهِدُوٓا۟ أَنَّ ٱلرَّسُولَ حَقٌّ وَجَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٦﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُمْ أَنَّ عَلَيْهِمْ لَعْنَةَ ٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿٨٧﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٨٨﴾

---

(١) الفرق: هوالجزع وشدة الخوف.

إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ وَأَصۡلَحُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ﴿٨٩﴾
إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بَعۡدَ إِيمَٰنِهِمۡ ثُمَّ ٱزۡدَادُواْ كُفۡرٗا لَّن تُقۡبَلَ تَوۡبَتُهُمۡ
وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلضَّآلُّونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَمَاتُواْ وَهُمۡ كُفَّارٞ فَلَن
يُقۡبَلَ مِنۡ أَحَدِهِم مِّلۡءُ ٱلۡأَرۡضِ ذَهَبٗا وَلَوِ ٱفۡتَدَىٰ بِهِۦٓۗ أُوْلَٰٓئِكَ
لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٩١﴾ لَن تَنَالُواْ ٱلۡبِرَّ حَتَّىٰ
تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَۚ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيۡءٖ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٞ ﴿٩٢﴾
كُلُّ ٱلطَّعَامِ كَانَ حِلّٗا لِّبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسۡرَٰٓءِيلُ عَلَىٰ
نَفۡسِهِۦ مِن قَبۡلِ أَن تُنَزَّلَ ٱلتَّوۡرَىٰةُۚ قُلۡ فَأۡتُواْ بِٱلتَّوۡرَىٰةِ فَٱتۡلُوهَآ إِن
كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴿٩٣﴾ فَمَنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَ مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ
فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٩٤﴾ قُلۡ صَدَقَ ٱللَّهُۗ فَٱتَّبِعُواْ مِلَّةَ إِبۡرَٰهِيمَ
حَنِيفٗا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴿٩٥﴾ إِنَّ أَوَّلَ بَيۡتٖ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي
بِبَكَّةَ مُبَارَكٗا وَهُدٗى لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴿٩٦﴾ فِيهِ ءَايَٰتُۢ بَيِّنَٰتٞ مَّقَامُ إِبۡرَٰهِيمَۖ
وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنٗاۗ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلۡبَيۡتِ مَنِ ٱسۡتَطَاعَ

إِلَيۡهِ سَبِيلٗاۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٩٧﴾ قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لِمَ تَكۡفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا تَعۡمَلُونَ ﴿٩٨﴾ قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لِمَ تَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ مَنۡ ءَامَنَ تَبۡغُونَهَا عِوَجٗا وَأَنتُمۡ شُهَدَآءُۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ ﴿٩٩﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تُطِيعُواْ فَرِيقٗا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ يَرُدُّوكُم بَعۡدَ إِيمَٰنِكُمۡ كَٰفِرِينَ ﴿١٠٠﴾

﴿ قُلْ آمَنَّا بِاللَّهِ وما أُنزِلَ عَلَيْنا وما أُنزِلَ عَلى إِبْراهِيمَ وإِسْماعِيلَ وإِسْحاقَ ويَعْقُوبَ والأَسْباطِ وما أُوتِيَ مُوسى وعِيسى والنَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ﴾ أمر الرسول (ص) بأن يخبر عن نفسه ومن معه بالإيمان، أوبان يتكلم عن نفسه تكلم الملوك إجلالاً له، والنزول يعدى بـ(إلى) و(على) لأنه من فوق وينتهي إلى الرسول (ص) ﴿لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ﴾ بالتصديق والتكذيب ﴿ونَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ منقادون مخلصون ﴿ ومَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلامِ دِيناً ﴾ أي: غير التوحيد والانقياد ﴿ فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وهُوَفِي الآخِرَةِ مِنَ الْخاسِرِينَ ﴾ لإبطاله الفطرة السليمة التي فطر الناس عليها ﴿ كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْماً كَفَرُوا بَعْدَ إِيمانِهِمْ وشَهِدُوا أَنَّ الرَّسُولَ حَقٌّ وجاءَهُمُ الْبَيِّناتُ﴾ إستبعاد لهدايتهم، فإن الحائد عن الحق بعد ما وضح له منهمك في الضلال، وقيل: نفي وإنكار له، ويدل على عدم قبول توبة المرتد، و(شهدوا) عطف على معنى الفعل في (إيمانهم) أوحال من (كفروا) بتقدير (قل) ﴿ واللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ بعنادهم

وإصرارهم بعد البينات، وأتى بالظاهر موضع المضمر إشعاراً بالعلية، أوالظالمين أنفسهم بالإخلال بالنظر ﴿ أُولئِكَ جَزاؤُهُمْ أَنَّ عَلَيْهِمْ لَعْنَةَ اللَّهِ والْمَلائِكَةِ والنَّاسِ أَجْمَعِينَ خالِدِينَ فيها﴾ في اللعنة، أوالعقوبة التي استحقوها بها ﴿ لا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذابُ ولا هُمْ يُنْظَرُونَ إلاَّ الَّذِينَ تابُوا مِنْ بَعْدِ ذلِكَ﴾ الإرتداد ﴿ وأَصْلَحُوا﴾ ما أفسدوا، أودخلوا في الصلاح ﴿ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ﴾ لذنوبهم ﴿ رَحِيمٌ﴾ بهم، عن الصادق (ع): نزلت الآيات في رجل من الأنصار يقال له الحارث بن سويد وكان قتل المحذر بن زياد غدراً وهرب وارتد عن الإسلام ولحق بمكة، ثم ندم فأرسل إلى قومه ان يسألوا رسول اللّه (ص): هل لي من توبة؟ فسألوا، فنزلت إلى قوله (إلاّ الذين تابوا) فحملها رجل من قومه إليه فقال: إني لأعلم أنك لصدوق، ورسول اللّه (ص) أصدق منك، وإن اللّه تعالى أصدق الثلاثة، ورجع إلى المدينة وتاب وحسن إسلامه ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بَعْدَ إِيمانِهِمْ ثُمَّ ازْدادُوا كُفْراً﴾ كاليهود كفروا بعيسى بعد ايمانهم بموسى، ثم ازدادوا كفراً بمحمد (ص)، أوبمحمد بعد ايمانهم به قبل مبعثه، ثم ازدادوا كفراً بإصرارهم، وطعنهم فيه، وصدهم عن الإيمان، أوهم قوم ارتدوا ولحقوا بمكة، ثم ازدادوا كفراً بقولهم نتربص بمحمد (ص) ريب المنون، وان راجعنا نافقنا بإظهار التوبة ﴿لَنْ تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ﴾ لنفاقهم فيها، وشرط قبولها الإخلاص، أولأنهم لا يتوبون إلا عند المعاينة، لا لارتدادهم وزيادة كفرهم، ولذا ترك الفاء فيه ﴿ وأُولئِكَ هُمُ الضَّالُّونَ﴾ الثابتون على الضلال ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وماتُوا وهُمْ كُفَّارٌ فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِمْ مِلْءُ الأَرْضِ ذَهَباً﴾ اتى بالفاء إيذاناً بان سبب امتناع قبول الفدية الموت على الكفر، و(ذهبا) تمييز ﴿ ولَوِافْتَدى بِهِ ﴾ معطوف على مضمر، أي: فلن يقبل من أحدهم ملء الأرض ذهباً لوتقرب به في الدنيا، ولو افتدى به من العذاب في

الآخرة، أو محمول على المعنى،كأنه قيل: فلن يقبل من أحدهم فدية ولـو افتـدى بملء الأرض ذهباً، أوالمراد: فلن يقبل من أحدهم الإنفاق في سبيل الله بملء الأرض ذهباً، ولوكان على وجه الافتداء من الإنفاق في سبيل اللّه بملء الأرض ذهباً ولوكان على وجه الافتداء من عذاب الآخرة من دون توقع ثواب آخر، أو المراد فلن يقبل من أحدهم ملء الأرض ذهباً ملكه ولوافتدى به ﴿ وأُولئِكَ لَهُمْ عَذابٌ أَليمٌ ﴾ مبالغة في التحذير، وإقناط من العفوعنهم تفضلاً ﴿ لَنْ تَنالُوا الْبِرَّ ﴾ أي: لن تبلغوا كماله، أو لن تكونوا أبراراً، أو لن تدركوا بر اللّه وثوابه ﴿ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّـونَ ﴾ مـن المال، أو مما يعمّه والنفس والجاه والبدن في سبيل اللّه وطاعته ومعاونة الناس، ويعم الانفاق الواجب والفضل، و(من) للتبعيض أوالتبيين، وعن الصادق (ع): (حتى تنفقوا ما تحبون) قال: هكذا فاقرأها ﴿ وما تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ﴾ محبوب أو غيره﴿ فَإِنَّ اللّهَ بِهِ عَلِيمٌ ﴾ فيجازيكم بحسبه﴿كُلُّ الطَّعامِ ﴾ أي: المطعومات ﴿ كانَ حِلاًّ لِبَنِي إِسْرائِيلَ﴾ حلالاً لهم، مصدر نعت به ولذا يستوي فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث، قال تعالى: (لا هن حل لهم)[1] ﴿ إِلاَّ ما حَرَّمَ إِسْرائِيلُ﴾ يعقوب ﴿ عَلى نَفْسِهِ﴾ عـن الصادق (ع): ان إسرائيل كان إذا أكل لحم الإبل هيّج عليه وجع الخاصرة، فحرّم على نفسه لحم الإبل، وذلك قبل ان تنزل التوراة، فلمّا نزلت لم يحرّمه ولم يأكله، أي لـم يحرمه موسى[2] ولـم يأكله وقيل: كان به عرق النسا، فنـذر إن شـفي لـم

---

(١) سورة الممتحنة الآية ١٠.

(٢) لابد من إرجاع الضمير الى موسى(ع) إذ أن التوراة انما نزلت عليه (ع)ولم يدرك يعقوب (ع)نزولها حتى يحرم أويحلل.

يأكل العروق ولحوم الإبل وذلك أحب الطعام إليه، وقيل: اشارت عليه الأطباء باجتنابه فحرّمه بإذن من الله ﴿ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُنَزَّلَ التَّوْراةُ﴾ مشتملة على تحريم ما حرّم الله عليهم فيها بظلمهم، وهوتكذيب لدعوى اليهود براءتهم ممّا بغي عليهم في (فبظلم من الذين هادوا حرّمنا عليهم) الآية، ونحوها إذ قالوا: لسنا أول من حرّمت عليه، وقد كانت محرّمة على نوح وابراهيم ومن بعده حتى انتهى التحريم إلينا، وردّ لمنعهم النسخ وإنكارهم دعوى النبي (ص) موافقة ابراهيم في تحليل لحوم الإبل ﴿ قُلْ فَأْتُوا بِالتَّوْراةِ فَاتْلُوها إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ ﴾ أمر (ص) بمخاصمتهم بكتابهم، وتبكيتهم بما فيه من انه تحريم حادث بظلمهم لا قديم ـ كما زعموا ـ فلم يجسروا ان يأتوا بها، و(بهت الذي كفر) ﴿ فَمَنِ افْتَرى عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ﴾ بزعمه أن ذلك كان محرماً على الأنبياء وعلى بني إسرائيل قبل إنزال التوراة ﴿ مِنْ بَعْدِ ذلِكَ﴾ الذي لزمهم من الحجة ﴿ فَأُولئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ لأنفسهم بمكابرة الحق بعد وضوحه﴿ قُلْ صَدَقَ اللَّهُ ﴾ تعريض بكذبهم، أي: أثبت انه صادق فيما انزل وأنتم الكاذبون ﴿ فَاتَّبِعُوا مِلَّةَ إِبْراهِيمَ حَنِيفاً ﴾ أي: ملة الإسلام التي هي مثل ملة ابراهيم ﴿ وما كانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ تعريض بشركهم ﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ﴾ ليكون متعبداً لهم ﴿ لَلَّذِي ﴾ للبيت الذي ﴿ بِبَكَّةَ ﴾ لغة في (مكة) وقيل: موضع المسجد، و(مكة): البلد، وعنه (ص): أول مسجد وضع المسجد الحرام، ثم بيت المقدس، وعن علي (ع): كان قبله بيوت لكنه أول بيت وضع للعبادة، وأول من بناه ابراهيم، ثم قوم من جرهم، ثم العمالقة، ثم قريش، وقيل: آدم ثم ابراهيم ـ وفيه روايات أخر ـ وعن الصادق (ع): ان (مكة): موضع البيت، وان مكة الحرم وذلك قوله: آمنا، من (بكه) إذا زحمه أومن (بكه) إذا دقه لأنها تبك أعناق الجبابرة، وعنه (ع): سميت بكه بكة لأن الناس يبك

بعضهم بعضاً بالأيدي، وفي آخر لبكاء الناس ﴿ مُبارَكاً﴾ كثير الخير لمن حجّه واعتمره حال من المستكن في (ببكة)، أو (وضع) ﴿ وهُدىً لِلْعالَمينَ﴾ لأنه متعبدهم وقبلتهم ﴿ فِيهِ آياتٌ بيِّناتٌ﴾ كإهلاك أصحاب الفيل وغيرهم، ومخالطة السّباع للصيد في حرمه ولم يتعرض له، وان الطير لا يعلوه ﴿ مَقامُ إبْراهِيمَ﴾ بدل البعض من (آيات) أو مبتدأ حذف خبره، أي: منها أوعطف بيان لها على أن كلاً من أثر القدم في الحجر، وغوصها إلى الكعبين، وحفظه مع الأعداء، وإبقاؤه دون سائر آيات الأنبياء آية، وسبب هذا الأثر قيامه عليه حين بنى البيت، أوعطف بيان لخبر (انّ) إذ الحرم كله مقامه فضلاً عن البيت؛ وسئل الصادق (ع): ما هذه الآيات البينات؟ قال: مقام ابراهيم حيث قام على الحجر فأثرت فيه قدماه والحجر الأسود ومنزل إسماعيل﴿ ومَنْ دَخَلَهُ كانَ آمِناً ﴾ جملة ابتدائية، أوشرطية معطوفة من حيث المعنى على مقام لأنه في معنى: وآمن من دخله، أي: ومنها آمن من دخله، أوفيه آيات بينات مقام ابراهيم وآمن من دخله، وعن الصادق (ع): من بايع قائمناً ودخل معه ومسح على يده ودخل في عقدة أصحابه كان آمناً، وعنه (ع): من دخله وهو عارف بحقنا كما هوعارف به خرج من ذنوبه وكفي هم الدنيا والآخرة، عن الباقر (ع): من دخله عارفاً بجميع ما أوجبه اللّه كان آمناً في الآخرة من العذاب الدائم، وعنه (ع): من دخل الحرم من الناس مستجيراً به فهوآمن من سخط اللّه، ومن دخله من الوحش والطير كان آمنا ان يهاج أويؤذى، وعنه (ع) إذا أحدث العبد في غير الحرم جناية ثم فرّ إلى الحرم لم يسع لأحد ان يأخذه في الحرم، ولكن يمنع من السوق، ولا يبايع ولا يطعم ولا يسقى ولا يكلم، فإنه إذا فعل ذلك يوشك ان يخرج فيؤخذ؛ وإذا جنى في الحرم جناية أقيم عليه الحد في الحرم لأنه لم ير للحرم حرمة، أقول: فتكون الجملة بمعنى

الأمر، أي: ليؤمن، وروي من مات في أحد الحرمين بعثه الله من الآمنين ﴿ وللّه عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ ﴾ قصده على الوجه المخصوص، وعن الصادق (ع): يعني به الحج والعمرة لأنهما مفروضان، وكسر الحاء حمزة والكسائي وحفص ﴿ مَنِ اسْتَطاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً﴾ بدل البعض من (الناس) سئل الصادق (ع) عن الآية فقال الصحّة في بدنه والقدرة في ماله، وسئل (ع): ما السبيل؟ قال: ان يكون له ما يحج، وفي آخر السعة في المال إذا كان يحج ببعض ويبقي بعضاً يقوت به عياله ﴿ ومَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعالَمِينَ﴾ أكد تعالى أمر الحج بإيجابه بصيغة الخبر، والجملة الاسمية، وإيراده على وجه يفيد انه حق اللّه في رقاب الناس، وتخصيص الحكم بعد تعميمه، وهوتكرير للمراد وبيان بعد إيهام وتغليظ تركه بتسميته كفراً ـ كما سمي تاركه في الحديث يهودياً أونصرانياً ـ وذكر الاستغناء الدال على المقت والسخط وأبدل عنه بـ (عن العالمين) الدال على الاستغناء عنه بالبرهان وعلى عظم السخط، وفي النبوي تارك الحج وهومستطيع كافر قال اللّه: (ولله على الناس ... إلخ). ومن سوّف[1] الحج حتى يموت بعثه اللّه يوم القيامة يهودياً أونصرانياً، ونحوه غيره، وعنه (ع) في قوله (ومن كفر) قال: يعني ترك، وقيل للكاظم (ع): من لم يحج منّا فقد كفر؟ قال: لا ولكن من قال ليس هذا هكذا فقد كفر ﴿ قُلْ يا أَهْلَ الْكِتابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآياتِ اللّهِ ﴾ السمعية والعقلية الدالة على صدق محمد (ص) فيما جاء به من وجوب الحج وغيره، وتخصيص أهل الكتاب بالخطاب يدل على أن كفرهم أقبح ـ وان زعموا انهم مؤمنون بالتوراة والإنجيل ـ فهم كافرون بهما، وان الكفر ببعض الكتاب كفر بكله، وحينئذ فالكفر بولاية من له الولاية كفر بجميع آيات اللّه ﴿ واللّهُ شَهِيدٌ عَلى ما

(١) سوّف الأمر: أي: أخره ، من قوله: (سوف أفعل).

تَعْمَلُونَ﴾ والحال انه شهيد مطلع على أعمالكم فيجازيكم بها﴿ قُلْ يا أَهْلَ الْكِتابِ لِمَ تَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ آمَنَ ﴾ تكرير الخطاب، والاستفهام لزيادة التقريع، ونفي العذر لهم وللإشعار بان كل واحد من الأمرين مستقبح في نفسه مستقل باستجلاب العذاب وسبيله دينه الحق المأمور بسلوكه وهوالإسلام المرادف للإيمان، قيل: كانوا يفتنون المؤمنين ويحرشون بينهم حتى أتوا الأوس والخزرج فذكروهم ما بينهم في الجاهلية من التعادي والتحارب ليعودوا لمثله ويحتالون لصدهم عنه ﴿ تَبْغُونَها عِوَجاً ﴾ حال من الواو، أي: طالبين لها اعوجاجاً لتلبيسكم على الناس لتوهموا ان فيه عوجاً عن الحق، أو باغرائكم بين المؤمنين ليختل أمر دينهم ﴿ وأَنْتُمْ شُهَداءُ﴾ انها سبيل اللّه والصّادّ عنها ضال مضل، وأنتم ثقات عند أهل دينكم يستشهدون بكم في أمورهم﴿ ومَا اللَّهُ بِغافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ وعيد لهم، قيل: لما كان المنكر في الآية الاولى كفرهم وهم يجهرون به ختمها بقوله (واللّه شهيد)،وفي هذه الآية صدّهم المؤمنين عن الإسلام، وكانوا يخفونه ويحتالون فيه، قال اللّه (وما الله بغافل عمّا تعملون) ﴿ يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تُطِيعُوا فَرِيقاً مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتابَ يَرُدُّوكُمْ بَعْدَ إِيمانِكُمْ كافِرِينَ ﴾ قيل: نزلت في نفر من الأوس والخزرج كانوا جلوساً يتحدثون، فمرّ بهم شاس بن قيس اليهودي فغاظه تألفهم واجتماعهم، فأمر شاباً من اليهود أن يجلس إليهم ويذكرهم (يوم بغاث)[1] وينشدهم بعض ما قيل فيه، وكان الظفر في ذلك اليوم للأوس، ففعل فتنازع القوم وتفاخروا وتغاضبوا، وقالوا: السلاح السلاح، واجتمع من القبيلتين خلق عظيم فتوجه إليهم رسول اللّه (ص) وأصحابه فقال:

---

(١) يوم من أيام العرب قبل الاسلام وقعت فيه حرب بين الأوس والخزرج وكان النصر فيه للأوس.

أتدعون الجاهلية وأنا بين أظهركم؟ بعد إذ أكرمكم الله بالإسلام وقطع عنكم أمر الجاهلية، وألّف بين قلوبكم فعلم انها نزغة[1] من الشيطان وكيد من عدوهم، فألقوا السلاح واستغفروا وعانقوا بعضهم بعضاً وانصرفوا مع رسول الله (ص)، وانما خاطبهم الله تعالى بنفسه ـ بعد ما أمر نبيّه (ص) بخطاب أهل الكتاب ـ إجلالا لهم وإيذانا بأنهم الأحقاء بان يخاطبهم.

[سورة آل عمران الآيات ١٠١ - ١٠٨]

وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُۥ ۗ وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدْ هُدِىَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٠١﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ۚ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠٣﴾ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ وَلَا تَكُونُوا۟

---

(١) النزغ: هو إلقاء الفتنة بين الناس وحمل بعضهم على البعض ونزغ الشيطان: وساوسه التي يحمل بها الناس على المعاصي.

كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٥﴾ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿١٠٦﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١٠٧﴾ تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعَالَمِينَ ﴿١٠٨﴾

﴿ وكَيفَ تَكْفُرُونَ وأَنْتُمْ تُتلى عَلَيْكُمْ آياتُ اللّهِ وفيكُمْ رَسُولُهُ﴾ استبعاد لكفرهم حال وجود ما يدعوهم إلى الإيمان ويصرفهم عن الكفر ﴿ ومَنْ يَعْتَصِمْ باللّه﴾ يتمسك بدينه، أويلتجئ إليه في مجامع أموره ﴿فَقَدْ هُديَ إلى صراطٍ مُسْتَقيم﴾ أي: اهتدى إليه ﴿ يا أيُّها الَّذينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللّهَ حَقَّ تُقاته﴾ أي: حق تقواه وما يجب منها من فعل الواجب وترك الحرام، وعن الصادق (ع)- في الآية ـ يطاع ولا يعصى، ويذكر ولا ينسى ويشكر ولا يكفر، وعنه (ع): إنها منسوخة بقوله: (فاتقوا اللّه ما استطعتم)[1] وفيها تأكيد للنهي عن طاعة اهل الكتاب، وأصل (تقاة): وقية، قلبت واوها تاء وياؤها الفاً ﴿ ولا تَمُوتُنَّ إلاّ وأنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ لا تكونن على حال سوى الإسلام إذا أدرككم الموت، فان النهي عن المقيّد بحال وغيرها قد يتوجه بالذات

---

(١)سورة التغابن الآية ١٦.

نحوالفعل تارة والقيد أخرى والمجموع، وكذلك النفي، وعن الصادق (ع): (مسلّمون) بالتشديد أي: مستسلمون لما اتى النبي (ص) به منقادون له، وعن الكاظم (ع): وأنتم مسلمون لرسول اللّه (ص) ثم الإمام من بعده ﴿ واعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ﴾ بدينه الإسلام، أوبكتابه لقوله (ص): القرآن حبل اللّه المتين لأن التمسك به سبب النجاة، القمي: الحبل التوحيد والولاية، وعن الباقر (ع): آل محمد هم حبلٌ أمر بالاعتصام به، وعن الصادق (ع): نحن الحبل، وعن الكاظم (ع): علي بن ابي طالب (ع) حبل اللّه المتين، وعن السجاد (ع): المعصوم هو المعتصم بحبل اللّه، وحبل اللّه هو القرآن والقرآن يهدي إلى الإمام وذلك قول اللّه (إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم)[١].

قيل: ومآل الكل واحد، ويفسره قول النبي (ص): حبلين ممدودين طرف منهما بيد اللّه وطرف بأيديكم، وإنهما لن يفترقا ﴿ جَمِيعاً﴾ أي: مجتمعين عليه ﴿ ولا تَفَرَّقُوا﴾ عن الحق تفرّق أهل الكتاب، وعن الباقر (ع): إن اللّه علم انهم سيتفرقون بعد نبيّهم ويختلفون، فنهاهم عن التفرق كما نهى من كان قبلهم فأمرهم ان يجتمعوا على ولاية آل محمد (ص) ولا يتفرقوا ﴿ واذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْداءً ﴾ في الجاهلية متقاتلين ﴿ فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ﴾ بالإسلام﴿ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْواناً﴾ متواصلين متحابين، قيل: كان الأوس والخزرج أخوين لأبوين فوقع بين أولادهما العداوة، وتطاولت الحروب مائة وعشرين سنة حتى اطفأها اللّه بالإسلام وألف بينهم برسوله ﴿ وكُنْتُمْ عَلى شَفا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ﴾ أي: مشرفين على الوقوع في نار جهنم، إذ لوأدرككم الموت في تلك الحالة لوقعتم فيه، وشفا الشيء: جرفه كـ(شفته)، ولامها واو قلبت في المذكر وحذفت في المؤنث﴿ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْها﴾ من الحفرة،

---

(١) سورة الاسراء الآية ٩.

أوالنار، وعن الصادق (ع): فأنقذكم منها بمحمد (ص) هكذا والله نزل بها جبرئيل على محمد (ص)[1] ﴿ كَذلِكَ﴾ مثل ذلك التبيين ﴿ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آياتِهِ ﴾ دلائله ﴿ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ لكي تثبتوا على الهدى، أوتزيدوه ﴿ ولْتَكُنْ مِنكُمْ أُمَّةٌ ﴾ (من) للتبعيض، واحتج به من أوجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كفاية، ومن قال بالعينية جعلها للتبيين، أي: كونوا أمة، وفي قراءة أهل البيت أئمة ﴿ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ ﴾ يعمّ الأفعال والتروك الحسنة شرعاً وعقلاً ﴿ ويَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ﴾ الطاعة ﴿ ويَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ المعصية، وهومن عطف الخاص على العام ـ إيذانا بفضله ـ وعن الباقر (ع): هذه في آل محمد (ص) ومن تابعهم يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف، وينهون عن المنكر وفي النهج: وانهوا عن المنكر وتناهوا عنه، فإنما أمرتم بالنهي بعد التناهي، وقال(ع): لعن الله الأمرين بالمعروف التاركين له والناهين عن المنكر العاملين به ﴿ وأُولئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ المخصوصون بكمال الفلاح، الأحقاء به ﴿ ولا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا واخْتَلَفُوا ﴾ في الدين كاليهود والنصارى ﴿ مِنْ بَعْدِ ما جاءَهُمُ الْبَيِّناتُ﴾ والدلائل الموجبة للإتفاق على الحق ﴿ وأُولئِكَ لَهُمْ عَذابٌ عَظِيمٌ ﴾ وفيه وعيد للذين تفرقوا، وتهديد على التشبه بهم ﴿ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾ كنايتان عن ظهور بهجة السرور وكآبة الخوف، أويوسم أهل الحق ببياض الوجه والصحيفة وإشراق الوجه وسعي النور بين يديه وبيمينه، واهل الباطل بأضداد ذلك، و(يوم) نصب بالظرف، و(هولهم) أوبـ(اذكر) مضمراً ﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ

---

(١) لقد سبق وان ذكرنا ان الروايات التي قد يفهم منها وقوع التحريف في القرآن الكريم ضعيفة سنداً ودلالة وغير معتبرة عند علماء الشيعة والسنة. راجع (البيان) للسيد الخوئي(ره) و(دفاع عن الحقيقة) للشيخ الوائلي(ره).

اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ ﴾ فيقال لهم ﴿ أَكَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ ﴾ على التوبيخ والتعجب من حالهم، وعن علي (ع): هم أهل البدع والأهواء والآراء الباطلة من هذه الأمة، وقيل: هم أهل الكتاب كفروا بالنبي (ص) بعد إيمانهم به قبل مبعثه، وقيل: جميع الكفار كفروا بعد إقرارهم حين أشهدهم على أنفسهم، أوتمكنوا من الإيمان بالنظر في الحجج ﴿ فَذُوقُوا الْعَذابَ ﴾ أمر إهانة ﴿ بما كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ﴾ أي: بسبب كفركم ﴿ وأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَتِ اللَّهِ ﴾ أي: الجنة والثواب المخلّد عبّر عن ذلك بالرحمة تنبيهاً على ان المؤمن وان استغرق عمره في طاعة الله لا يدخل الجنة إلا برحمته وفضله، قيل: كان حق الترتيب ان يقدم ذكرهم ولكن قصد ان يكون مطلع الكلام ومقطعه حلية المؤمنين وثوابهم ﴿ هُمْ فِيها خالِدُونَ ﴾ استئناف للتأكيد، كأنه قيل: كيف يكونون فيها؟ فأجيب به ﴿ تِلْكَ آياتُ اللَّهِ ﴾ الواردة في وعده ووعيده ﴿ نَتْلُوها عَلَيْكَ ﴾ متلبسة ﴿ بِالْحَقِّ ﴾ لا شبهة فيها ﴿ ومَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْماً لِلْعالَمِينَ ﴾ إذ لا يظلم إلا الجاهل، أوالمحتاج وهومنزه عن ذلك وبيّن غناه بقوله .

[سورة آل‌عمران الآيات ١٠٩- ١٢١]

وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴿١٠٩﴾ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِۗ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمۚ مِّنْهُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿١١٠﴾ لَن يَضُرُّوكُمْ

إِلَّآ أَذًىۖ وَإِن يُقَٰتِلُوكُمۡ يُوَلُّوكُمُ ٱلۡأَدۡبَارَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ ﴿١١١﴾ ضُرِبَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلذِّلَّةُ أَيۡنَ مَا ثُقِفُوٓاْ إِلَّا بِحَبۡلٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَحَبۡلٖ مِّنَ ٱلنَّاسِ وَبَآءُو بِغَضَبٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَضُرِبَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلۡمَسۡكَنَةُۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ كَانُواْ يَكۡفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقۡتُلُونَ ٱلۡأَنۢبِيَآءَ بِغَيۡرِ حَقّٖۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعۡتَدُونَ ﴿١١٢﴾ لَيۡسُواْ سَوَآءٗۗ مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ أُمَّةٞ قَآئِمَةٞ يَتۡلُونَ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ءَانَآءَ ٱلَّيۡلِ وَهُمۡ يَسۡجُدُونَ ﴿١١٣﴾ يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَيَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَيُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١١٤﴾ وَمَا يَفۡعَلُواْ مِنۡ خَيۡرٖ فَلَن يُكۡفَرُوهُۗ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِٱلۡمُتَّقِينَ ﴿١١٥﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَن تُغۡنِيَ عَنۡهُمۡ أَمۡوَٰلُهُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيۡـٔٗاۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۚ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿١١٦﴾ مَثَلُ مَا يُنفِقُونَ فِي هَٰذِهِ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا كَمَثَلِ رِيحٖ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتۡ حَرۡثَ قَوۡمٖ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ فَأَهۡلَكَتۡهُۚ وَمَا ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ وَلَٰكِنۡ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ ﴿١١٧﴾ يَٰٓأَيُّهَا

ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّوا۟ مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ ٱلْبَغْضَآءُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ وَمَا تُخْفِى صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ ۚ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْـَٔايَـٰتِ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١١٨﴾ هَـٰٓأَنتُمْ أُو۟لَآءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِٱلْكِتَـٰبِ كُلِّهِۦ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا۟ عَضُّوا۟ عَلَيْكُمُ ٱلْأَنَامِلَ مِنَ ٱلْغَيْظِ ۚ قُلْ مُوتُوا۟ بِغَيْظِكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١١٩﴾ إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا۟ بِهَا ۖ وَإِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿١٢٠﴾ وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ ٱلْمُؤْمِنِينَ مَقَـٰعِدَ لِلْقِتَالِ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٢١﴾

﴿ ولِلّهِ ما فِي السَّماواتِ وما فِي الأَرْضِ﴾ ملكاً وخلقاً ﴿ وإِلَى اللّهِ تُرْجَعُ الأُمُورُ﴾ فيجازي بما وعد وأوعد ـ كلاً بفعله ـ ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ ﴾ (كان) مجردة عن الزمان تعم الأزمنة ولا تختص بالماضي، كقوله تعالى: (كان الله غفوراً رحيماً)[1] اوكنتم في علم الله، أوفي اللوح المحفوظ، أوفيما بين الأمم السالفة، وفي قراءة أهل البيت (ع) خير أئمة ﴿ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾ أظهرت لهم، أولانتفاعهم ﴿ تَأْمُرُونَ

---

(١) تكررت هذه الآية الكريمة في أماكن متعددة في القرآن الكريم منها الآية ٩٦ من سورة النساء.

بِالْمَعْرُوفِ وتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ ﴾ إستئناف لبيان خيرتهم، أوحال عنها فيفيد اشتراطها بالأوصاف المذكورة ﴿ وتُؤْمِنُونَ بِاللّهِ ﴾ يعم الإيمان بكل ما أمر أن يؤمن به ﴿ ولَو آمَنَ أهْلُ الْكِتابِ ﴾ بمحمد (ص) وما جاء به ﴿ لَكانَ خَيْراً لَهُمْ ﴾ مما هم عليه ﴿ مِنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ ﴾ كعبد اللّه بن سلام وأصحابه ﴿ وأكْثَرُهُمُ الْفاسِقُونَ ﴾ المتمردون في الكفر، وهذه الجملة معترضة ولذا لم يعطف على الشرطية قبلها ﴿ لَنْ يَضُرُّوكُمْ إلاّ أذىً ﴾ أي: ضرراً يسيراً كطعن وتهديد، وهذه ايضاً معترضة اخرى ولم يعطف على الاولى قبلها لبعد ما بينهما، وكون كل منهما نوعاً آخر من الكلام ﴿ وإنْ يُقاتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ الأدْبارَ ﴾ منهزمين ولا يضروكم بقتل وأسر ﴿ ثُمَّ لا يُنْصَرُونَ ﴾ لا يعانون عليكم ولا يمنعون منكم، وهوعطف على الشرطية لا الجزاء فيكون نفي النصير مطلقاً لا مقيداً بقتالهم، و(ثم) للتراخي في المرتبة، والآية من الغيب الذي وافقه الواقع من حال قريظة والنضير وبني قينقاع ويهود خيبر ﴿ ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ ﴾ تمثيل، أي: أحاطت عليهم إحاطة البيت المضروب على أهله والذلة هدر النفس والمال والأهل، أوذلة التمسك بالباطل والجزية، أوكلاهما ﴿ أيْنَ ما ثُقِفُوا ﴾ وجدوا، القمي: نزلت في الذين غصبوا حقوق آل محمد (ص) ﴿ إلاّ بِحَبْلٍ مِنَ اللّهِ وحَبْلٍ مِنَ النّاسِ ﴾ عن الباقر (ع) الحبل من اللّه كتاب اللّه، والحبل من الناس علي بن ابي طالب (ع)، قيل: هواستثناء من أعم عام الأحوال، أي: ضربت عليهم الذلة في عامة الأحوال إلا في حال اعتصامهم أوتلبسهم بذمة اللّه وذمة المسلمين ﴿ وباؤُ بِغَضَبٍ مِنَ اللّهِ ﴾ رجعوا به مستوجبين له ﴿ وضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ ﴾

فاليهود غالباً فقراء مساكين﴿ ذلكَ ﴾ الضرب والبوء[1] ﴿ بأنَّهُمْ كانُوا يَكْفُرُونَ ﴾ بسبب كفرهم ﴿ بآياتِ اللّهِ ويَقْتُلُونَ﴾ وبقتلهم﴿ الأنبياءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ذلكَ﴾ الكفر والقتل﴿ بِما عَصَوْا وكانُوا يَعْتَدُونَ﴾ بسبب عصيانهم واعتدائهم حدود اللّه، إذ الإصرار على الصغائر يجر إلى الكبائر، أوذلك الضرب والبوء بعصيانهم واعتدائهم مع الكفر والقتل، إذ هم مخاطبون بالفروع ايضاً، وعن الصادق (ع) في الآية: واللّه ما قتلوهم بأيديهم ولا ضربوهم بأسيافهم، ولكنهم سمعوا أحاديثهم فأذاعوها، فأخذوا عليها فقتلوا، فصار اعتداء ومعصية ﴿ لَيْسُوا سَواءً ﴾ في المساءة والحسنة، والضمير لـ(أهل الكتاب) ﴿ مِنْ أَهْلِ الْكِتابِ أُمَّةٌ قائِمَةٌ ﴾ على الحق، أومستقيمة عادلة من (أقمت العود فقام) وهم الذين أسلموا منهم، وهواستئناف لبيان نفي استوائهم ﴿ يَتْلُونَ آياتِ اللّهِ آناءَ اللَّيْلِ وهُمْ يَسْجُدُونَ﴾ يتلون القرآن في تهجدهم، عبر عنه بالتلاوة في ساعات الليل مع السجود ليكون أبين وابلغ، في المدح، وقيل المراد صلاة العشاء لأن أهل الكتاب لا يصلونها ﴿ يُؤْمِنُونَ باللّهِ والْيَوْمِ الآخِرِ ويَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ ويَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ ويُسارِعُونَ في الْخَيْراتِ ﴾ وصفهم بصفات ليست في اليهود فإنهم منحرفون عن الحق غير متعبدين بالليل مشركون باللّه ملحدون في صفاته واصفون اليوم الآخر بخلاف صفته مداهنون في الاحتساب متباطئون في الخيرات ﴿ وأُولئكَ﴾ الموصوفون بتلك الصفات ﴿ مِنَ الصَّالِحينَ﴾ الذين صلحت أحوالهم عند اللّه تعالى ﴿ وما يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ يُكْفَرُوهُ﴾ فلن يضيع ولا ينقص ثوابه، سمي ذلك (كفراناً) كما سمي توفية الثواب (شكراً) وتعديته إلى المفعولين لتضمنه معنى الحرمان، وقرأ حفص وحمزة والكسائي بالياء فيهما ﴿ واللّهُ عَليمٌ بالْمُتَّقينَ﴾ بشارة

---

(١) الرجوع.

لهم وإيذان بانه لا يفوز عنده إلا أهل التقوى، عن الصادق (ع): إن المؤمن مكفر[1] وذلك ان معروفه يصعد إلى الله فلا ينتشر في الناس، والكافر مشكوروذلك ان معروفه للناس ينتشر في الناس ولا يصعد إلى السماء ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوالُهُمْ ولا أَوْلادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً ﴾ من الغَناء وهو ـ بالفتح بمعنى: النفع، فيكون مصدراً، وقيل: من العذاب بتضمين معنى الإبعاد ﴿ وأُولئِكَ أَصْحابُ النَّارِ ﴾ ملازموها ﴿ هُمْ فِيها خالِدُونَ ﴾ وعيد لهم ﴿ مَثَلُ ما يُنْفِقُونَ ﴾ قربة، أومفاخرة وسمعة، أو رياء وخوفاً، أو في عداوة الرسول ﴿ في هذِهِ الْحَياةِ الدُّنْيا ﴾ أي: لأجلها ﴿ كَمَثَلِ رِيحٍ فِيها صِرٌّ ﴾ برد شديد، والشائع إطلاقه للريح الباردة كـ(الصرصر) فهو في الأصل ـ مصدر نعت به، أو نعت وصف به البرد للمبالغة كـ(برد بارد) ﴿ اصابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ﴾ بالكفر والمعاصي ﴿ فأَهْلَكَتْهُ ﴾ عقوبة لأن الهلاك من سخط أشد، والمراد: تشبيه ما أنفقوا في ضياعه بحرث كفار ضربته صرّ فاستأصلته ولم يبق لهم منفعة في الدنيا والآخرة، وهو من التشبيه المركب ولذلك لم يبال بايلاء كلمة التشبيه بالريح دون الحرث، ويجوز أن يقدر كمثل مهلك ريح وهوالحرث ﴿ وما ظَلَمَهُمُ اللَّهُ ﴾ بضياع نفقاتهم ﴿ ولكِنْ أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ بارتكاب ما استحقوا به العقوبة ﴿ يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا بِطانَةً ﴾ (وليجة) وهو: الذي يعرفه الرجل أسراره ثقة به، شبه ببطانة الثوب ﴿ مِنْ دُونِكُمْ ﴾ من دون المسلمين متعلق بـ(لا تتخذوا) أوبمحذوف صفة (بطانة) أي: كائنة من دونكم، أو حال من (بطانة) ان جوز تنكير ذي الحال ﴿ لا يَأْلُونَكُمْ خَبالاً ﴾ أي: لا يقصرون لكم في الفساد، والألو: التقصير وأصله أن

(١) أي: أنه لايشكَر على إحسانه.

يعدى بالحرف ثم عدي إلى مفعولين كقوله(لا ألوك نصحاً) على تضمين معنى النقص أوالنفع ﴿ وَدُّوا ما عَنِتُّمْ ﴾ تمنوا عنتكم، وهوشدة الضرر والمشقة ﴿ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضاءُ مِنْ أَفْواهِهِمْ وما تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ﴾ مما بدأ و(الواو) للحال ﴿ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الآياتِ﴾ الدالة على وجوب موالاة أولياء اللّه ومعاداة أعدائه ﴿ إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ ما بينّا، والجمل الأربع مستأنفات للتعليل، وقيل: الثلاث الأُول نعوت لـ(بطانة)﴿ ها﴾ للتنبيه ﴿ أَنْتُمْ ﴾ مبتدأ خبره ﴿ أُولاءِ﴾ الخاطئون في موالاة الكفرة ﴿ تُحِبُّونَهُمْ ولا يُحِبُّونَكُمْ ﴾ بيان لخطئهم في موالاتهم، وهوخبر ثان، أوخبر لـ(اولاء) والجملة خبر (أنتم) أوصلة، أوحال عاملها معنى الإشارة ﴿ وتُؤْمِنُونَ بِالْكِتابِ ﴾ بجنس الكتاب﴿ كُلِّهِ﴾ كتابكم وكتابهم وهوحال، أي: لا يحبونكم والحال أنكم تؤمنون بكتابهم فما بالكم تحبونهم وهم لا يؤمنون بكتابكم، وفيه توبيخ بأنهم في باطلهم أصلب منكم في حقكم﴿ وإِذا لَقُوكُمْ قالُوا آمَنَّا ﴾ نفاقاً ﴿ وإِذا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمُ الأَنامِلَ مِنَ الْغَيْظِ﴾ من أجله بوصف المغتاظ والنادم بعض الأنامل، القمي: قال أطراف الأصابع﴿ قُلْ مُوتُوا بِغَيْظِكُمْ ﴾ دعاء عليهم بدوام الغيظ وزيادته بتضاعف قوّة الإسلام واهله، حتى يهلكوا به﴿ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذاتِ الصُّدُورِ﴾ من خير أوشر، فيعلم ما في صدورهم من البغضاء والحنق[1] وهويحتمل ان يكون من المقول أي: قل لهم: ان اللّه عليم بما هوأخفى مما تخفونه من عض الأنامل غيظاً وان يكون خارجاً عنه أي: قل لهم ذلك ولا تعجب من اطلاعي إياك على أسرارهم، فأني عليم بالأخفى من ضمائرهم، و(ذات الصدور): الصّور العلمية المتمكنة في الصدور، والمراد بـ(الصدور): محل العلوم ﴿ إِنْ تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ ﴾ نعمة من إلفة أوظفر

---

(١) الحقد وشدة الغيظ.

﴿ تَسُؤْهُمْ﴾ والمس: مستعار للإصابة ﴿ وإِنْ تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ﴾ محنة، من فرقة أوتسلط عدوّ ﴿ يَفْرَحُوا بِهَا﴾ لتناهي عداوتهم ﴿ وإِنْ تَصْبِرُوا﴾ على عداوتهم، أو على مشاق التكليف ﴿ وتَتَّقُوا﴾ موالاتهم، أو المعاصي ﴿ لا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئاً﴾ لما وعد اللّه الصابرين والمتقين من الظفر والمخرج، وضم الراء ـ اتباعاً ـ وقرأ نافع وابن كثير وابوعمرو(ولا يضركم) من ضاره يضره ﴿ إِنَّ اللَّهَ بما يَعْمَلُونَ ﴾ الصبر والتقوى وغيرهما ﴿ مُحِيطٌ﴾ بعلمه وقدرته، يجازيكم ما أنتم أهله ﴿ وإِذْ غَدَوْتَ ﴾ أي: إذكر إذ غدوت، من غدا عليه بكّر ﴿ مِنْ أَهْلِكَ ﴾ بالمدينة ﴿ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ تنزلهم، أوتتخذ وتهيء لهم ﴿ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ﴾ مواطن له، واستعمل المقعد والمقام بمعنى المكان إتساعاً، كـ(مقعد صدق)[(١)] وتقوم من مقامك ﴿ واللَّهُ سَمِيعٌ﴾ لأقوالكم ﴿ عَلِيمٌ﴾ بنياتكم عن الصادق (ع): سبب نزول هذه الآية إن قريشاً خرجت من مكة تريد حرب رسول اللّه (ص)، فخرج رسول اللّه (ص) يبتغي موضعاً للقتال، وروي: إن المشركين نزلوا بأحد يوم الأربعاء، فاستشار النبي (ص) أصحابه، فقال عبد اللّه بن ابي وأكثر الأنصار: يا رسول اللّه لا تخرج من المدينة، فما خرجنا منها إلى عدونا إلا ظفر بنا، ولا دخلها علينا إلا ظفرنا به، فكيف وأنت فينا؟ فدعهم فان أقاموا فبشرّ محبس[(٢)] وان دخلوا قاتلهم الرجال والنساء والصبيان، وإن رجعوا فبالخيبة، وقال جماعة: أخرج بنا إليهم وألحّوا فخرج (ص) بعد صلاة الجمعة، وأصبح بشعب أحد

---

(١) سورة القمر الآية ٥٥.

(٢) أي: مستور ومخطط به.

يوم السبت، وصَفَّ أصحابه وجعل ظهره إلى أحد، واقرّ عبد اللّه بن جبير على الرماة، وقال: انضحوا عنا بالنبل[1] لا يأتونا من ورائنا ولا تبرحوا غَلَبنا أو غُلبنا.

[سورة آل عمران الآيات ١٢٢ - ١٤٠]

إِذْ هَمَّت طَّآئِفَتَانِ مِنكُمْ أَن تَفْشَلَا وَٱللَّهُ وَلِيُّهُمَا ۗ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١٢٢﴾ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢٣﴾ إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَن يَكْفِيَكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلَٰثَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُنزَلِينَ ﴿١٢٤﴾ بَلَىٰٓ ۚ إِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَٰذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُسَوِّمِينَ ﴿١٢٥﴾ وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِۦ ۗ وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴿١٢٦﴾ لِيَقْطَعَ طَرَفًا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَوْ يَكْبِتَهُمْ فَيَنقَلِبُوا۟ خَآئِبِينَ ﴿١٢٧﴾ لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿١٢٨﴾ وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۚ

(١) نضح القوم بالنبل: رماهم ففرّقهم.

وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٩﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَأْكُلُوا۟ ٱلرِّبَوٰٓا۟ أَضْعَٰفًا مُّضَٰعَفَةً ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٣٠﴾ وَٱتَّقُوا۟ ٱلنَّارَ ٱلَّتِىٓ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ ﴿١٣١﴾ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٣٢﴾ وَسَارِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلُوا۟ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٥﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ ﴿١٣٦﴾ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٣٧﴾ هَٰذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٨﴾ وَلَا تَهِنُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم

مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾ إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ ٱلْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُۥ ۚ وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَآءَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٤٠﴾

﴿ إِذْ هَمَّتْ﴾ بدل من (إذ غدوت) أومتعلق بـ(سميع عليم) ﴿ طائفَتان مِنْكُمْ﴾ بنوسلمة من الخزرج وبنوحارثة من الأوس وهما الجناحان ﴿ أَنْ تَفْشَلا﴾ تجبنا القمي: يعني عبد اللّه بن ابي وأصحابه وقومه، وعنهم (ع): هما بنوسلمة وبنوحارثة حيّان من الأنصار، روي: أنه (ص) خرج في نحوألف رجل ووعدهم النصر ان صبروا فانخزل[1] ابن أبي بثلث الناس، وقال علي (ع): نقتل أنفسنا وأولادنا، فتبعهم عمروبن حزم الأنصاري فقال: أنشدكم اللّه في نبيكم وأنفسكم، فقال ابن أُبي: لونعلم قتالاً لا تبعناكم، فهمّ الجبان باتباعه فعصمهم اللّه فمضوا مع النبي (ص)، ثم قال ذلك القائل، والظاهر انه ما كانت عزيمة لقوله ﴿ واللّهُ وَليُّهُما﴾ أي: عاصمهما من إتباع تلك الخطرة،[2] اوأريد: واللّه ناصرهما فما لهما تفشلان ﴿ وعَلَى اللّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ لا يعتمدوا في الكفاية إلا عليه ﴿ ولَقَدْ نَصَرَكُمُ اللّهُ بِبَدْرٍ﴾ تذكير ببعض ما أفادهم التوكل، و(بدر) ما بين مكة والمدينة كان لرجل يسمى (بدراً) فسمي به ﴿ وأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ ﴾ حال، وعدل عن (ذلائل) ليدل على قلتهم مع ذلتهم لقلة العدة والعدد، وعن الصادق (ع): ما كانوا

---

(١) انفرد بهم وارتد عن الحرب.

(٢) الخَطْرة: مايخطر في القلب.

أذلة وفيهم رسول الله (ص)، وإنما نزل وأنتم ضعفاء، وفي آخر: انما نزلت وأنتم قليل،[١] وروي: إن عدتهم كانت ثلاثمائة وثلاثة عشر ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ في الثبات ﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ بتقواكم نعمة نصره ﴿إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ ظرف لـ(نصركم)، أو بدل ثان من (إذ غدوت) على أن قوله لهم يوم أُحد ـ مع اشتراط الصبر والتقوى ـ فلم يصبروا عن الغنائم، ولم يتقوا مخالفة الرسول فلم تنزل الملائكة ﴿أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُمِدَّكُمْ رَبُّكُمْ بِثَلاثَةِ آلافٍ مِنَ الْمَلائِكَةِ مُنْزَلِينَ﴾ إنكار أن لا يكفيهم ذلك، وانما جيء بـ(لن) إشعاراً بأنهم كانوا ـ لضعفهم وقلة عددهم ـ كالآيسين من النصر، وشدد ابن عامر (منزلين) (بَلى) إيجاب لمنفي (لن) أي: بلى يكفيكم، ثم وعدهم الزيادة على الصبر والتقوى بقوله ﴿إِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُمْ﴾ أي: المشركون ﴿مِنْ فَوْرِهِمْ هذا﴾ مصدر فارت القدر أي: غلت فاستعير للسرعة أي: إن يأتوكم من ساعتهم هذه ﴿يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلافٍ مِنَ الْمَلائِكَةِ﴾ في حال إتيانهم بلا تأخير ﴿مُسَوِّمِينَ﴾ معلمين، من التسويم أي اظهار السيّما،[٢] وقرأ بكسر الواوابن كثير وابوعمروعاصم، وعن الباقر (ع): كانت على الملائكة العمائم البيض المرسلة يوم بدر ﴿وَما جَعَلَهُ اللَّهُ﴾ أي: إمدادكم بالملائكة ﴿إِلاَّ بُشْرى﴾ بشارة ﴿لَكُمْ﴾ بالنصرة ﴿وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُمْ بِهِ﴾ ولتسكن إليه من الروع[٣] ﴿وَمَا النَّصْرُ إِلاَّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾ لا من العدد والعدّة، ولا من الملائكة، وانما أمدّهم

---

(١) أي أن معناها كذلك.

(٢) السيما: أي العلامة، وفي القرآن الكريم (سيماهم في وجوههم من أثر السجود).

(٣) الفزع والخوف .

ووعدهم به بشارة لهم وتقوية لقلوبهم، حيث أن نظر العامة إلى الأسباب أكثر ﴿ الْعَزِيزِ﴾ الذي لا يغالب في حكمه ﴿ الْحَكِيمِ﴾ الذي ينصر ويخذل بحسب المصلحة ﴿ لِيَقْطَعَ طَرَفاً مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ متعلق بـ(نصركم) أي: وما النصر، ان كان اللام فيه للعهد، والمعنى: ليقتص منهم بقتل سبعين وأسر سبعين من صناديدهم[١] ﴿ أَوْيَكْبِتَهُمْ﴾ يخزيهم، والكبت: شدة غيظ يقع في القلب ﴿ فَيَنْقَلِبُوا خائِبِينَ﴾ فينهزموا منقطعي الأمل ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ ﴾ اعتراض ﴿ أَوْيَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْيُعَذِّبَهُمْ ﴾ عطف على ما قبله، والمعنى: ان الله مالك أمرهم، فأما ان يهلكهم، أويهزمهم، أويتوب عليهم ـ ان تابوا ـ أويعذبهم ـ ان اصرّوا ـ ليس لك من أمرهم شيء، انما أنت عبد مبعوث لإنذارهم وجهادهم، أوعلى الأمر بإضمار (أن) أي: ليس لك من أمرهم، أومن التوبة عليهم، أومن بعد تعذيبهم شيء، وقيل: (أو) بمعنى: (إلا ان) أي: ليس لك من أمرهم شيء إلا ان يتوب الله عليهم فتسرّ به، أويعذبهم فتشتفي، بهم وقيل: شَبَح[٢] يوم أحد فكسرت رباعيته[٣] فقال: كيف يفلح قوم نالوا من نبيهم؟ فنزلت، وقيل هَمَّ (ص) بالدعاء عليهم فنهاه الله لعلمه أن فيهم من يتوب، وعن الباقر (ع): أنه قرأ: ليس لك من الأمر شيء ان يتب عليهم أويعذبهم فإنهم ظالمون، وعنه (ع) أنه قرأ ان تتوب عليهم اوتعذبهم بالتاء فيهما، وعلى هذا يكونان بتأويل المصدر بدلاً عن شيء ﴿ فَإِنَّهُمْ ظالِمُونَ﴾ إستحقوا العذاب بظلمهم ﴿ وَلِلَّهِ ما فِي السَّماواتِ وما فِي الأَرْضِ﴾ خلقاً وملكاً، فله الأمر كله ﴿ يَغْفِرُ لِمَنْ يَشاءُ

---

(١) شجعانهم.

(٢) بدا وظهر.

(٣) الرباعية: السِن بين الثنية والناب، سميت بذلك لانها أربع: رباعيتان في الفك الأعلى ، ورباعيتان في الفك الأسفل.

ويُعَذِّبُ مَنْ يَشاءُ ﴾ يدل على نفي وجوب التعذيب ﴿ واللّهُ غَفُورٌ رَحيمٌ ﴾ لعباده ﴿ يا أَيُّهَا الَّذينَ آمَنُوا لا تَأْكُلُوا الرِّبَوا أَضْعافاً مُضاعَفَةً ﴾ لا تأخذوا زيادة مكررة قيل: كان الرجل منهم يربي إلى أجل، ثـم يزيـد فيـه آخـر، حتـى يـستغرق بقليلـه مـال المديون، وقرأ ابن كثير وابن عامر (مضعّفه) بتشديد العين ﴿ واتَّقُوا اللّهَ ﴾ فيما نهيتم عنه ﴿ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ راجين للفلاح ﴿ واتَّقُوا النّارَ الَّتي أُعِدَّتْ لِلْكافِرينَ ﴾ باجتناب ما يوجب دخولها، ودل على انها معدّة للكفرة إصالة وللعصاة تبعاً ﴿ وأَطيعُـوا اللّـهَ والرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ ترغيب بالوعد، بعـد الترهيـب بالوعيـد، قيـل: و(لعـل) و(عسى) في أمثال ذلك يدل على عزة التوصل إلى ما جعل خبرا لهما ﴿ وسارِعُوا ﴾ بادروا وحذف الواو نافع وابن عامر ﴿ إِلى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ ﴾ أي: أسبابها كالتوبـة والطاعة، وعن علي (ع): إلى أداء الفرائض ﴿ وجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّماواتُ والأَرْضُ ﴾ أي: عرضها كعرضهما، وذكر العرض مبالغة في وصفها بالسعة لأنـه دون الطـول، عـن الصادق (ع): إذا وضعوهما كذا– وبسط يديه– إحداهما مع الأخرى، وسئل النبي (ص): إذا كانت الجنة عرضها السموات والأرض فأين تكون النار؟ فقال: سبحان اللّه إذا جاء النهار فأين الليل؟ قيل: هذه معارضة فيها إسقاط المسألة، لأن القـادر علـى أن يذهب بالليل حيث يشاء قادر على أن يخلق النهار حيث شاء، وقيـل: الـسر فيـه ان إحدى الدارين لكل انسان إنما تكون مكان الأخرى بدلأمنها كما في النهار والليل ﴿ أُعِدَّتْ ﴾ هيئت ﴿ لِلْمُتَّقينَ ﴾ فهي مخلوقة اليوم، وعن علي (ع) فإنكم لن تنالوها إلا بالتقوى ﴿ الَّذينَ يُنْفِقُونَ ﴾ نعت للمتقين ﴿ فِي الـسَّرّاءِ والـضَّرّاءِ ﴾ فـي حـال اليـسر والعسر، أوكل الأحوال ـ إذ لا تخلومن مسرّة أومضرّة ـ أي: لا يمنعهم حال عن انفاق ما قدروا عليه ﴿ والْكاظِمينَ الْغَيْظَ ﴾ الممـسكين عليـه الكـافين عـن إمـضائه، مـن

(كَظَم القربة أي: ملأها وشد رأسها) وعن الصادق (ع): من كظم غيظاً ولوشاء أن يمضيه أمضاه ملأ الله قلبه يوم القيامة رضى﴿ والْعافِينَ عَنِ النَّاسِ﴾ التاركين مؤاخذة من جنى عليهم، قال النبي (ص): عليكم بالعفوفان العفولا يزيد العبد الا عزاً فتعافوا يعزكم الله ﴿ واللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ (اللام) للعهد إشارة إلى هؤلاء، أوللجنس ويدخلون فيه، روي: ان جارية لعلي بن الحسين (ع) جعلت تسكب الماء ليتهيأ للصلاة فسقط الإبريق من يدها فشجه،[1] فرفع رأسه إليها، فقالت الجارية: ان اللّه يقول «والكاظمين الغيظ» فقال: كظمت غيظي فقالت: «والعافين عن الناس» قال: عفا اللّه عنك قالت: «واللّه يحب المحسنين» قال: اذهبي فأنت حرّة لوجه اللّه ﴿ والَّذِينَ إِذا فَعَلُوا فاحِشَةً ﴾ سيئة بالغة في القبح كالزنا ﴿ أوظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ﴾ بارتكاب ذنب أعظم من الزنا، أوأي ذنب كان، وقيل: الفاحشة: الكبيرة، وظلم النفس: الصغيرة ولعل الفاحشة ما يتعدى وظلم النفس ليس كذلك﴿ ذَكَرُوا اللَّهَ﴾ تذكروا نهيه، أوعقابه، أوعظمته ﴿ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ﴾ بالتوبة ﴿ ومَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاَّ اللَّهُ﴾ استفهام معناه النفي، معترض لبيان سعة رحمته ومغفرته، وحث على التوبة، وتقوية للرجاء ﴿ ولَمْ يُصِرُّوا عَلى ما فَعَلُوا﴾ ولم يقيموا على الذنب ﴿ وهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ حال، أي: لم يصروا على القبيح عالمين به، وعن الباقر (ع): الإصرار أن يذنب فلا يستغفر اللّه، ولا يحدث نفسه بتوبة، فذلك الإصرار، وعن الصادق (ع): واللّه ما خرج عبد من ذنب بإصرار، وما خرج عبد من ذنب إلا بإقرار، وعن النبي (ص): لا صغيرة مع الإصرار ولا كبيرة مع الاستغفار، وعنه (ص): ما أصرّ من إستغفر ـ وإن عاد في اليوم سبعين مرّة ـ ﴿ أُولئِكَ جَزاؤُهُمْ مَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ وجَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهارُ خالِدِينَ

---

(١) جرحه.

فيها﴾ خبر لـ(الذين) ـ إن ابتدأ به ـ وجملة مستأنفة مبينة لما قبلها ـ ان عطفت على (المتقين) ـ أوعلى (الذين ينفقون) وتنكير (جنات) ـ على الأول ـ يدل على أن مالهم دون ما للمتقين الموصوفين بتلك الصفات المذكورة في الآية المتقدمة، وأفاد الكلام ان المؤمنين ثلاث طبقات متقون وتائبون ـ ولهم الجنة والمغفرة استحقاقاً ـ ومصرون لا يستحقون ذلك ولا ينفي التفضل ﴿ ونِعْمَ أجْرُ الْعاملينَ﴾ المخصوص محذوف تقديره: نعم أجرهم ذلك، أي: المغفرة والجنات، عن الصادق (ع): لما نزلت هذه الآية صعد إبليس جبلاً فصرخ بأعلى صوته بعفاريته فاجتمعوا إليه فقالوا: «يا سيدنا لماذا دعوتنا» قال: «نزلت هذه الآية فمن لها؟» فقام عفريت من الشياطين فقال: «انا لها بكذا وكذا» فقال: «لست لها» فقام آخر فقال مثل ذلك فقال: «لست لها»، فقال الوسواس الخناس: «انا لها» قال: «مماذا» قال: «أعدهم وأمنيهم، حتى يواقعوا الخطيئة، فإذا واقعوا الخطيئة أنسيتهم الإستغفار فقال: «أنت لها» فوكله بها إلى يوم القيامة ﴿ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ﴾ وقائع سنها الله تعالى في الأمم المكذبة نحو«وقتلوا تقتيلا سنة الله في الذين خلوا من قبل»[1] ﴿ فَسيرُوا في الأَرْضِ فَانْظُروا كَيْفَ كانَ عاقِبَةُ الْمُكَذّبينَ﴾ لتتعظوا بما ترون من آثار هلاكهم، وعن الصادق (ع): عنى بذلك: انظروا في القرآن فاعلموا كيف كان عاقبة الذين من قبلكم وما أخبركم عنه ﴿ هذا﴾ أي: القرآن، أوإشارة إلى قوله «قد خلت»، اوإلى ما ذكر من أمر المتقين والتائبين، وقوله: (قد خلت) اعتراض ﴿ بَيانٌ لِلنّاسِ﴾ عامة ﴿ وهُدىً ومَوْعِظَةٌ لِلْمُتَّقينَ﴾ خاصة، أومع كونه بياناً للمكذبين فهوزيادة تثبت ﴿ ولا تَهِنُوا﴾ ولا تضعفوا عن الجهاد بما

---

(١) سورة الأحزاب الآيات ٦١-٦٢.

أصابكم ﴿ ولا تَحْزَنُـوا﴾ علـى مـن قتـل مـنكم، تـسلية لهـم عمـا أصـابهم بأحـد ﴿ وَأَنْتُمُ الأَعْلَوْنَ﴾ والحال انكم أعلى منهم شأناً، لأن قتالكم لله وقتالهم للشيطان، وقتلاكم في الجنة وقتلاهم في النار، أولأنكم نلتم منهم بـ(بدر) أكثر مما نالوا منكم بـ (أحد)، أوهوبشارة لهم بالغلبة أي: وأنتم الأعلون في العاقبة﴿ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ أي: لا تهنوا إن صح إيمانكم فانه يوجب قـوّة القلـب والثقـة باللّـه، أومتعلـق بـالأعلون ﴿ إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَـرْحٌ مِثْلُـهُ﴾ وضـم القـاف حمـزة والكـسائي وأبوبكر وهما لغتان في الجراح، أوالفتح: الجراح، والضم: ألمها، يعني: إن نالوا منكم بأحد فقد نلتم منهم ببدر ثم لم يهنوا، وأنتم الأعلون لا تهنـوا إذ ترجـون مـن اللّـه ما لا يرجون ﴿ وتِلْكَ﴾ مبتدأ ﴿ الأَيَّامُ﴾ وهي أوقات الظفر خبره، أوصفته والخبـر ﴿ نُداوِلُها﴾ نصرفها ﴿ بَيْنَ النَّاسِ ﴾ نديل تـارة لهـؤلاء وتـارة لهـؤلاء، والمداولـة كالمعاودة يقال: داولت الشيء بينهم فتداولوه ﴿ ولِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُـو﴾ المعلـل محذوف، أي: وليتميز الثابتون على الإيمان من الذين على حرف فعلنا ذلك والقصد في أمثاله ليس إلى اثبات علمه تعالى بل إثبات متعلقه، أوالمعنى: لـيعلمهم علمـاً يتعلق به الجزاء وهوالعلم بالشيء موجوداً، أوعطف على علة محذوفة أي: نداولها بالحكم وليعلم اللّه إيذاناً بان المصلحة فيه غير واحـدة وان فيمـا يـصيبهم مـصالح لا يعلمونها ﴿ ويَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَداءَ ﴾ ويكرم بعضكم بالشهادة يريد شهداء أحـد، أويتخذ منكم شهوداً معدلين بما صودف منهم من الثبات والـصبر علـى الـشدائد، أوشهوداً وعلماء بما ينعم على المؤمنين ويمددهم﴿ واللَّهُ لا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾ الذين

يضمرون خلاف ما يظهرون، أوالكافرين وهواعتراض وفيه تنبيه على انه تعالى ينصر الكافرين على الحقيقة وانما يمكنهم أحياناً استدراجاً لهم وابتلاءً للمؤمنين.

[سورة آل‌عمران الآيات ١٤١-١٥٣]

وَلِيُمَحِّصَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَيَمْحَقَ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿١٤١﴾ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُواْ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَـٰهَدُواْ مِنكُمْ وَيَعْلَمَ ٱلصَّـٰبِرِينَ ﴿١٤٢﴾ وَلَقَدْ كُنتُمْ تَمَنَّوْنَ ٱلْمَوْتَ مِن قَبْلِ أَن تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿١٤٣﴾ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَـٰبِكُمْ ۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا ۗ وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّـٰكِرِينَ ﴿١٤٤﴾ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ كِتَـٰبًا مُّؤَجَّلًا ۗ وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ ٱلْـَٔاخِرَةِ نُؤْتِهِۦ مِنْهَا ۚ وَسَنَجْزِى ٱلشَّـٰكِرِينَ ﴿١٤٥﴾ وَكَأَيِّن مِّن نَّبِىٍّ قَـٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُواْ لِمَآ أَصَابَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُواْ وَمَا ٱسْتَكَانُواْ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّـٰبِرِينَ ﴿١٤٦﴾ وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّآ أَن قَالُواْ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِىٓ أَمْرِنَا

وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿١٤٧﴾ فَـَٔاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ
ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ ٱلْـَٔاخِرَةِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٤٨﴾ يَـٰٓأَيُّهَا
ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تُطِيعُوا۟ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يَرُدُّوكُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَـٰبِكُمْ
فَتَنقَلِبُوا۟ خَـٰسِرِينَ ﴿١٤٩﴾ بَلِ ٱللَّهُ مَوْلَىٰكُمْ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلنَّـٰصِرِينَ ﴿١٥٠﴾
سَنُلْقِى فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلرُّعْبَ بِمَآ أَشْرَكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ
يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَـٰنًا ۖ وَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ ۚ وَبِئْسَ مَثْوَى ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿١٥١﴾
وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥٓ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا
فَشِلْتُمْ وَتَنَـٰزَعْتُمْ فِى ٱلْأَمْرِ وَعَصَيْتُم مِّنۢ بَعْدِ مَآ أَرَىٰكُم مَّا تُحِبُّونَ ۚ
مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلْـَٔاخِرَةَ ۚ ثُمَّ صَرَفَكُمْ
عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ ۖ وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥٢﴾ إِذْ
تُصْعِدُونَ وَلَا تَلْوُۥنَ عَلَىٰٓ أَحَدٍ وَٱلرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِىٓ
أُخْرَىٰكُمْ فَأَثَـٰبَكُمْ غَمًّۢا بِغَمٍّ لِّكَيْلَا تَحْزَنُوا۟ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا
مَآ أَصَـٰبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٥٣﴾

﴿ وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ يطهرهم من الذنوب إن كانت الدولة عليهم ﴿ وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ﴾ يهلكهم ان كانت عليهم، و(المحق): فناء الشيء حالاً فحالاً ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ﴾ بل أحسبتم ومعناه: الإنكار، أي: لا تحسبوا ان تدخلوها ولما يعلم الله المجاهدين منكم ولما يجاهد بعضكم بعضاً، ويدل على أن الجهاد فرض على الكفار، والفرق بين (لما) و(لم) ان فيها توقعاً في المستقبل بخلاف (لم) ﴿ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ ﴾ نصب بإضمار (أن) على ان (الواو) للجمع، عن الصادق (ع): ان الله أعلم بما هومكونه قبل ان يكونه، وهم ذرٌّ وعلم من يجاهد ممن لا يجاهد، كما انه يميت خلقه قبل أن يميتهم ولم يرهم موتهم وهم أحياء ﴿ وَلَقَدْ كُنْتُمْ تَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ ﴾ بالشهادة، خطاب لمن لم يشهدوا بدراً وتمنوا ان يحضروا مشهداً مع الرسول (ص) ليكرم بالشهادة كشهداء بدر، فألحوا يوم أحد في الخروج ﴿ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَلْقَوْهُ﴾ تشاهدوه وتعرفوا شدته ﴿ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ﴾ رأيتموه معاينين له حين قتل من قتل منكم ونجوا ـ على تمنيهم الموت ـ ثم انهزامهم ويجوز تمني الشهادة وان تضمنت غلبة الكفار إذ لم يقصد به إلا نيل الكرامة فقط، وعن الباقر(ع): إن المؤمنين لما أخبرهم الله تعالى بالذي فعل بشهدائهم يوم بدر في منازلهم في الجنة، رغبوا في ذلك، فقالوا: اللهم أرنا قتالاً نستشهد فيه، فأراهم الله إياه يوم أحد فلم يثبتوا إلا ما شاء الله منهم فذلك قوله: (ولقد كنتم تمنون الموت .. إلخ) ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ﴾ فسيخلو كما خلوا ﴿ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ ﴾ إنكار لإنقلابهم عن دينهم لخلوه بموت أو قتل مع علمهم بخلوالرسل قبله وبقاء دينهم متمسكاً به، وروي: أن عبد الله بن قمية لما كسر رباعية النبي (ص) وشجّه، ذبّ عنه صاحب الراية

مصعب بن عمير فقتله ابن قمية ـ ويرى أنه النبي (ص) ـ فقال: قتلت محمداً وصرخ صارخ: ان محمداً قُتِلَ، فانكفأ الناس وجعل النبي (ص) يدعو: إلي عباد الله فاجتمع إليه ثلاثون وكشفوا عنه المشركين، وقال بعض المسلمين: ليت ابن أبي يأخذ لنا أماناً من أبي سفيان وقال ناس منافقون : لوكان نبياً ما قتل ارجعوا إلى دينكم، فقال: أنس بن النظير: ان كان محمداً قتل فربه حي، وما تصنعون بالحياة بعده فقاتلوا على ما قاتل عليه، اللهم إني أعتذر إليك مما يقولون وابرأ منه، ثم قاتل حتى قتل فنزلت ﴿ ومَنْ يَنْقَلِبْ عَلى عَقِبَيْهِ﴾ أي: يرتد ﴿ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئاً ﴾ بارتداده بل يضر نفسه ﴿ وسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ ﴾ نعمة الإسلام، أومطلق النعم كأمير المؤمنين ومن يحذوحذوه، عن الباقر (ع): أصاب علياً يوم أحد ستون جراحة، وان النبي (ص) أمر أم سلمة وأم عطية ان تداوياه فقالتا: انا لا نعالج منه مكاناً إلا إنفتق منه مكان وقد خفنا عليه، ودخل رسول الله (ص) والمسلمون يعودونه وهوقرحة واحدة وجعل يمسحه بيده ويقول: ان رجلاً لقي هذا في الله فقد أبلى وأعذر، فكان القرح الذي يمسحه رسول الله (ص) يلتئم فقال علي (ع): الحمد لله إذ لم أفرّ ولم أول الدبر فشكر الله له ذلك في موضعين من القرآن وهوقوله (وسيجزي الله الشاكرين) و(سنجزي الشاكرين) ﴿ وما كانَ لِنَفْسٍ أنْ تَمُوتَ إلاَّ بِإذْنِ اللَّه﴾ بعلمه وأمره، أي: لكل نفس أجل مسمى في علمه لا يؤخره إحجام عن الجهاد ولا يقدمه إقدام عليه، وفيه تشجيع على الجهاد ﴿كِتاباً﴾ مصدر مؤكد أي: كتب الموت كتاباً ﴿ مُؤَجَّلاً﴾ مؤقتاً، لا يتقدم ولا يتأخر﴿ ومَنْ يُرِدْ ثَوابَ الدُّنْيا ﴾ تعريض بمن أخلوا مراكزهم وأقبلوا على الغنائم، فأتاهم المشركون من ورائهم فهزموهم ﴿ نُؤْتِهِ مِنْها ﴾ من ثوابها﴿ ومَنْ يُرِدْ ثَوابَ الآخِرَةِ نُؤْتِهِ مِنْها وسَنَجْزِي الشَّاكِرِينَ وكَأيِّنْ﴾ قيل: (أي) دخلت الكاف عليها

وصارت بمعنى (كم) وأصل النون تنوين أُثبت في الخط على غير قياس وقرأ ابن كثير وكاين كـ(كاعن) ﴿مِنْ نَبِيٍّ﴾ بيان له ﴿قاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ﴾ ربانيون على أعباد أوجماعات، و(الربي) منسوب إلى الرّبة وهي الجماعة للمبالغة، وقرأ ابن كثير ونافع وابوعمرو(قتل) والفاعل (ربيون) أوضمير النبي و(معه ربيون) حال عنه ﴿فَما وَهَنُوا﴾ فما فتروا ﴿لِما أَصابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ من قتل النبي، أوبعضهم ﴿وما ضَعُفُوا﴾ عن الجهاد ﴿ومَا اسْتَكانُوا﴾ وما خضعوا لعدوهم، أصله استكن فأشبعت الفتحة الفاً من السكون إذ الخاضع يسكن لصاحبه ليفعل به ما يشاء، وهذا تعريض بما أصابهم بالإرجاف[١] بقتله (ص) ﴿واللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ﴾ فينصرهم ويرضى عنهم ﴿وما كانَ قَوْلَهُمْ﴾ مع ثباتهم، وقوتهم في الدين، وكونهم ربانيين ﴿إِلاَّ أَنْ قالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنا ذُنُوبَنا وإِسْرافَنا فِي أَمْرِنا وثَبِّتْ أَقْدامَنا وانْصُرْنا عَلَى الْقَوْمِ الْكافِرِينَ﴾ أضافوا الذنوب والإسراف إلى أنفسهم هضماً لها[٢] وإضافة لما أصابهم إلى سوء أعمالهم والاستغفار عنها، ثم طلب التثبت في مواطن الحرب والنصرة على العدوليكون عن خضوع وطهارة فيكون أقرب إلى الاجابة، وانما جعل (ان قالوا) اسماً[٣] لأنه أعرف لدلالته على جهة النسبة وزمان الحدث ﴿فَآتاهُمُ اللَّهُ﴾ بما قالوا ﴿ثَوابَ الدُّنْيا﴾ النصر والغنيمة والعز وحسن الذكر ﴿وحُسْنَ ثَوابِ الآخِرَةِ﴾ من الجنة والنعيم، وخص بالحسن إشعاراً بفضله، وأنه المعتد به عنده ﴿واللَّهُ يُحِبُّ

---

(١) الإرجاف : إذاعة الأشاعات والأخبار الكاذبة المثيرة للفتن وفي القرآن الكريم : (والمرجفون في المدينة).

(٢) يقال: (هضم نفسه): أي: أنه وضع من قدره تواضعاً.

(٣) أي: في محل الإسم.

﴿الْمُحْسنينَ﴾ في أقوالهم وأفعالهم﴿ يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تُطِيعُوا الَّذِينَ كَفَرُوا يَرُدُّوكُمْ عَلى أَعْقابِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خاسِرِينَ ﴾ عن علي (ع): نزلت في المنافقين إذ قالوا للمؤمنين يوم أحد عند الهزيمة: ارجعوا إلى إخوانكم وارجعوا إلى دينهم ﴿ بَلِ اللَّهُ مَوْلاكُمْ ﴾ ناصركم، وقريء بالنصب بمعنى: بل أطيعوا اللّه مولاكم ﴿ وهُوخَيْرُ النَّاصِرِينَ ﴾ فاستغنوا به عن ولاية غيره ونصره ﴿ سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ﴾ قذف في قلوبهم الخوف يوم أحد فرجعوا من غير سبب، وقيل: لما رجعوا ندموا ببعض الطريق وعزموا أن يعودوا إليهم ليستأصلوهم، فألقى اللّه في قلوبهم الرعب، وضحه ابن عامر والكسائي ﴿ بِما أَشْرَكُوا﴾ بسبب إشراكهم ﴿ بِاللَّهِ ما لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطاناً﴾ آلهة ليس على إشراكها حجة، فالمراد نفي الحجة نزولها، وأصل السلطنة القوّة﴿ ومَأْواهُمُ النَّارُ وبِئْسَ مَثْوَى الظَّالِمِينَ﴾ أي: مثواهم، وعدل إلى الظاهر موضع الضمير للتغليظ والتعليل ﴿ ولَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ﴾ إياكم النصر بشرط الصبر والتقوى وكان كذلك حتى خالفتم ﴿ إِذْ تَحُسُّونَهُمْ بِإِذْنِهِ ﴾ تقتلونهم بإذن اللّه، من حسّه أي أبطل حسه، قيل: لما اقبل المشركون جعل الرماة يرشقونهم وباقي المسلمين يضربونهم بالسيف حتى هزموهم ﴿ حَتَّى إِذا فَشِلْتُمْ ﴾ جبنتم وضعف رأيكم بالميل إلى الغنيمة ﴿ وتَنازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ﴾ حين انهزم المشركون فقال بعض الرماة فما موقفنا هاهنا؟ وقال آخرون لا نخالف أمر النبي، فثبت أميرهم في نفر دون العشرة ونفر الباقون للنهب وهومعنى: ﴿ وعَصَيْتُمْ مِنْ بَعْدِ ما أَراكُمْ ما تُحِبُّونَ﴾ من النصر والغنيمة، وحذف جواب (إذا) وهو(ابتلاكم) ﴿ مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيا ﴾ وهم من أخلوا مراكزهم للغنيمة ﴿ وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ

الآخِرَةَ﴾ وهم من ثبتوا طاعة لأمر الرسول ﴿ثُمَّ صَرَفَكُمْ﴾ كفّكم ﴿عَنْهُمْ﴾ إذ كرّوا عليكم فغلبوكم ﴿لِيَبْتَلِيَكُمْ﴾ ليمتحن صبركم ﴿وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ﴾ بعد أن عصيتم أمر الرسول (ص) ﴿وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ يتفضل عليهم بالعفو، أوفي كل الأحوال سواء غَلَبوا أوغُلبوا إذ الإبتلاء نعمة ﴿إِذْ تُصْعِدُونَ﴾ نصب بـ(صرفكم)، أوليبتليكم، أوبإضمار (اذكر) والإصعاد: الإبعاد في الأرض ﴿وَلَا تَلْوُونَ عَلَى أَحَدٍ﴾ لا يقف أحد لأحد ﴿وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ﴾ إليّ عباد الله انا رسول الله من يكرّ فله الجنة ﴿فِي أُخْرَاكُمْ﴾ في ساقتكم وجماعتكم الأُخرى ﴿فَأَثَابَكُمْ غَمًّا بِغَمٍّ﴾ عطف على (صرفكم) أي: فجازاكم غماً بسبب غم أذقتموه الرسول (ص) بعصيانكم له، أوفجازاكم عن فشلكم وعصيانكم غماً متصلاً بغم بالإرجاف بقتل الرسول (ص)، وظفر المشركين والقتل والجرح، وعن الباقر (ع): الغم الأول الهزيمة والقتل، والغم الآخر إشراف خالد بن الوليد عليهم ﴿لِكَيْلَا تَحْزَنُوا عَلَى مَا فَاتَكُمْ﴾ من نفع أوغنيمة ﴿وَلَا مَا أَصَابَكُمْ﴾ من ضر، أومن قتل إخوانكم ﴿وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ عالم بأعمالكم.

[سورة آل‌عمران الآيات ١٥٤- ١٦٥]

ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنۢ بَعْدِ ٱلْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا يَغْشَىٰ طَآئِفَةً مِّنكُمْ ۖ وَطَآئِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ ظَنَّ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ۖ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ مِن شَىْءٍ ۗ قُلْ إِنَّ ٱلْأَمْرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِ ۗ يُخْفُونَ فِىٓ أَنفُسِهِم مَّا لَا يُبْدُونَ لَكَ ۖ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ

ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَٰهُنَا ۗ قُل لَّوْ كُنتُمْ فِى بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ ٱلَّذِينَ كُتِبَ
عَلَيْهِمُ ٱلْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ ۖ وَلِيَبْتَلِىَ ٱللَّهُ مَا فِى صُدُورِكُمْ
وَلِيُمَحِّصَ مَا فِى قُلُوبِكُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١٥٤﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ
تَوَلَّوْا۟ مِنكُمْ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ إِنَّمَا ٱسْتَزَلَّهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ بِبَعْضِ مَا
كَسَبُوا۟ ۖ وَلَقَدْ عَفَا ٱللَّهُ عَنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٥٥﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ
ءَامَنُوا۟ لَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَقَالُوا۟ لِإِخْوَٰنِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا۟ فِى
ٱلْأَرْضِ أَوْ كَانُوا۟ غُزًّى لَّوْ كَانُوا۟ عِندَنَا مَا مَاتُوا۟ وَمَا قُتِلُوا۟ لِيَجْعَلَ ٱللَّهُ
ذَٰلِكَ حَسْرَةً فِى قُلُوبِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ
﴿١٥٦﴾ وَلَئِن قُتِلْتُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَوْ مُتُّمْ لَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ
مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿١٥٧﴾ وَلَئِن مُّتُّمْ أَوْ قُتِلْتُمْ لَإِلَى ٱللَّهِ تُحْشَرُونَ ﴿١٥٨﴾ فَبِمَا
رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ
حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ

فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾ إِن يَنصُرْكُمُ ٱللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ ۖ وَإِن يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا ٱلَّذِى يَنصُرُكُم مِّنۢ بَعْدِهِۦ ۗ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١٦٠﴾ وَمَا كَانَ لِنَبِىٍّ أَن يَغُلَّ ۚ وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٦١﴾ أَفَمَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ كَمَنۢ بَآءَ بِسَخَطٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأْوَىٰهُ جَهَنَّمُ ۚ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٦٢﴾ هُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿١٦٣﴾ لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿١٦٤﴾ أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَٰذَا ۖ قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٦٥﴾

﴿ ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِ الْغَمِّ ﴾ أي: الهزيمة ﴿ أَمَنَةً ﴾ أمنا، مفعول ﴿ نُعاساً ﴾ بدل منه، أوهوالمفعول و(امنة) حال منه، عن ابي طلحة: غشينا النعاس في مصافنا وكان السيف يسقط من أحدنا فيأخذه ﴿ يَغْشى ﴾ النعاس، وقرأ حمزة والكسائي

بالتاء للأمنة ﴿ طَائِفَةً مِنْكُمْ ﴾ خلّص المؤمنين ﴿ وطَائِفَةٌ ﴾ هم المنافقون، أي: ومنكم طائفة ﴿ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ ﴾ ما بهم إلا همّ خلاص أنفسهم ﴿ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ صفة أخرى لطائفة، أوحال، أواستئناف ﴿ غَيْرَ ﴾ الظن ﴿ الْحَقِّ ﴾ الذي يجب أن يظن به، نصب مصدراً ﴿ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ ﴾ بدل له، أي: ظناً يختص بالملة الجاهلية، أوأهلها ﴿ يَقُولُونَ ﴾ للرسول (ص)، وهوبدل (يظنون) ﴿ هَلْ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ مِنْ شَيْءٍ ﴾ هل لنا من أمر اللّه، أي: النصر والفتح نصيب ﴿ قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ ﴾ النصر ﴿ كُلَّهُ لِلَّهِ ﴾ وأوليائه، وهواعتراض، ورفع ابوعمرو كله بالابتداء ﴿ يُخْفُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ مَا لَا يُبْدُونَ لَكَ ﴾ إستئناف، أوحال من (يقولون) أي: يظهرون أنهم مسترشدون طالبون للنصر ويبطنون الإنكار والتكذيب ﴿يَقُولُونَ﴾ في أنفسهم، أوبعضهم لبعض بدل (يخفون) أواستئناف لبيانه ﴿لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ ﴾ النصر الذي وعدناه ﴿ شَيْءٌ ﴾ أوكان لنا إختيار ولم نخرج ﴿ مَا قُتِلْنَا هَاهُنَا ﴾ لما علينا، أوقتل أصحابنا في هذا الموطن ﴿ قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ ﴾ أي: قدّر، أوكتب في اللوح المحفوظ ﴿ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ ﴾ مصارعهم ولم تنفع الإقامة بالمدينة ولم ينج من القتل أحد إذ لا دافع لقضائه والمقدر كائن ﴿ وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ ﴾ من الإخلاص، وهوعلة لمحذوف أي: فعل ذلك ليمتحن ما فيها من الإخلاص والنفاق ﴿ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ ﴾ ليخلصه من الشك ﴿ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴾ بأسرارها، قبل ظهورها وفيه وعد ووعيد ﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ ﴾ انهزموا يوم أحد، والجمعان، جمع المسلمين وجمع المشركين ﴿ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا ﴾ أي: كان السبب في توليتهم أنْ طلب الشيطان منهم الزلل فأطاعوه، واقترفوا ذنوباً بترك المركز حرصاً على الغنيمة فمنعوا التأييد، وقيل: استزلاله

لهم وتوليهم هوبسبب ذنوب قدموها، إذ الذنب يجر إلى الذنب كالطاعة، وعن الصادق (ع): هم أصحاب العقبة ﴿ ولَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ ﴾ لتوبتهم واعتذارهم ﴿ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ﴾ لذنوب ﴿ حَلِيمٌ ﴾ لا يعجل العقاب ﴿ يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ يعني: المنافقين ﴿ وَقَالُوا لِإِخْوانِهِمْ﴾ لأجلهم فيهم، ومعنى إخوتهم: إتفاقهم في النسب أوالمذاهب ﴿ إِذا ضَرَبُوا فِي الأَرْضِ ﴾ أي: سافروا فيها وأبعدوا للتجارة أوغيرها، وكان حقه (إذ) لقوله: (قالوا) لكنه جاء على حكاية الحال الماضية ﴿ أَوْكانُوا غُزًّى﴾ جمع غاز كـ(عفا) لـ(عاف)﴿لَوكانُوا عِنْدَنَا ما ماتُوا وما قُتِلُوا﴾ مقول (قالوا) ﴿ لِيَجْعَلَ اللَّهُ ذلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ ﴾ متعلق بـ(قالوا) و(اللام) للعاقبة كما في (ليكون لهم عدواً وحزناً)[1] أولا تكونوا مثلهم في النطق بذلك القول واعتقادهم ليجعله حسرة في قلوبهم خاصة، وذلك إشارة إلى اعتقادهم الدال عليه قولهم، أوما دل عليه النهي أي: لا تكونوا مثلهم ليجعل اللّه انتفاء كونكم مثلهم حسرة في قلوبهم إذ مخالفتهم تغمهم﴿ واللَّهُ يُحْيِي ويُمِيتُ﴾ ردّ لقولهم، لا الإقامة والسفر، فقد يحيى المسافر والغازي، ويميت المقيم والقاعد﴿ واللَّهُ بما تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ تهديد للمؤمنين على أن يماثلوهم، وقرأ ابن كثير وحمزة والكسائي بالياء أي: الذين كفروا ﴿ ولَئِنْ قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَومُتُّمْ ﴾ في سبيله، وكسر الميم حمزة والكسائي من مات يمات ﴿ لَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ ورَحْمَةٌ ﴾ جواب القسم، وأغنى عن الجزاء، والمعنى: إن النفر والغزوليس مما يجلب الموت ويقدم الأجل، وإن وقع ذلك في سبيل اللّه فما تنالون بالموت من المغفرة والرحمة ﴿ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ ﴾ من الدنيا أومنافعها لولم

---

(١) سورة القصص الآية ٨

تموتوا، وعن الباقر (ع): في الآية سبيل الله، علي (ع)، وذريته: من قتل في ولايته في سبيل الله ومن مات في ولايته مات في سبيل الله ﴿ ولَئِنْ مُتُّمْ أَوْقُتِلْتُمْ ﴾ على أي: وجه اتفق ﴿ لإِلَى اللَّهِ تُحْشَرُونَ ﴾ في جميع الأحوال ﴿ فَبِما رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ﴾ (ما) مزيده للتأكيد، وتقديم الظرف للحصر، أي: ما لنت لهم إلا برحمته، وهي أن وفقك للرفق بهم ﴿ ولَوكُنْتَ فَظًّا ﴾ جافياً ﴿ غَلِيظَ الْقَلْبِ﴾ قاسيه﴿ لانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ ﴾ لتفرقوا عنك ﴿ فَاعْفُ عَنْهُمْ﴾ فيما يختص بك ﴿ واسْتَغْفِرْ لَهُمْ ﴾ فيما لله ﴿ وشاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ﴾ أي: أمر الحرب وغيره ممّا لم يوح إليك، تطييباً لأنفسهم وتأسيساً لسنة المشاورة للأمة، قال علي (ع): من استبد برايه هلك ومن شاور الرجال شاركها في عقولها وعنه (ص) لا مظاهرة[1] أوثق من المشاورة، وعن الصادق (ع): شاور في أمرك الذين يخشون الله ﴿ فَإِذا عَزَمْتَ ﴾ عقدت قلبك على شيء - بعد الشورى - ﴿ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ﴾ في إمضاء أمرك على الأصلح ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾ فيهديهم للصلاح ﴿ إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللَّهُ ﴾كما نصركم ببدر ﴿ فَلا غالِبَ لَكُمْ ﴾ فلا أحد يغلبكم ﴿ وَإِنْ يَخْذُلْكُمْ﴾كما خذلكم بأحد﴿ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرُكُمْ مِنْ بَعْدِهِ ﴾ بعد خذلانه، أوبعد الله إذا تعديتموه فلا ناصر لكم، وفيه تنبيه على الموجب للتوكل، وحث على ما يستحق به نصر الله، وتحذير عما يوجب خذلانه ﴿ وعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ فليخصوه بالتوكل عليه لإيمانهم به، وعلمهم أن لا ناصر سواه ﴿ وما كانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَغُلَّ﴾ وما صح لنبي ان يخون في المغنم - إذ النبوة تنافي الخيانة - يقال: (غل في الغنيمة) إذا أخذ منها خفية كأغلّ،

---

(١) المظاهرة : إعلان الرأي أوإظهار العاطفة في صورة جماعية.

القمي: سبب نزولها انه كان في الغنيمة التي أصابوها يوم بدر قطيفة[١] حمراء ففقدت، فقال رجل من أصحاب رسول اللّه (ص): ما لنا لا نرى القطيفة لا أظن إلا رسول اللّه (ص) أخذها، فجاء رجل إلى رسول اللّه (ص) فقال: إن فلاناً غلّ قطيفة فاحفرها هنالك، فأمر رسول اللّه (ص) بحفر ذلك الموضع فاخرج القطيفة، وقرأ نافع وابن عامر وحمزة والكسائي (يغل) بصيغة المجهول، أي: ما صح له ان يوجد غالاً، أو ينسب إلى الغلول ﴿ ومَنْ يَغْلُلْ يَأْتِ بما غَلَّ يَوْمَ الْقيامَة ﴾ يأتي بالذي غله يحمله على ظهره ـ كما روي ـ أوبما حمل من وباله، وعن الباقر (ع) ـ في الآية ـ لم يكن اللّه ليجعل نبياً غالاً ومن يغلل يأت بما غل يوم القيامة، من غل شيئاً رآه يوم القيامة في النار، ثم يكلف أن يدخل إليه فيخرجه من النار﴿ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ ما كَسَبَتْ ﴾ تعطى جزاءه وافياً، ولم يقل: (يوفى ما كسب) للمبالغة، فإنه إذا كان كل كاسب مجزياً بعمله شمل الحكم الغال وغيره ﴿ وهُمْ لا يُظْلَمُونَ ﴾ لا ينقص ثواب محسنهم ولا يزيد عقاب مسيئهم ﴿ أ فَمَنِ اتَّبَعَ رِضْوانَ اللّه ﴾ بطاعته ﴿ كَمَنْ باءَ ﴾ رجع ﴿ بِسَخَطٍ مِنَ اللّهِ ﴾ بسبب المعصية ﴿ ومَأْواهُ ﴾ ومصيره ﴿ جَهَنَّمُ وبِئْسَ الْمَصيرُ ﴾ والفرق بينه وبين المرجع ان المصير: يجب أن يخالف الحالة الاولى، ولا كذلك[٢] المرجع ﴿ هُمْ دَرَجاتٌ عِنْدَ اللّهِ ﴾ أي: ذووا درجات، أوشبهوا بها لما بينهم من التفاوت في الثواب والعقاب، أوانهم وسائل الصعود إلى اللّه تعالى والهبوط من قربه، والضمير راجع إلى من اتبع، والمراد: الائمة (ع)، وعن الصادق (ع)

---

(١) القطيفة : كساء له أهداب.

(٢) حق العبارة أن يقال: (وليس كذلك المرجع) كما هوواضح.

الذين اتبعوا رضوان الله هم: الائمة (ع) وهم ـ والله ـ درجات عند الله تعالى للمؤمنين، وبولايتهم ومعرفتهم إيانا يضاعف الله تعالى لهم أعمالهم ويرفع الله تعالى لهم الدرجات العلى، ونحوه آخر، وزاد والذين باءوا بسخط من الله تعالى هم الذين جحدوا حق علي (ع) وحق الائمة (ع) منا أهل البيت فباءوا لذلك بسخط من الله تعالى، وعن الرضا (ع): الدرجات ما بين السماء والأرض ﴿ واللّهُ بَصيرٌ بما يَعْمَلُونَ ﴾ عالم بأعمالهم ودرجاتهم، فيجازيهم على حسبها﴿ لَقَدْ مَنَّ اللّهُ ﴾ أنعم، و(اللام) موطئة للقسم ﴿عَلَى الْمُؤْمِنينَ ﴾ وتخصيصهم ـ مع ان نعمة البعثة عامة ـ لزيادة انتفاعهم بها﴿ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِنْ أَنْفُسِهِمْ ﴾ من جنسهم، عربياً ليسهل عليهم فهم كلامه، أومن نسبهم ليكونوا عارفين صدقه وأمانته ويفخروا به ﴿ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آياتِهِ﴾ أي: القرآن بعد ما كانوا جهالاً لم يسمعوا الوحي ﴿ ويُزَكِّيهِمْ ﴾ يطهرهم من دنس الطبائع وسوء العقائد والأعمال ﴿ ويُعَلِّمُهُمُ الْكِتابَ والْحِكْمَةَ ﴾ القرآن والسنة ﴿ وإِنْ كانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلالٍ مُبِينٍ ﴾ (ان) هي المخففة، و(اللام) هي الفارقة، أي: وانّ الشأن كانوا من قبل بعثته في ضلال ظاهر، وقد مرّ تفسيرها في البقرة﴿ أَ ولَمَّا أَصابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَيْها ﴾ (الهمزة) للتقرير والتقريع، و(الواو) عاطفة للجملة على ما سبق من قصة أحد، أوعلى محذوف، أي: فعلتم كذا وقلتم كذا، و(لمّا) وهوظرفه المضاف إلى أصابتكم، أي: حين أصابتكم مصيبة وهي قتل سبعين منكم يوم أحد والحال انكم نلتم ضعفها يوم بدر من قتل سبعين وأسر سبعين ﴿ قُلْتُمْ أَنَّى هذا﴾ أي: من أين أصابنا هذا وقد وعدنا الله النصر؟ عن الصادق (ع): كان المسلمون قد أصابوا ببدر مائة وأربعين رجلاً قتلوا سبعين رجلاً وأسروا سبعين، فلما كان يوم أحد أصيب من المسلمين سبعون رجلاً، فاغتموا لذلك فنزلت ﴿ قُلْ هُومِنْ عِنْدِ

أَنفُسِكُمْ﴾ باختياركم الفداء يوم بدر ـ كما عن علي (ع) ـ أولتركك المركز أولاختياركم الخروج من المدينة ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ فيقدر على النصر ومنعه.

[سورة آل عمران الآيات ١٦٦ - ١٧٣]

وَمَآ أَصَٰبَكُمْ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ فَبِإِذْنِ ٱللَّهِ وَلِيَعْلَمَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٦٦﴾ وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ نَافَقُوا۟ ۚ وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا۟ قَٰتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَوِ ٱدْفَعُوا۟ ۖ قَالُوا۟ لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَّٱتَّبَعْنَٰكُمْ ۗ هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَٰنِ ۚ يَقُولُونَ بِأَفْوَٰهِهِم مَّا لَيْسَ فِى قُلُوبِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ ﴿١٦٧﴾ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ لِإِخْوَٰنِهِمْ وَقَعَدُوا۟ لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا۟ ۗ قُلْ فَٱدْرَءُوا۟ عَنْ أَنفُسِكُمُ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٦٨﴾ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا۟ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٧٠﴾ يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ

ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٧١﴾ ٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَصَابَهُمُ ٱلْقَرْحُ ۚ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ مِنْهُمْ وَٱتَّقَوْا۟ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٢﴾ ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَـٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾

﴿ وَما أَصابَكُمْ﴾ من القتل ﴿ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعانِ﴾ بأحد ﴿ فَبِإِذْنِ اللَّه ﴾ فهو كائن بقضائه بتخليته الكفار، وسماها (إذناً) مجازاً مرسلاً لأنها من لوازمه ليفي بما شرطتم يوم بدر حين اختياركم ﴿ ولِيَعْلَمَ الْمُؤْمِنينَ ولِيَعْلَمَ الَّذينَ نافَقُوا ﴾ ليتميز الفريقان، فيظهر ايمان المؤمنين بالصبر، ونفاق غيرهم بإظهار طلب وعد النصر، والإعراض عن الاشتراط وفي إيراد احد المفعولين بما يدل على الحدث دون الآخر مدح للمؤمنين بالثبات على الإيمان والمنافقين بعدمه ﴿ وقيلَ لَهُمْ ﴾ عطف على (نافقوا) داخل في الصلة، أوالكلام مبتدأ ﴿ تَعالَوْا قاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّه أَوادْفَعُوا ﴾ تقسيم للأمر عليهم، وتمييز بين أن يقاتلوا للآخرة أوللدفع عن الأنفس والأموال، أومعناه: قاتلوا الكفرة، أوادفعوهم بتكثير سواد المجاهدين، فان كثرة السواد مما يروّع العدوويكسره ﴿ قالُوا لَونَعْلَمُ قِتالاً لاتَّبَعْناكُمْ ﴾ أي: لونعلم ما يصح أن يسمى قتالاً لاتبعناكم فيه، لكن ما أنتم عليه ليس بقتال بل إلقاء بالنفس إلى التهلكة، أولونحسن قتالاً لاتبعناكم، قالوا ذلك دغلاً[1] واستهزاء ﴿ هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلإِيمانِ ﴾

(١) نفاقاً وإخفاءاً لطبيعتهم الحقيقية،اذ الدغل في اللغة بمعنى الإخفاء.

إذ انخزالهم[1] وقولهم هذا أمارة تؤذن بكفرهم، أوهم لأهل الكفر أقرب نصرة منهم لأهل الإيمان، إذ كان فعلهم وقولهم تقوية للمشركين ﴿ يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ ما لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ ﴾ يظهرون خلاف ما يضمرونه، وذكر الأفواه تأكيد لنفي تواطي قلوبهم لألسنتهم ﴿ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِما يَكْتُمُونَ ﴾ من النفاق فانه يعلمه مفصلاً باحاطة، وأنتم تعلمونه مجملاً بأمارات ﴿ الَّذِينَ قالُوا ﴾ مرفوع بدل من واو(يكتمونه) أومنصوب على الذم، أوالوصف للذين نافقوا، أومجرور بدل من الضمير في (بأفواههم) أو(قلوبهم) ﴿ لِإِخْوانِهِمْ ﴾ لأجلهم، يريد من قتل بأحد من أقاربهم، أوجنسهم ﴿ وقَعَدُوا ﴾ حال مقدر بـ(قد) أي: قالوا قاعدين عن القتال ﴿لَوأَطاعُونا ﴾ في القعود ﴿ ما قُتِلُوا ﴾كما لم نقتل، وقرأ بالتشديد ﴿ قُلْ فَادْرَؤُا عَنْ أَنْفُسِكُمُ الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ ﴾ انكم تقدرون على دفع القتل وأسبابه عمن كتب عليه فادفعوا عن أنفسكم الموت وأسبابه، فانه أحرى بكم، والمعنى: إن القعود غير مغنٍ فان أسباب الموت كثيرة كما ان القتال يكون سبباً للهلاك والقعود سبباً للنجاة، قد يكون الأمر بالعكس فانه يدفع بالقتال العدوفينجو، وبالقعود يصير العدوجرياً فيغلب عليه فيهلك ﴿ ولا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْواتاً ﴾ نزلت في شهداء بدر وأحد ـ كما عن الباقر (ع) ـ قيل: ويشمل كل من قتل في سبيلٍ من سبل اللّه سواء كان قتله بالجهاد الأصغر وبذل النفس طلب رضى اللّه، أوبالجهاد الأكبر وكسر النفس وقمع الهوى بالرياضة ﴿بَلْ﴾ هم ﴿ أَحْياءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ ﴾ ذوقرب منه وتمتع بنعيم الجنة ﴿ يُرْزَقُونَ﴾ من الجنة، وهوتأكيد لكونهم أحياء ﴿ فَرِحِينَ بِما آتاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾

---

(١) انخزالهم: ضعفهم وارتدادهم.

وهوشرف الشهادة والفوز بالحياة الأبدية ﴿وَيَسْتَبْشِرُونَ﴾ ويسرّون بالبشارة ﴿بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ﴾ أي: بإخوانهم المؤمنين الذين لم يقتلوا فيلحقوا بهم ﴿مِنْ خَلْفِهِمْ﴾ زماناً أورتبة ﴿أَلاَّ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ بدل من (الذين) والمعنى: أنهم يستبشرون بما تبين لهم من أمر الآخرة وحال من تركوا خلفهم من المؤمنين، وهوانهم إذا بعثوا لم يصبهم خوف ولا حزن، وفيها حث على الجهاد وترغيب في الشهادة وازدياد الطاعة، عن الباقر (ع): اتى رجل رسول الله (ص) فقال: اني راغب نشيط في الجهاد قال: فجاهد في سبيل الله فإنك ان تقتل كنت حياً عند الله ترزق، وان متّ فقد وقع أجرك على الله، وان رجعت خرجت من الذنوب إلى الله، هذا تفسير: ولا تحسبن الذين قتلوا .. إلخ، وقيل[1] له (ع): يروون: ان أرواح المؤمنين في حواصل طير خضر حول العرش؟ فقال (ع): لا المؤمن أكرم على الله تعالى من أن يجعل روحه في حواصل طير ولكن في أبدان كأبدانهم وعنه (ع) في الآية .. هم والله شيعتنا حين صارت أرواحهم في الجنة، واستقبلوا الكرامة من الله تعالى، واستيقنوا أنهم كانوا على الحق على دين الله فاستبشروا بمن لم يلحق بهم من إخوانهم من خلفهم من المؤمنين ان لا خوف عليهم ... إلخ ﴿يَسْتَبْشِرُونَ﴾ كرر للتأكيد، أويتعلق به ما هو بيان لقوله: (ان لا خوف)، أو الاول بحال إخوانهم والثاني بحال أنفسهم ﴿بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ﴾ أجراً لاعمالهم ﴿وَفَضْلٍ﴾ زيادة عليه لقوله تعالى

(١) يلاحظ في كثير من الأخبار الصحيحة الواردة عن أهل البيت(ع) رفضهم الشديد للروايات الإسرائيلية المشحونة بالخرافات والأساطير ووقوفهم الواضح ضدها وتنبيه أتباعهم على خطورتها حرصاً منهم (ع) على الشريعة الإسلامية وصوناً لها من الأفكار الخرافية وهذه الرواية هي من جملة تلك الروايات.

للذين أحسنوا الحسنى وزيادة)[١] وتنكيرهما للتعظيم ﴿ وَأَنَّ اللَّهَ لا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ عطف على (فضل) وكسرها الكسائي استئنافا معترضاً يفيد ان ذلك أجر لإيمانهم ﴿ الَّذِينَ اسْتَجابُوا لِلَّهِ والرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ ما أَصابَهُمُ الْقَرْحُ ﴾ صفة لـ(المؤمنين)، أونصب على المدح، أومبتدأ خبره ﴿ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ واتَّقَوْا أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾ و(من) للبيان إذ المستجيبون كلهم محسنون متقون، روي: لما رجع أبوسفيان وأصحابه فبلغوا الروحا[٢] ندموا وهمّوا بالعود، فبلغ ذلك النبي (ص) فندب أصحابه لطلبهم وقال: لا يخرجن معنا إلا من حضر يومنا بالأمس، فخرج في جماعة مع ما بهم من القرح حتى بلغوا حمراء الأسد على ثمانية أميال من المدينة، فألقى اللّه الرعب في قلوب المشركين فذهبوا، فنزلت ﴿ الَّذِينَ قالَ لَهُمُ النَّاسُ ﴾ أي: نعيم ـ كما روي عنهم (ع) ـ لأنه من جنس الناس كما يقال (فلان يركب الخيل وما له الا فرس واحد)أولأنه انضم إليه ناس من المدينة وقيل يعني الركب الذين استقبلهم من عبد قيس ﴿ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ ﴾ قيل: لما انصرف ابوسفيان من أحد نادى: (يا محمد موعدنا موسم بدر القابل إن شئت) فقال (ص): (إن شاء اللّه تعالى) فلما كان القابل خرج في أهل مكة حتى نزل من الظهران، فألقى اللّه تعالى عليه الرعب فبدا له، فلقي نعيم بن مسعود ـ وقد قدم معتمراً ـ فجعل له عشراً من الإبل ان ثبط[٣] المسلمين، فاتى فوجدهم يتجهزون فقال لهم: أتوكم في دياركم فلم يفلت

---

(١) سورة يونس الآية ٢٦.

(٢) اسم بقعة بالحجاز.

(٣) ثبطه عن الأمر: أي عوقه وأوقفه.

منكم إلا شريداً[١] فتريدون ان تخرجوا وقد جمعوا لكم؟ ففتروا، فقال (ص): (والذي نفسي بيده لا خرجن ولو وحدي) فخرج في سبعين وهم يقولون: (حسبنا الله) فالمراد بالناس الثاني: ابوسفيان وأصحابه ﴿فَزادَهُمْ﴾ المقول، أوالقول أوالقائل ﴿إيماناً﴾ إذ لم يصغوا له بل قوى يقينهم والعزم على الجهاد، ويفيد إن الإيمان يزداد وينقص ـ كما في الأثر ـ ﴿وقالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ﴾ حسبنا وكافيناً من (أحسبه) أي: كفاه ﴿ونِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ ونعم الموكول إليه هو.

[سورة آل عمران الآيات ١٧٤- ١٨٠]

فَٱنقَلَبُواْ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ وَٱتَّبَعُواْ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴿١٧٤﴾ إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧٥﴾ وَلَا يَحْزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْكُفْرِ ۚ إِنَّهُمْ لَن يَضُرُّواْ ٱللَّهَ شَيْـًٔا ۗ يُرِيدُ ٱللَّهُ أَلَّا يَجْعَلَ لَهُمْ حَظًّا فِى ٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُاْ ٱلْكُفْرَ بِٱلْإِيمَٰنِ لَن يَضُرُّواْ ٱللَّهَ شَيْـًٔا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٧﴾ وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ ۚ إِنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ

---

(١) هكذا وردت في النسخة الخطية والأصح: (شريد).

لِيَزْدَادُوٓاْ إِثْمًاۚ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٧٨﴾ مَّا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى ٱلْغَيْبِ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَجْتَبِى مِن رُّسُلِهِۦ مَن يَشَآءُۖ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۚ وَإِن تُؤْمِنُواْ وَتَتَّقُواْ فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٩﴾ وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ هُوَ خَيْرًا لَّهُمۖ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْۖ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُواْ بِهِۦ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِۗ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١٨٠﴾

﴿ فَانْقَلَبُوا ﴾ فرجعوا من بدر ﴿ بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ ﴾ بعافية وزيادة إيمان ﴿ وَفَضْلٍ ﴾ وربح في التجارة التي وافوا بها سوق بدر ﴿ لَمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ ﴾ من كيد عدو ﴿ واتَّبَعُوا رِضْوانَ اللَّهِ واللَّهُ ذُوفَضْلٍ عَظِيمٍ ﴾ قد تفضل عليهم بالتوفيق لما فعلوا، وفيه تحسير[1] لمن تخلف إذ حرم نفسه ما نالوا ﴿ إِنَّما ذلِكُمُ الشَّيْطانُ ﴾ يعني الذي ثبط نعيماً وأبا سفيان، و(الشيطان) خبر (ذلكم) وما بعده بيان لشيطنته، أوصفته وما بعده الخبر، أوالإشارة إلى القول على نية مضاف أي: انما ذلكم قول الشيطان اي إبليس ﴿ يُخَوِّفُ أَوْلِياءَهُ ﴾ القاعدين عن الخروج مع النبي (ص)، أويخوفكم من أوليائه ابي سفيان وأتباعه ﴿ فَلا تَخافُوهُمْ ﴾ يعني: الناس ـ على الاول ـ وأوليائه ـ على الثاني ـ

---

(١) إجبار لهم على أن يندموا ويتحسروا.

﴿ وخافُونِ ﴾ فأطيعوا رسولي وجاهدوا معه، وأثبت ابوعمروالياء وصلاً ﴿ إنْ كُنتُمْ مُؤْمنينَ ﴾ فان الإيمان يقتضي إيثار خوف الله على خوف الناس ﴿ ولا يَحْزُنْكَ الَّذينَ يُسارِعُونَ فِي الْكُفْرِ ﴾ يقعون فيه سريعاً حرصاً عليه خوف ان يضروك ويعينوا عليك، وهم المنافقون من المتخلفين، أوقوم ارتدوا عن الإسلام ﴿ إنَّهُمْ لَنْ يَضُرُّوا اللَّهَ ﴾ أي: أولياءه بكفرهم وانما يضرون به أنفسهم ﴿ شَيْئاً ﴾ مفعول، أومصدر ﴿ يُرِيدُ اللَّهُ ألا يَجْعَلَ لَهُمْ حَظًّا ﴾ نصيباً من الثواب ﴿ فِي الآخِرَةِ ﴾ وهويدل على تمادي طغيانهم وموتهم على الكفر وان كفرهم بلغ الغاية حتى أراد أرحم الراحمين أن لا يكون لهم حظ من رحمته ﴿ ولَهُمْ عَذابٌ عَظيمٌ ﴾ بدل الثواب ﴿ إنَّ الَّذينَ اشْتَرَوُا الْكُفْرَ بالإِيمانِ لَنْ يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئاً ولَهُمْ عَذابٌ أَليمٌ ﴾ تكرير للتأكيد، أوتعميم للكفرة بعد تخصيص من نافق من المتخلفين، أوممن ارتد من الاعراب ﴿ ولا تَحْسَبَنَّ ﴾ خطاب للرسول (ص)، أولكل أحد ﴿ الَّذينَ كَفَرُوا ﴾ مفعول ﴿ أَنَّما نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لأَنْفُسِهِمْ ﴾ بدل منه ناب مناب المفعولين ولكونه المعول عليه اقتصر على مفعول واحد، أوالمفعول الآخر على حذف مضاف، أي: ولا تحسبن الذين كفروا أصحاب أن إملاءنا خير لهم، أوولا تحسبن حال الذين كفروا ان إملاءنا خير لهم، و(ما)مصدرية حقها الفصل خطأً وانما وصلت تبعاً للرسم، وقرأ ابن كثير وابوعمرووعاصم والكسائي بالياء، فـ(الذين) فاعل وان ما في خبرها نائبا لمفعولين، وفتح سينه في جميع القرآن ابن عامر وعاصم وحمزة، والإملاء: الإمهال وإطالة العمر ﴿ إِنَّما نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدادُوا إِثْماً ﴾ استئناف يعلل ما قبله، و(ما) كافّة و(اللام) للعاقبة ﴿ ولَهُمْ عَذابٌ

مُهينٌ ﴾ وعن الباقر (ع): الموت خير للمؤمن والكافر لأن الله يقول (وما عند الله خير للأبرار)[١] ويقول: «ولا يحسبن الذين كفروا ... إلخ» ﴿ ما كانَ اللّهُ لِيَذَرَ﴾ ليترك ﴿ الْمُؤْمِنِينَ عَلى ما أَنْتُمْ عَلَيْه ﴾ أيها الخلص والمنافقون من اختلاطكم لا يعرف مخلصكم من منافقكم ﴿ حَتَّى يَميزَ ﴾ بالتخفيف والتشديد ﴿ الْخَبيثَ مِنَ الطَّيِّب ﴾ بإخبار رسوله (ص) بأحوالكم، أوبالتكاليف الصعبة كبذل النفس والمال لله، ليظهر به ما تضمرون ﴿ وما كانَ اللّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْب﴾ وما كان ليؤتى أحدكم علم الغيب فيطلع على ما في القلوب من إيمان وكفر﴿ ولكِنَّ اللّهَ يَجْتَبي مِنْ رُسُله ﴾ يختار لرسالته ﴿ مَنْ يَشاءُ ﴾ فيعرفه بعض المغيبات بوحي أونصب دليل ﴿ فَآمِنُوا بِاللّه ورُسُلِه ﴾ مخلصين، أوبأن تعلموه وحده مطلعاً على الغيب، وتعلموهم عباداً مجتبين لا يعلمون إلا ما علمهم الله، ولا يقولون إلا ما اوحي إليهم، نقل أن الكفرة قالوا : ان كان محمد صادقاً فليخبرنا من يؤمن ومن يكفر، فنزلت ﴿ وإِنْ تُؤْمِنُوا ﴾ حق الإيمان﴿ وتَتَّقُوا﴾ النفاق ﴿ فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظيمٌ ﴾ على ذلك ﴿ ولا يَحْسَبَنَّ الَّذينَ يَبْخَلُونَ بِما آتاهُمُ اللّهُ مِنْ فَضْله هُوخَيْراً لَهُمْ ﴾ بالقراءتين: التاء على نية مضاف أي: ولا تحسبن بخل الذين يبخلون هوخيراً لهم، وكذا الياء ان جعل الفاعل ضمير الرسول لواحد، وان جعل (الذين) فالمفعول الاول محذوف يدل عليه (يبخلون) أي: ولا يحسبن البخلاء بخلهم هوخيراً لهم﴿ بَلْ هُوَ﴾ البخل﴿ شَرٌّ لَهُمْ ﴾ ويفسره: ﴿ سَيُطَوَّقُونَ ما بَخِلُوا بِه يَوْمَ الْقِيامَة﴾ سيلزمون وباله إلزام الطوق، عن الباقر والصادق (ع): ما من أحد يمنع من زكاة ماله شيئاً إلا جعل الله ذلك يوم القيامة ثعباناً

---

(١) سورة آل عمران الآية ١٩٨.

من نار مطوّق في عنقه ينهش من لحمه حتى يفرغ من الحساب، وهو قول الله تعالى سيطوقون ... إلخ الآية، وعنه (ص): ما من ذي زكاة مال ـ نخل أو زرع، أو كرم ـ يمنع زكاة ماله إلا قلّد اللّه تربة أرضه يطوق بها من سبع أرضين إلى يوم القيامة ﴿ ولِلّهِ ميراثُ السّماواتِ والأرْض﴾ وله فيهما مما يتوارث، فما لهم يبخلون عليه بملكه؟ أو انه يرث ما يمنعونه ويبقى عليهم وباله ﴿ واللّهُ بِما يَعْمَلُونَ ﴾ من إعطاء ومنع ﴿ خَبِيرٌ ﴾ فيجازيهم به، وقرأ نافع وابن عامر وحمزة والكسائي بالتاء على الالتفات.

[سورة آل‌عمران الآيات ١٨١- ١٩١]

لَّقَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ ۘ سَنَكْتُبُ مَا قَالُواْ وَقَتْلَهُمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴿١٨١﴾ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿١٨٢﴾ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ عَهِدَ إِلَيْنَآ أَلَّا نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّىٰ يَأْتِيَنَا بِقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ ٱلنَّارُ ۗ قُلْ قَدْ جَآءَكُمْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِى بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَبِٱلَّذِى قُلْتُمْ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٨٣﴾ فَإِن كَذَّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ جَآءُو بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُنِيرِ ﴿١٨٤﴾ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ۗ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ

ٱلْقِيَـٰمَةِ ۖ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ۗ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ
ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَـٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴿١٨٥﴾ لَتُبْلَوُنَّ فِىٓ أَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ
وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ ٱلَّذِينَ
أَشْرَكُوٓا۟ أَذًى كَثِيرًا ۚ وَإِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ
ٱلْأُمُورِ ﴿١٨٦﴾ وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَـٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ
وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ وَٱشْتَرَوْا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَبِئْسَ
مَا يَشْتَرُونَ ﴿١٨٧﴾ لَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَآ أَتَوا۟ وَّيُحِبُّونَ أَن
يُحْمَدُوا۟ بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا۟ فَلَا تَحْسَبَنَّهُم بِمَفَازَةٍ مِّنَ ٱلْعَذَابِ ۖ وَلَهُمْ
عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٨٨﴾ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ
شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٨٩﴾ إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَـٰفِ ٱلَّيْلِ
وَٱلنَّهَارِ لَـَٔايَـٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَـٰبِ ﴿١٩٠﴾ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَـٰمًا وَقُعُودًا
وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا
خَلَقْتَ هَـٰذَا بَـٰطِلًا سُبْحَـٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٩١﴾

﴿ لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ ﴾ قيل: قاله اليهود لما سمعوا: (من ذا الذي يقرض الله ..) والمعنى: انه لم يخفَ عليه وانّه اعدّ لهم العقوبة عليه، القمي: والله ما رأوا الله فيعلمون أنه فقير ولكنهم رأوا اولياء الله فقراء فقالوا: لو كان غنياً لأغنى أولياءه ففخروا على الله بالغنى، وعن الباقر (ع): هم الذين يزعمون إن الإمام يحتاج إلى ما يحملونه ﴿ سَنَكْتُبُ ما قالُوا﴾ في صحف الحفظة، أوسنحفظه في علمنا وقرن بقوله: ﴿ وَقَتْلَهُمُ الأَنبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ﴾ إيذانا بأنهما في العظم سيّان، وان هذا ليس بأول عظيمة اجترحوها، وان من قتل الأنبياء لم يستبعد منه هذا القول، وقرأ حمزة (سيكتب) بالياء بصيغة المجهول ورفع (قتلهم) ويقول بالياء، وعن الصادق (ع): أما والله ما قتلوهم بأسيافهم، ولكن أذاعوا أمرهم وأفشوا عليهم فقتلوا ﴿ وَنَقُولُ ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾ وننتقم منهم بهذا القول، واستعمل الذوق له إتساعاً ﴿ ذلكَ﴾ العذاب ﴿ بما قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ﴾ أي: بما عملتم من المعاصي، وذكر (الأيدي) لأن أكثر الأعمال بها ﴿ وأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾ عطف على (بما قدمت) وسببيته انه يستلزم العدل الموجب معاقبة المسيء واثابة المحسن ﴿ الَّذِينَ قَالُوا ﴾ هم جماعة من اليهود ﴿ إِنَّ اللَّهَ عَهِدَ إِلَيْنَا ﴾ أمرنا في التوراة وأوصانا ﴿ إِنَّ﴾ بان ﴿ أَلاَّ نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّى يَأْتِيَنَا بِقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ النَّارُ ﴾ بهذه المعجزة الخاصة التي كانت لأنبياء بني إسرائيل، وهو ان يقرب بقربان هوما يتقرب به إلى الله من ذبيحة، أوغيرها فيقوم النبي فيدعوفتنزل نار من السماء فتحرق قربان من قبل منه، وهذا من مفترياتهم وأباطيلهم إذ أكل النار القربان لم توجب الإيمان إلا لكونه آية فهو وسائر الآيات سواء ﴿ قُلْ﴾ في إلزامهم ﴿ قَدْ جاءَكُمْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِي﴾ كزكريا ويحيى ﴿ بِالْبَيِّنَاتِ الكثيرة الموجبة للتصديق﴿ وَبِالَّذِي قُلْتُمْ﴾ واقترحتم﴿ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ انكم تؤمنون

بذلك، عن الصادق (ع): كان بين القاتلين والقائلين خمسمائة عام، فألزمهم الله القتل برضاهم بما فعلوا﴿ فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ جاؤُ بِالْبَيِّنات ﴾ تسلية له (ص) عن تكذيب قومه واليهود ﴿ والزُّبُرِ ﴾ جمع (زبور): وهوالكتاب المتضمن للحكم أوالزواجر، وقرأ ابن عامر (وبالزبر) بإعادة الباء للتأكيد ﴿ وَالْكِتابِ الْمُنِير ﴾ المشتمل على الشرائع والاحكام، وقيل: التوراة والإنجيل والزبور ﴿كُلُّ نَفسٍ ذائِقَةُ الْمَوْتِ﴾ وعد ووعيد للمصدق والمكذب، وعن الباقر (ع): من قتل لم يذق الموت، ثم قال: لا بد من ان يرجع حتى يذوق الموت، وعنه (ع): من قتل ينشر حتى يموت، ومن مات ينشر حتى يقتل﴿ وإِنَّما تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ ﴾ تعطون جزاء أعمالكم من ثواب وعقاب وافياً ﴿ يَوْمَ الْقِيامَة ﴾ يوم قيامكم عن قبوركم، وأما نعيم القبر وعذابه فبعض الأجور لا توفيها ﴿ فَمَنْ زُحْزِحَ ﴾ نُحيَ ﴿عَنِ النَّارِ وأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فازَ ﴾ فقد ظفر بالبغية﴿ ومَا الْحَياةُ الدُّنْيا ﴾ أي: شهواتها وزينتها ﴿ إِلا مَتاعُ الْغُرُورِ ﴾ شبهت بمتاع يغر به طالبه بالتدليس[1] حتى يشتريه، و(الغرور): مصدر، أوجمع غار﴿ لَتُبْلَوُنَّ ﴾ أي: والله لتمتحنن ﴿ في أَمْوالِكُمْ ﴾ بتكليف الإنفاق وآفات تصيبها ﴿ وأَنْفُسِكُمْ﴾ بالقتل والأسر والجراح والمصائب ﴿ ولَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتابَ مِنْ قَبْلِكُمْ ومِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذىً كَثِيراً ﴾ من هجاء النبي (ص)، والطعن في الدين، والصد عن الإيمان، أخبروا بذلك قبل كونه ليوطنوا أنفسهم على الصبر حتى لايرهقهم وقوعه ﴿ وإِنْ تَصْبِرُوا ﴾ على ذلك ﴿ وتَتَّقُوا ﴾ المعاصي﴿ فَإِنَّ ذلِكَ ﴾ أي: الصبر والتقوى ﴿ مِنْ عَزْمِ الأُمُورِ ﴾ من

---

(١) الغش.

معزومات الأمور التي يجب العزم عليها، أومما عزم الله عليه أي: أوجبه ﴿ وإذْ ﴾ واذكر إذ ﴿ أَخَذَ اللَّهُ مِيثاقَ الَّذينَ أُوتُوا الْكتابَ ﴾ أي: العلماء به، والقمي: عن الصادق (ع) يعني في محمد (ص) ﴿لَتُبَيِّنُنَّهُ للنَّاسِ ولا تَكْتُمُونَهُ﴾ قال: إذا خرج وقرأ بالياء فيهما، و(اللام) جواب قسم نابه أخذُ ميثاقهم، وقيل: الهاء للكتاب ﴿ فَنَبَذُوهُ﴾ أي: الميثاق ﴿ وَراءَ ظُهُورِهِمْ ﴾ فلم يراعوه، والنبذ وراء الظهر مَثَل في الطرح وترك الاعتناء ﴿ واشْتَرَوْا بِه﴾ أخذوا بدله ﴿ ثَمَناً قَليلاً﴾ من عَرَض الدنيا وحطامها[1] ﴿ فَبِئْسَ ما يَشْتَرُونَ ﴾ عن النبي (ص): من كتم علماً من أهله ألجم بلجام من نار، وعن علي (ع): ما أخذ الله على أهل الجهل أن يتعلموا حتى أخذ على أهل العلم أن يُعَلموا﴿ لا تَحْسَبَنَّ الَّذينَ يَفْرَحُونَ بما أَتَوْا ﴾ يعجبون بما فعلوا من التدليس وكتمان الحق، أومن الطاعات والحسنات والخطاب للرسول (ص)، ومَن ضم الباء جعل الخطاب له وللمؤمنين، والمفعول الاول (الذين يفرحون) وقرأ ابن كثير وابوعمروابن عامر بالياء وفتح الياء فيه وضم الياء في الآتي على أن (الذين) فاعل ومفعولاه محذوفان يدل عليهما مفعولاً موكده وهويحسبنهم الثاني، أوالمفعول الاول محذوف والثاني تأكيد للفعل وفاعله ومفعوله الأول ﴿ ويُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بما لَمْ يَفْعَلُوا﴾ من الوفاء بالميثاق، وإظهار الحق، والإخبار بالصدق أوكل خبر ﴿ فَلا تَحْسَبَنَّهُمْ بِمَفازَةٍ مِنَ الْعَذابِ ﴾ فائزين بفوز ونجاة منه، وعن الباقر (ع): ببعيد منه ﴿ ولَهُمْ عَذابٌ أَليمٌ ﴾ بكفرهم وتدليسهم ﴿ ولِلَّه مُلْكُ السَّماوات والأَرْضِ ﴾ فهويملك أمرهم﴿ واللَّهُ عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَديرٌ ﴾ فيقدر على عقابهم، وقيل: هوردّ

---

(١) حطام الدنيا: أي: متاعها.

لقولهم: إن اللّه فقير﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّماواتِ والأَرْضِ﴾ على هذا الطرز العجيب والنمط الغريب وما فيهما من الشمس والقمر والنجوم والمياه والنبات ﴿ واخْتلاف اللَّيْلِ والنَّهارِ ﴾ في الطول والقصر، أوتخالفهما وتعاقبهما ﴿ لآياتٍ لأُولِي الأَلْبابِ ﴾ لدلائل واضحة على توحيده وعلمه وقدرته وحكمته وسائر صفاته لذوي العقول الخالصة ﴿ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ ﴾ في جميع الأحوال وعلى جميع الهيئات ﴿ قِياماً وقُعُوداً وعَلى جُنُوبِهِمْ ﴾ وعن الباقر (ع): الصحيح[1] يصلي قائماً وقعوداً، والمريض الذي يصلي جالساً وعلى جنوبهم الذي يكون أضعف من المريض الذي يصلي جالساً ، وعنه (ع) لا يزال المؤمن في صلاة ما كان في ذكر اللّه قائماً أوجالساً أومضطجعاً ان اللّه يقول: الذين يذكرون اللّه ... الآية ﴿ ويَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّماواتِ والأَرْضِ﴾ معتبرين بهما، عن الصادق (ع): أفضل العبادة إدمان التفكر في اللّه وفي قدرته، وعن الرضا (ع): ليس العبادة كثرة الصلاة والصوم انما العبادة التفكر في أمر اللّه تعالى، وعن النبي (ص): تفكر ساعة خير من قيام سنة وفي آخر ستين سنة﴿ ربَّنا ما خَلَقْتَ هذا باطِلًا ﴾ أي: يتفكرون قائلين ذلك أي: ما خلقته عبثاً ضائعاً من غير حكمة﴿سُبْحانَكَ ﴾ تنزيهاً لك من العبث وخلق الباطل، وهواعتراض ﴿ فَقِنا عَذابَ النَّارِ ﴾ لاخلالنا بالتفكر فيه، و(الفاء) تفيد ان علمهم بما لأجله خلقت السمواتوالأرض دعاهم إلى الاستعاذة .

---

(١) أي: الشخص السالم.

[سورة آل عمران الآيات ١٩٢- ٢٠٠]

رَبَّنَآ إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ ٱلنَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُۥ ۖ وَمَا لِلظَّـٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿١٩٢﴾ رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِى لِلْإِيمَـٰنِ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِرَبِّكُمْ فَـَٔامَنَّا ۚ رَبَّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّـَٔاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلْأَبْرَارِ ﴿١٩٣﴾ رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۗ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ ﴿١٩٤﴾ فَٱسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّى لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَـٰمِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ ۖ بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍ ۖ فَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ وَأُخْرِجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِمْ وَأُوذُوا۟ فِى سَبِيلِى وَقَـٰتَلُوا۟ وَقُتِلُوا۟ لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ ثَوَابًا مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلثَّوَابِ ﴿١٩٥﴾ لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى ٱلْبِلَـٰدِ ﴿١٩٦﴾ مَتَـٰعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۚ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿١٩٧﴾ لَـٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّـٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَا نُزُلًا مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ۗ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّلْأَبْرَارِ ﴿١٩٨﴾ وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ

لَمَن يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِمْ خَٰشِعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْتَرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلاً ۗ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿١٩٩﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٢٠٠﴾

﴿ رَبَّنا إِنَّكَ مَنْ تُدْخِلِ النّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ أبلغت في اخزائه، ونظيره (فقد فاز) وعدل عن(أحرقته) لأن الخزي عذاب روحاني وهوأشد من الجسماني ﴿ وما لِلظّالِمينَ مِنْ أَنصارٍ يدفعون عنهم العذاب، ووضع المظهر موضع المضمر، للدلالة على أن ظلمهم صار سببا لإدخالهم النار، وانقطاع النصرة عنهم في الخلاص منها، وعن الباقر(ع): ما لهم من أئمة يسمونهم بأسمائهم. ﴿ رَبَّنا إِنَّنا سَمِعْنا مُنادِياً يُنادِي لِلإِيمانِ وهوالرسول، أوالقرآن، والنداء ونحوه يعدّى بـ(الى) و(اللام) لتضمنه الانتهاء والاختصاص، وأوقع الفعل على المسمع وحذف المسموع لغناء صفته عنه، وفي إطلاق المنادى ثم تقييده تفخيم لشأنه ﴿ أَنْ ﴾ أي: بأن، أوأي ﴿ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنّا ﴾ فأجبنا ﴿ رَبَّنا فَاغْفِرْ لَنا ذُنُوبَنا ﴾ كبائرنا فإنها ذات تبعات ﴿ وَكَفِّرْ عَنّا سَيِّئاتِنا ﴾ صغائرنا فإنها مستقبحة ولكنها مكفرة عمن تجنب الكبائر ﴿ وَتَوَفَّنا مَعَ الأَبْرارِ ﴾ مخصوصين بصحبتهم معدودين في زمرتهم ﴿ رَبَّنا وَآتِنا ما وَعَدْتَنا عَلى رُسُلِكَ ﴾ أي: على ألسنتهم، أوعلى تصديقهم من الثواب، أومتعلق بمحذوف أي: ما وعدتنا منزلا على رسلك، وانما سألوا ما وعدوا ـ مع ان الله تعالى غير مخلف وعده ـ تعبدا أواستكانة ومخافة أن يكونوا مقصرين في الامتثال ﴿ وَلا تُخْزِنا يَوْمَ الْقِيامَةِ ﴾ بأن تعصمنا عما يقتضي الخزي، أولا تفضحنا،

أولا تهلكنا﴿ إِنَّكَ لا تُخْلِفُ الْمِيعادَ﴾ بإثابة المؤمن وإجابة الداعي وتكرير (ربنا) للمبالغة في الابتهال، والدلالة على استقلال المطالب وعلوشأنها﴿ فَاسْتَجابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ﴾ طلبتهم، وهوأخص من الإجابة لجواز ان تكون الإجابة بالرد ويعدى بنفسه وبـ(اللام)﴿ أَنِّي﴾ أي: بأني ﴿ لا أُضِيعُ عَمَلَ عامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثى﴾ بيان لـ(عامل)﴿ بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ لأن الذكر من الأنثى وبالعكس، لأنهما من أصل واحد، أولفرط الاتصال والاتحاد، أوللاجتماع، أوالاتفاق في الدين، وهي معترضة لبيان شركة النساء مع الرجال فيما وعد العمال، قيل: قالت أم سلمة: يا رسول الله ما بال الرجال يذكرون في الهجرة دون النساء؟ فنزلت﴿ فَالَّذِينَ هاجَرُوا﴾ الأوطان، أوالعشائر، أوالشرك للدين ﴿ وَأُخْرِجُوا مِنْ دِيارِهِمْ وَأُوذُوا فِي سَبِيلِي﴾ من أجل ديني، وسببه ﴿ وَقاتَلُوا﴾ المشركين ﴿ وَقُتِلُوا﴾ واستشهدوا، وعكس حمزة والكسائي، والمراد أنه لما قتل منهم قوم قاتل الباقون ولم يضعفوا، أولأن (الواو) لا توجب ترتيبا، وشدد ابن كثير وابن عامر (قتّلوا) للتكثير﴿ لَأُكَفِّرَنَّ﴾ لأمحون. ﴿ عَنْهُمْ سَيِّئاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهارُ ثَواباً ﴾ أي: أثيبهم بذلك أثابه ﴿ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾ يستحقونه منه﴿ وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوابِ﴾ على الأعمال لا يقدر عليه سواه ﴿ لا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلادِ﴾ خطاب للرسول (ص) أريد به الامة، أولكل أحد، والنهي للمخاطب، وجعل للتقلب مبالغة بتنزيل السبب منزلة المسبب، أي: لا تنظر إلى ما هم عليه من البيعة والحظ ولا تغتر بما ترى من تصرفهم في البلدان يكسبون ويتجرون، قيل: كان بعض المؤمنين يرون المشركين في سعة ورضاء فيقولون: ان أعداء الله في العيش الرضي وقد هلكنا جوعاً، فنزلت﴿ مَتاعٌ﴾ أي: تقلبهم متاع﴿ قَلِيلٌ﴾ في جنب ما اعدّ للمؤمنين، أولزواله﴿ ثُمَّ مَأْواهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهادُ﴾ أي: ما مهدوا لأنفسهم ﴿ لكِنِ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهارُ خالِدِينَ فِيها نُزُلاً مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾ النزل: ما يعد للنازل من الكرامة، ونصب حالا من جنات والعامل لهم، أومصدرا

موكداً أي: أنزلوها انزالاً ﴿ وما عِنْدَ اللّه ﴾ لدوامه ﴿ خَيْرٌ للأَبْرارِ ﴾ مما يتقلب فيه الفجار لزواله وشوبه[١] بالآلام ﴿ وإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتابِ لَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللّه ﴾ قيل: نزلت في ابن سلام وأصحابه، وقيل: في أربعين من نجران، واثنين وثلاثين من الحبشة، وثمانية من الروم كانوا نصارى فأسلموا، وقيل: في اضخمه النجاشي لما نعاه جبرئيل إلى رسول اللّه (ص) فخرج فصلى عليه، فقال المنافقون: انظروا إلى هذا يصلي على علج[٢] نصراني لم يره قط، ودخلت (اللام) في اسم (ان) لفصل الظرف بينهما ﴿ وما أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ ﴾ من القرآن ﴿ وما أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ ﴾ من الكتابين ﴿ خاشِعِينَ لِلّه ﴾ حال من فاعل (يؤمن) وجمعه باعتبار المعنى ﴿ لا يَشْتَرُونَ بِآياتِ اللّه ثَمَناً قَلِيلاً ﴾ كما يفعل المحرفون من أحبارهم ﴿ أُولئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ ﴾ الأجر المختص بهم الموعود في (أولئك يؤتون أجرهم مرتين)[٣] ﴿ إِنَّ اللّهَ سَرِيعُ الْحِسابِ ﴾ لعلمه بالأعمال وما يستوجبه كل عامل من الجزاء، فأجرهم الموعود سريع الوصول ﴿ يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا ﴾ على المصائب ﴿ وصابِرُوا ﴾ على الفرائض ﴿ ورابِطُوا ﴾ على الائمة - كما عن الصادق (ع) - وعنه (ع): اصبروا على المصائب، وصابروهم على الفتنة، ورابطوا على ما تقتدون به، وعنه (ع): اصبروا على دينكم، وصابروا عدوكم ممن يخالفكم، ورابطوا إمامكم، وعن الباقر (ع): صابروا على التقية ﴿ واتَّقُوا اللّهَ ﴾ باجتناب المعاصي ﴿ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ لكي تظفروا بالبغية.

تمّت - وللّه الحمد - سورة آل عمران وتفسيرها.

---

(١) اختلاطه.

(٢) العَلج : الجاف الشديد في الرجال.

(٣) سورة القصص الآية ٥٤.

فهرس الكتاب

[سورة آل عمران]